كلية الدراسات العليا

برنامج ماجستير الدراسات الدولية

الفوضى في نظريات العلاقات الدولية:

مراجعة للمفهوم في ضوء النظرية الواقعية

Anarchy in International Relations theories:

A review of the concept from a Realist Theory perspective

إعداد

روكسانا سلامة

إشراف

د. لورد حبش

2022

الفوضى في نظريات العلاقات الدولية:

مراجعة للمفهوم في ضوء النظرية الواقعية

Anarchy in International Relations theories:

A review of the concept from a Realist Theory perspective

إعداد:

روكسانا سلامة

تم إجازة هذه الرسالة بعد مناقشتها بتاريخ 2022/6/25

لجنة الإشراف والمناقشة:

د. لورد حبش مشرفاً

د. أحمد قاسم حسين عضواً

د. غسان الخطيب عضواً

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين

الفوضى في نظريات العلاقات الدولية:

مراجعة للمفهوم في ضوء النظرية الواقعية

Anarchy in International Relations Theories:

A Review of the Concept from a Realist Theory Perspective

إعداد

روكسانا سلامة

تم إجازة هذه الرسالة بعد مناقشتها بتاريخ 2022/6/25

لجنة المناقشة	التوقيع
د. لورد حبش (مشرفاً ورئيساً)	.....
د. أحمد قاسم حسين (عضواً)	.....
د. غسان الخطيب (عضواً)	.....

شكر

"إِنَّ إِلهَ السَّمَاءِ يُعْطِينَا النَّجَاحَ، وَنَحْنُ عَبِيدُهُ نَقُومُ وَنَبْنِي"

عطرُ الشكر والامتنان أزجيه

إلى الكهف الذي أويت إليه تعلما وفخرا أستاذتي د. لورد حبش

وإلى المناقشين د. غسان الخطيب و د. أحمد قاسم

على جهد مقدر وملاحظات قيمة

وإلى من علمني بأن الاهتمام بالدقة والتفاصيل هما أساس النجاح د. علي الجرباوي

وإلى الأصدقاء الأوفياء بهاء توام، ومحمد مصلح، ومحمد حُسين أبو حديد

الذين بوجودهم لا زلت أؤمن بأن الدنيا بخير

إهداء

أهدي هذه الرسالة لمن زرعت فيّ كل جميل، فأثمر طموحاً ونجاحاً ... جنتي

أمي منال

إلى والدي؛ شجرة الأمان أفيء إليها، وأكمل المسير

رامح

إلى خالتي وأمي الثانية

ميساء

إلى أرواح القلب، والقوة والسند إخوتي وأخواتي

تانيا، وعُدي، وجودي، وجود

"في بعض الغياب حضور أكبر"

إهداء إلى روح شيرين أبو عاقلة

الفهرس

شكر ..... **ث**

إهداء ..... **ج**

فهرس الأشكال والجداول ..... **ذ**

الملخص ..... ر

Abstract ..... **س**

1. مقدمة ..... **ص**

1.1 إشكالية الدراسة ..... **ض**

1.2 أسئّلة الدراسة ..... **ض**

1.3 فرضية الدراسة ..... **ض**

1.4 أهمية الدراسة ..... **ط**

1.5 أهداف الدراسة ..... **ط**

1.6 منهج الدراسة ..... **ط**

1.7 الدراسات السابقة ..... **ظ**

1.7.1 التوجه الأول: مركزية الفوضى ..... **ع**

1.7.2 التوجه الثاني: ترفض المغالاة بمركزية الفوضى ..... **ف**

1.8 هيكل الدراسة ..... **ل**

2. اركيولوجيا مفهوم الفوضى **1**

2.1 خارطة الفوضى **1**

2.2 الفوضى: غموض المفهوم 5
2.2.1 تعريفات الفوضى 9
2.3 تجليات الفوضى عند أهم المفكرين 12
2.3.1 السياق الواقعي لظهور مفهوم الفوضى.....12
2.3.2 الفوضى والطبيعة البشرية 21
2.3.3 الفوضى والقوة.....24
2.3.4 الفوضى والخوف 30
2.3.5 الفوضى والحرب 33
2.3.6 كيفية التعامل مع الفوضى.....37
3. مفهوم الفوضى من منظور واقعي، قبل وأثناء الحرب الباردة 44
3.1 المبادئ الأساسية للنظرية الواقعية.....44
3.2 النظرية الواقعية الكلاسيكية 47
3.3 مفهوم الفوضى في الواقعية الكلاسيكية 49
3.4.1 الفوضى في الواقعية الدفاعية 58
3.4.2 الفوضى في الواقعية الهجومية.....65
3.5 الفوضى في الواقعية الهجومية – الدفاعية.....70
3.6 الفوضى في الواقعية الكلاسيكية الجديدة 75
4. التقارب والتباعد في مفهوم الفوضى عند منظري الواقعية، قبل وأثناء الحرب الباردة 82
4.1 الفوضى والسعي وراء القوة 82
4.2 الفوضى ومقدار القوة 89
4.3 الفوضى ومأزق المعضلة الأمنية.....94

4.4 استراتيجيات الدول في ظل الفوضى الدولية؛ ما بين التوسع والوضع الراهن 101
4.5 الفوضى والحرب 111
5. التجديد والاستمرارية في مفهوم الفوضى، بعد الحرب الباردة 117
5.1 دفاع الواقعيين عن استمرارية فوضوية النظام 119
5.2 استمرارية مفهوم الفوضى وارتباطه بالتوازنات الجديدة 129
5.2.1 توازن التهديد 130
5.2.2 التوازن الناعم 133
5.2.3 توازن المصالح 135
5.2.4 التوازن خارج المجال 136
6. الاستنتاجات: الفوضى في النظرية الواقعية: من مورغنثاو إلى وولفورث 140
6.1 انتقال الفوضى من عامل ثانوي إلى مركزي 140
6.2 الاتفاق بين منظري الواقعية حول الفوضى 140
6.3 الاختلاف بين الواقعيين حول مفهوم الفوضى وتفاعلاتها 141
6.4 الفوضى سمة ثابتة ما بعد الحرب الباردة 142
6.5 مفهوم الفوضى وتفسير السياسة الدولية في القرن 21 144
7. قائمة المصادر والمراجع 146
7.1 مصادر اللغة العربية: 146
7.2 المراجع الأجنبية: 150

فهرس الأشكال والجداول

رقم الشكل أو الجدول	العنوان	الصفحة
جدول رقم (1)	السياق الزمني الذي طرحت فيه أفكار المفكرين والكتاب	42
شكل رقم (1)	العامل المركزي في نظرية مورغنثاو	54
جدول رقم (2)	الفوضى في كتب مورغنثاو قبل انتهاء الحرب الباردة	55
شكل رقم (2)	العامل المركزي في نظرية والتز	63
جدول رقم (3)	الفوضى في كتب ومقالات والتز قبل انتهاء الحرب الباردة	63
شكل رقم (3)	العامل المركزي في نظرية ميرشايمر	69
جدول رقم (4)	الفوضى في كتب ومقالات ميرشايمر قبل انتهاء الحرب الباردة	69
شكل رقم (4)	العامل المركزي عند الواقعيين الهجوميين–الدفاعيين	74
جدول رقم (5)	الفوضى في كتب جيرفس قبل انتهاء الحرب الباردة	74
جدول رقم (6)	انتهاء الحرب الباردة الفوضى في كتب ومقالات الواقعيين الدفاعيين بعد	121
جدول رقم (7)	الفوضى في كتب ومقالات الواقعيين الهجوميين بعد انتهاء الحرب الباردة	125
جدول رقم (8)	بعد انتهاء الفوضى في كتب ومقالات الواقعيين الهجوميين–الدفاعيين الحرب الباردة	126
جدول رقم (9)	الفوضى في كتب ومقالات الواقعيين الكلاسيكيين الجدد بعد انتهاء الحرب الباردة	127
شكل رقم (5)	تأثير حدوث اختلال في القوة على سلوك الدول	131
شكل رقم (6)	تأثير حدوث اختلال في التهديد على سلوك الدول	131
شكل رقم (7)	العلاقة بين الفوضى والتهديد	132
شكل رقم (8)	العلاقة بين الفوضى وعدم وجود إمكانيات والتخوف من الدولة المهيمنة	135
شكل رقم (9)	العلاقة بين الفوضى والمصالح	136
شكل رقم (10)	العلاقة بين الفوضى والتخوف من صعود قوة مهيمنة	138
جدول رقم (10)	أوجه التوافق والتباين بين المدارس الواقعية المختلفة، في تناولهم مفهوم الفوضى، وعلاقته بالمفاهيم الأساسية الأخرى.	143

الملخص

الفوضى هي من أهم المفاهيم الأساسية لدراسة العلاقات الدولية. طريقة التعاطي مع هذا المفهوم قد تغير مع مرور الزمن. كما تباينت الآراء بين منظري ومفكري حقل العلاقات الدولية حول الفوضى في تأطيرهم. ففي كثير من النظريات الوضعية الحالية، اعتبرت الفوضى بمثابة الافتراض الرئيس للسياسة الدولية، وتحديداً الواقعية الجديدة/ البنيوية، والمدارس الواقعية التي تلتها، كونه مفهوم صقل بداخلها، ليعبر عن غياب سلطة مركزية في بنية النظام الدولي. وتُعد الفوضى المدخل الرئيس الذي ينطلق منها الواقعيون لفهم وتفسير سلوك الوحدات داخل النظام الدولي. بينما اعتبر آخرون أن هناك تركيزا مبالغا فيه لمفهوم الفوضى، مؤكدين على وجود عوامل أخرى إلى جانب الفوضى، لابد من الإشارة إليها عند دراسة العلاقات الدولية.

الجدل حول مركزية مفهوم الفوضى في أدبيات العلاقات الدولية، يصاحبه وجود حالة من الخلط في تقديم الفوضى، ولا سيمّا في أدبيات اللغة العربية التي ترجمت كل من المفاهيم التالية من اللغة الانجليزية "Anarchy" و"Chaos" و"Disorder"، على أنها جميعها تعني الفوضى؛ أي غياب سلطة مركزية، إلا أن كل مفردة لها دلالتها المختلفة عن الأخرى، فلا تطابق بينهم.

على ضوء ذلك، جاءت هذه الدراسة لإعادة فتح النقاشات حول مفهوم الفوضى في الفكر السياسي، ودراسة المفاهيم المختلفة والمقاربة لها، والمستخدمة في أدبيات العلاقات الدولية للتميز بين المفاهيم الثلاثة السابقة. تسعى هذه الدراسة إلى معالجة هذا المفهوم، ودراسة مراحل تطوره، والتغيرات التي طرأت عليه بعد الحرب الباردة، من خلال مقارنة الأطروحات النظرية المختلفة لمنظري الواقعية لمفهوم الفوضى؛ من حيث؛ تعريفها، وأسبابها، وطرق معالجتها.

خرجت هذه الدراسة بنتيجة مفادها؛ بأن التركيز الأساسي في الواقعية الكلاسيكية كان على الطبيعة البشرية، ومستوى الفرد لتحليل السياسة الدولية، على الرغم من اعترافها بفوضوية النظام. في حين نقلت الواقعية البنيوية/ الجديدة مفهوم الفوضى إلى مستوى النظام الدولي، أي أن الواقعية الجديدة أعادت صياغة فرضيتها حول النظام انطلاقاً من البنية الفوضوية للنظام كمدخل أسياسي لتفسير الشؤون الدولية، والتي تعني غياب سلطة مركزية.

كما خلصت الدراسة، بأن الفوضى قبل انتهاء الحرب الباردة _وتحديداً مع مع تنظيرات كينيث والتز للواقعية الجديدة_ كانت عاملاً مركزياً، وبقيت كذلك بالرغم من التطورات التي استُحدثت على النظرية، وبروز مدارس جديدة بداخلها؛ كالواقعية الهجومية الدفاعية والواقعية الكلاسيكية الجديدة. وظلت الفوضى سمة ثابتة في النظام

الدولي بعد الحرب الباردة، على الرغم من الانتقادات التي وجهت للواقعية في فشلها في التنبؤ بانتهاء الحرب الباردة ومن قدرتها التفسيرية، ولعدم اتساق افتراضاتها مع بروز شكل جديد من النظام الدولي الجديد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

كلمات مفتاحية: الفوضى، الواقعية الكلاسيكية، الواقعية الجديدة، الواقعية الهجومية–الدفاعية، والواقعية الكلاسيكية الجديدة، توزان القوى.

Abstract

Anarchy is one of the essential concepts in the approach of studying international relations, but the way of dealing with such a concept has changed throughout time. Points of view in the international relations field have varied between the theorists and thinker about anarchy in their theories. In many of the current positivist theories, anarchy was considered the main assumption of international politics, specifically neo-realism structuralism and the realism schools that followed, as being a concept refined within them to express the absence of a central authority in the structure of the international system. Moreover, anarchy is considered the main entry point from which realists begin to understand and explain the behavior of countries within the international system. On the other hand, others considered that there is an exaggerated concentration on the concept of anarchy stressing that there are other factors besides it that must be referred to when studying international relations.

The argument over the centrality of the concept of anarchy in the literature and works of international relations is accompanied by a state of confusion about anarchy, especially in the Arabic language literature, which interpret each of the following concepts from the English language “Anarchy”, “Chaos” and “Disorder”, as having all the same meaning in which they mean the absence of a central authority, but each of these concepts carries a different meaning from the other and is not synonymous.

Based on that, this study came to reopen discussions about the concept of anarchy in political thought, and to study the different concepts of Anarchy used in the literature of international relations to distinguish between the three previous concepts. Therefore, this study seeks to address this concept, study its stages of development, and the changes that occurred in it after the Cold War, by comparing

the different theoretical theses of realism theorists of the concept of chaos; In terms of its definition, causes, and methods of treatment.

This study concludes that the main focus in classical realism was on human nature and the individual's level to analyze international politics despite its recognition of the anarchic system. While structural/neo-realism transferred the concept of anarchy to the level of the international system, which means, neorealism re-formulated its hypothesis about the system from the anarchic structure of the system as a key entry point for interpreting international affairs, which means the absence of a central authority.

This study also concluded that the anarchy before the end of the Cold War, specifically with Kenneth Waltz's theories of neo-realism, was and still is a central factor despite the developments that occurred in the theory and the emergence of new schools within it, such as defensive offensive realism and neoclassical realism. Anarchy remained a constant feature of the international system after the Cold War, despite criticism of realism for its failure to predict the end of the Cold War and for its explanatory power, and for the inconsistency of its assumptions with the emergence of a new form of the new international order after the collapse of the Soviet Union.

Keywords: Anarchy, Classical realism, Neorealism, Defensive-Offensive realism, Neoclassical realism, Balance of power.

1. مقدمة

يرتبط مفهوم الفوضى ارتباط وثيقاً بحقل العلاقات الدولية، الذي نشأ كحقل معرفي بعد الحرب العالمية الأولى عام 1919، بوصفه تخصصاً معرفياً منفصلاً في جامعة أبيريستويث في ويلز–بريطانيا. اكتسب هذا الحقل هُويته الخاصة؛ عندما تفرد في دراسة موضوع خاص به، لا يقع ضمن اختصاص الحقول الاكاديمية الأخرى، وحُدّد المجال المعرفي لحقل العلاقات الدولية بأنه "دراسة العلاقات بين الدول في غياب سلطة أعلى منها"، وهو المفهوم الذي صُقل داخل النظرية الواقعية، وعرف باسم الفوضى[1].

تبنت معظم النظريات الوضعية في العلاقات الدولية؛ مثل؛ الواقعية الجديدة، والليبرالية الجديدة، والبنائية؛ بأن الفوضى هي السمة الأساسية والمحدد الرئيس للنظام الدولي. فحظيّ هذا المفهوم على اهتمام واسع عند المنظرين والمفكرين في مختلف النظريات السابقة، وعلى وجه التحديد النظرية الواقعية. على الرغم من محورية المفهوم في حقل العلاقات الدولية، إلا أن أسباب الفوضى ومركزيتها، تختلف النظريات في تناولها.

هذا الجدل النظري لا يقتصر على النظريات الوضعية، بل هناك اختلافات جوهرية داخل النظرية نفسها. ولعل المثال الأبرز هو النظرية الواقعية التي تضمّ مدارس فكرية بداخلها؛ (الواقعية الكلاسيكية، والواقعية الجديدة بشقيها الدفاعي والهجومي، والواقعية الهجومية الدفاعية، والواقعية الكلاسيكية الجديدة). هذه التعددية انعكست في وجود اختلافات، فقدمت كل منها رؤيتها وتصوراتها حول الفوضى. يُعد فهم الفوضى شرطاً أساسياً لفهم النظرية ذاتها، وافتراضاتها المرتبطة بها لتفسير السياسة الدولية. ما يدلل على أهمية الفوضى وضرورة تسليط الضوء عليها، لما لها من تأثير كبير على المفاهيم الأساسية الأخرى، داخل النظرية الواقعية؛ مثل السعي لامتلاك القوة، المعضلة الأمنية، التنافس والصراع والحرب وغيرها.

تجدر الإشارة إلى أن النظرية الواقعية قد تعرضت لانتقادات عديدة، واتهمت بالفشل في قدرتها على التنبؤ بالتغيير في النظام الدولي، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في نهاية ثمانينات القرن الماضي، وبدء مرحلة جديدة في النظام الدولي عُرفت باسم "أحادية القطبية"؛ تفردت بقيادته الولايات المتحدة الأمريكية. ونظراً لأن أطروحات وافتراضات منظري الواقعية كانت متسقةً تماماً وتتوافق مع طبيعة العلاقات الدولية في فترة الحرب الباردة –ثنائية القطبية–. الأمر الذي خلق حالة من الارباك النظري داخل الواقعية مما دفع منظريها إلى

[1] محمد حمشي، **مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص18-19.

مراجعة أفكارهم وأطروحاتهم حول الفوضى، بهدف مواءمة أنساقهم الفكرية مع تلك التغيرات، وضرورة صياغة مفاهيم جديدة، للتأكيد على أن الفوضى لا تزال السمة الأساسية في النظام، حتى لو كان أحادي القطبية.

1.1 إشكالية الدراسة

مفهوم الفوضى قد صاحبة جدلٌ واسع، لاسيمّا مع تطور النظرية الواقعية، كونها "خيمة كبيرة" تضم بداخلها عدة مدارس، وليست نظرية واحدة. وعلى الرغم من وجود ارتباط وثيق بين الفوضى والنظرية الواقعية، واعتراف منظريها بأهميته في توصيف النظام الدولي أثناء محاولات فهم وتفسير الظواهر الدولية، إلا أنهم قدموا أطروحات مختلفة حول رؤيتهم لمفهوم الفوضى، ومركزيته، وتأثيره على النظام الدولي، هذا ما انعكس في طريقة تعاطيهم وتعاملهم مع الفوضى، وطرق معالجتها داخل النظام الدولي.

بناءً على ذلك، تتمحور إشكالية الدراسة حول الجدل النظري داخل النظرية الواقعية _بمختلف مدارسها_ لِكُنْه الفوضى، وهذا يقود إلى سؤال البحث الرئيس: أين موقع الفوضى في البناء النظري للواقعية؟ وما هو تأثيره في فهم الظواهر الدولية انطلاقاً من المنظور الواقعي في حقل العلاقات الدولية؟

1.2 أسئّلة الدراسة

- ما هي الجذور الفلسفية لمفهوم الفوضى؟
- ما علاقة الفوضى بكل من القوة والحرب والمعضلة الأمنية؟
- ما هي التغيرات التي طرأت على مفهوم الفوضى في داخل النظريات الواقعية؟
- ماذا شهد مفهوم الفوضى في ثنايا الواقعية ما بين الثبات والتغير؟
- ما هو تأثير انتهاء الحرب الباردة على مفهوم الفوضى في النظرية الواقعية؟

1.3 فرضية الدراسة

تقوم هذه الدراسة على افتراضين أساسيين:

أولاً، أصبحت الفوضى مفهوماً مركزياً مع بزوغ الواقعية الجديدة، وبقيت كذلك مع التيارات الواقعية التي تلتها.

ثانياً، إبقاء منظري الواقعية على مركزية مفهوم الفوضى؛ دفعهم إلى إجراء تعديلات في نظرية توازن القوى بعد الحرب الباردة، لتتلاءم مع التغيرات في النظام الدولي.

1.4 أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من أهمية مفهوم الفوضى، لأنه من أهم المفاهيم الأساسية لدراسة العلاقات الدولية. وتُعد الفوضى المدخل الرئيس الذي ينطلق منها الواقعيون لفهم وتفسير سلوك الدول داخل النظام الدولي. بناءً على ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى معالجة هذا المفهوم، ودراسة مراحل تطوره، والتغيرات التي طرأت عليه بعد الحرب الباردة، من خلال مقارنة الأطروحات النظرية المختلفة لمنظري الواقعية لمفهوم الفوضى؛ من حيث؛ تعريفها، وأسبابها، وطرق معالجتها.

كما تكمن أهمية هذا الدراسة، من أهمية الواقعية، التي لطالما وُصفت بأنها النظرية السائدة في حقل العلاقات الدولية، كونها رسخت افتراضاتٍ وأسساً منهجية، تساعد في تفسير وفهم السياسة الدولية. فهي توفر المداخل الرئيسة التي تسهم في تقديم إجابات مباشرة، حول طريقة عمل النظام الدولي؛ هذا ما جعل النظرية الواقعية من أهم النظريات الدائمة والمهيمنة في السياسة الدولية.

1.5 أهداف الدراسة

تبتغي هذه الدراسة معرفةَ كيفية تقديم النظرية الواقعية_ بفروعها المختلفة_ لمفهوم الفوضى، وفهم التطور الذي أُدخل عليه، مرتبطاً بالتطور الذي طرأ على النظرية والنظام الدولي، بعد الحرب الباردة، وذلك بهدف الإسهام في مجال المعرفة النظري حول هذا الموضوع. وتحديداً، التجديد والاستمرارية في هذا المفهوم، كونه أساسي في العلاقات الدولية.

1.6 منهج الدراسة

تستند هذه الدراسة على مجموعة مختلفة من المناهج؛ مثل المنهج التاريخي لتتبع ومعرفة إسهامات وجهود المفكرين الأوائل، الذين عملوا على بلورة وصياغة مفهوم الفوضى، واستعراض التطور الذي طرأ عليه، بهدف تعقّب المفهوم وما أُحدث عليه_ ولاسيّما في القرن الحادي والعشرين_ على إثر التطورات التي حدثت في النظام الدولي، وتأثير ذلك على عمليات التنظير والفكر.

كذلك سيجري الاعتماد على منهج التحليل المقارن، الذي يساعد في فهم مختلف المفاهيم المقدمة حول الفوضى، وذلك من خلال مقارنه التشابه والاختلاف في تعريفها داخل النظرية الواقعية بمختلف مدارسها. بالإضافة إلى مقارنة التباعد والتقارب في مفهومهم للفوضى. الاستعانة بمنهج تحليل الخطاب؛ وذلك من خلال تحليل الأطروحات الأساسية، والنصوص الفكرية؛ لأبرز منظري الواقعية الذين تناولوا مفهوم الفوضى.

1.7 الدراسات السابقة

نظراً لأهمية مفهوم الفوضى في العلاقات الدولية، فإنه دُرس باهتمام في الغرب، وأصبح حجر الزاوية، والسِّمة المركزية عند دراسة السياسة الدولية. أما على الصعيد الدارسات العربية؛ فإن مفهوم الفوضى لم يحظى بالدراسة العلمية الوافية.

ركزت الدراسات السابقة على مقارنة مفهوم الفوضى بين مختلف نظريات العلاقات الدولية. مقالة سردار أوستن Serdar Ustun التي جاءت تحت عنوان "Anarchy in the IR Theories"؛ سعت للإجابة عن سؤال؛ ما هي الفوضى بنظرة مقارنة. ومن خلال فحصه للتيارات النظرية الرئيسة في حقل العلاقات الدولية؛ وجد أوستن أن الواقعية الكلاسيكية ترجع أسباب الفوضى الدولية للطبيعة البشرية الأنانية، التي تنعكس بصورة مباشرة على الدول وسلوكها في النظام الدولي. أما الواقعيون الجدد؛ فقد اختلفوا عن الكلاسيكيين، فكان مدخلهم لتفسير "الفوضوية"؛ هو النظام الدولي نتيجة غياب سلطة أعلى من سلطة الدول، الأمر الذي يدخل الوحدات السياسية في معضلة أمنية، وهي الحال التي تتنافس فيها الدول لتحقيق مصلحتهم المتشابهة بالبقاء، من خلال زيادة قوتهم وقدراتهم العسكرية، لتأمين مصالحهم القومية[2].

قبلت الليبرالية الجديدة افتراض الفوضى الذي تتبناه الواقعية الجديدة، وكمدخل أساسي لتفسير السياسة الدولية. واختلفوا في طريقة معالجتهم في التخفيف من آثار الفوضى. تؤكد الواقعية الجديدة على أهمية القوة وزيادتها لتحسين موقعها النسبي في النظام الفوضوي. بينما تركز الليبرالية الجديدة على أهمية التعاون، وإضفاء الطابع المؤسسي على النظام الدولي، فكلما تعاونت الدول؛ كلما كانت فرصة تحقيق استقرار دولي أعلى، وبالتالي التخفيف من تأثير الفوضى، لصعوبة التجاوز أو القضاء على الأخيرة[3].

[2] Serdar Ustun, “Anarchy in the IR”, 7-6-2014, p.1-4, https://bit.ly/3t9QDSC.
[3] Ibid, p.4.

وفي مراجعة أوستن للنظرية البنائية، التي برزت بعد انتهاء الحرب الباردة؛ تنطلق من افتراض أساسٍ مفاده؛ بأن "الفوضى هي ما تصنعها الدول"[4]. يرى البنائيون الدولةَ الفاعلَ الرئيس في النظام الدولي، وهي متشابهة من حيث سلوكها. فكلما تجانست الهويات والمصالح والسياسات الخارجية للدول؛ كلما أدى ذلك إلى تحقيق الاستقرار، وحين تختلف، فالفوضى السياسية تنعكس على النظام الدولي. أما المنظور الماركسي يُرجع أسباب فوضوية النظام الدولي للنظام الرأسمالي العالمي. ونتيجة لذلك، وفقاً للمنهج الماركسي؛ فهي انعكاس واستمرار للنظام الرأسمالي في المجتمع الدولي[5].

بناء على مقارنته لمفهوم الفوضى في نظريات العلاقات الدولية، توصل أوستن لاستنتاج؛ بأن مفهوم الفوضى تغير بشكل كبير في مساهمات كل من النظرية البنائية والماركسية، خلاف النظريات السائدة، فهي غير قابلة للتغيير. كما أشار لوجود عدة للنظريات السائدة في تناولها المفهوم، لكونها لم تقدم أفضل مفهوم للفوضى. فمثلاً الماركسية تقدم مفهوم فوضوي مرن منفتح على التغيير والتحدي، إلا أن تركيزها المفرط على الرأسمالية يبعدها عن بلورة أفكار وقواعد تسهم في تشكيل نظام دولي جديد. أما البنائية على الرغم من ارتباطها بالنظريات التقليدية –الواقعية والليبرالية–، وقبولها للفوضى، لعلّها تقدم التفسير الأكثر قبولاً للفوضى[6].

بعد مراجعة الأدبيات السابقة التي تناولت مفهوم الفوضى، يمكن تقسيمها لتوجهين رئيسين. أولاً، توجّهٌ أكد على مركزية الفوضى في السياسة الدولية. ثانياً، هناك دراسات أشارت بوجود تركيز مبالغ فيه، حول الفوضى في النظرية، حتى تذهب بعض تلك الدراسات للتأكيد على أن الفوضى ليس العامل الوحيد لدراسة السياسة الدولية.

1.7.1 التوجه الأول: مركزية الفوضى

جادل العديد من الكتاب والمنظرين؛ بأنه في أغلب الأحيان يُتعاملُ مع الفوضى في العلاقات الدولية على أنها السمة الأساسية للنظام الدولي. فبرز الدور المركزي للفوضى في السياسة الدولية بشكل خاص في كتابات كل من روبرت آرت Robert Art (1942) وروبرت جيرفس Robert Jervis (1940–2021)، فقد جادلا بأن "الفوضى هي الحقيقة الأساسية للعلاقات الدولية"[7]. وبالنسبة لهما، فإن فهم للسياسة الدولية يجب أن ينبع من

[4] Alexander Wendat, "Anarchy is what states make of it: the social construction of power politics", ***International Organization,*** Vol.46, no. 2 (spring, 1992): 395.
[5] Ustun, "Anarchy in the IR", p.5-6.
[6] Ibid, p.7.
[7] Robert Art and Robert Jervis, **International Politics Anarchy, Force, Political Economy, and Decision Making**, 2nd edition (Boston: Little, Brown & Company (Canada) Limited, 1985), p.7.

فهم هذه الحقيقة. يُعرف روبرت غلبين Robert Gilpin (1930–2018) الطبيعة الأساسية للسياسة الدولية بأنها "صراع متكرر على الثروة والسلطة بين الجهات الفاعلة المستقلة في حالة من الفوضى"[8].

وبالنسبة لكينيث والتز Kenneth Waltz (1924–2013)، الفوضى؛ هي العنصر الأول في هيكل النظام الدولي[9]. بالمقابل، ترى النظريات الليبرالية في العلاقات الدولية بأن الفوضى هي سمة من سمات النظام الدولي، حيث جادل العالم السياسي الأمريكي روبرت أكسلرود Robert Axelrod (1943)؛ بأن الفوضى ذات صلة خاصة بالسياسة الدولية؛ لأن الأمم تتفاعل دون وجود سلطة مركزية[10]. وبحسب هيدلي بول Hedley Bull (1932–1985) تبدو الفوضى في قوله "من الواضح أن الدول ذات السيادة، على عكس الأفراد داخلها، لا تخضع لحكومة مشتركة"[11].

إحدى هذه الدارسات التي اعترفت بمركزية الفوضى، وركزت على آثارها ومخاطرها. مثل دراسة أستاذي العلوم السياسية مايكل بارنيت Michael Barnett (1960) وكاثرين سيكينك Kathryn Sikkink (1955)، في مقالتهم المشتركة المُعنونة "From International Relations to Global Society"، التي أكدت من الناحية التاريخية، بأن دراسة العلاقات الدولية اهتمت إلى حد كبير بدراسة الدول وتأثيرات الفوضى على سياساتها الخارجية، وأنماط تفاعلاتها، وتنظيم السياسة العالمية. ومع ذلك، على مدى العقود الماضية، بدأ حقل العلاقات الدولية بالابتعاد عن دراسة "العلاقات الدولية" باتجاه "المجتمع العالمي". يعكس هذا التحول تطوراً طرقته هذه المقالة. مع ذلك، أشار بارنيت وسيكينك؛ بأن الفوضى لا تزال مركزية وخاصة في النظرية الواقعية الجديدة[12].

---

[8] Robert Gilpin, **War and Change in World Politics**, (Cambridge, University Press, 1981), p. 7.
[9] Helen Milner, "The assumption of anarchy in international relations theory: a critique", ***Review of International Studies,*** no.1 (Jan1991): 68.
[10] Ibid.
[11] Erika Cudworth and Stephen Hobden, "Anarchy and Anarchism towards a Theory of Complex International System", ***Millennium: Journal of International Studies***, Vol. 39, no. 2 (Dec.2010), p.401, https://bit.ly/3yPxvxa.
[12] Michael N. Barnett and Kathryn Sikkink, "From International Relations to Global Society", The Oxford Handbook of Political Science, July 2011, accessed on 25-8-2020, https://bit.ly/3PpYlBT.

1.7.2 التوجه الثاني: ترفض المغالاة بمركزية الفوضى

هناك دراسات أخرى على الرغم من تأكيدها على أهمية الفوضى، إلا أنها ناقشت بأنه ليس العامل المهم والوحيد الذي له تأثير في السياسة الدولية. ويجري التركيز عليه بشكل مبالغ فيه، لذا تناولت هذا المفهوم من وجهة نظر نقدية. من هذه الدراسات؛ مقالة أستاذة السياسة والشؤون الدولية هيلين ميلنر Helen V. Milner (1958) بعنوان "The assumption of Anarchy in International Relation Theory: Acritique"، لتؤكد من خلالها بأن نظريات العلاقات الدولية تنظر للفوضى باعتباره العامل الأساسي للسياسة الدولية، وخاصةً أولئك الذين ينتمون للمدرسة الواقعية الجديدة، فالفوضى أهم سمة أساسية في النظام الدولي. مشيرةً إلى أن النظريات الحديثة تركز أكثر من أي وقت مضى على الفوضى، وعلى وجود فصل واختلاف بين السياسة الدولية والسياسة المحلية، وأن هذا المفهوم غامض، والمخاطر موجودة عندما يُنظر إليه بشكل مبالغ فيه، كأنه الحقيقة المركزية في السياسة الدولية. ومن الضروري توضيح هذا المفهوم الرئيس، لأنه لا ينبغي استخدام هذا المصطلح، دون معرفة ما المقصود به[13].

أكدت ميلنر؛ بأن الفوضى مدخل مهم لدراسة السياسة الدولية، إلا أنها ليست المدخل الوحيد. لعلّ التركيز المفرط على الفوضى كعامل مركزي بمثابة اختزال مفرط، يتجاهل حقيقة مركزية أخرى مهمة في السياسة الدولية، والمتمثلة بالاعتماد المتبادل. لذا سعت بمقالتها لدراسة مفهوم الفوضى، والفصل الجذري بين السياستين الدولية والمحلية، منطلقة من افتراض مفاده بأن انسب طريقة لفهم النظام الدولي؛ هي الجمع بين الفوضى والاعتماد المتبادل جادلت بأن الاعتماد المتبادل سمة هيكلية رئيسة للنظام الدولي. ولا يوجد تناقض بين المفهومين؛ الفوضى والاعتماد المتبادل، فليس بالضرورة أن تؤثر الأولى على الثانية، أو أن تَحُد من إمكانية حدوثها بين الدول. بمعنى من الممكن وجود فاعلين متكافئين في حالة من الاعتماد المتبادل، واعتمادهم على بعضهم البعض، لكونهم غير قادرين على تحقيق أهدافهم، دون التعاون فيما بينهم[14].

الأسباب التي تجعل من الاعتماد المتبادل صبغة للنظام الدولي، وقدرتها على التأثير فيه؛ تنبع من السمات البنيوية التي يتمتع بها النظام، والتي تدل على أهمية وجود اعتماد متبادل بين الفواعل في النظام الدولي. إضافةً لذلك، رؤية النظام من منظور وجود وحدات سياسية متفاعلة ومترابطة، ينتج عنه رؤى نظرية مفيدة. بناءً على

[13] Milner, "The assumption of anarchy", p.67.
[14] Ibid, p.81-82.

ذلك، أفعال وأهداف الدولة مشروطة بسلوك وتوقعات وتصورات الدول الأخرى. وفي ظل الاعتماد المتبادل؛ يعتمد أفضل وأنسب خيار تتخذه الدولة في النظام الدولي؛ على اختيارات وتوقع سلوك الأخرين[15].

سعى كلٌّ من أستاذ العلاقات الدولية أليكس بريشارد Alex Prichard، وأستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية جوناثان هافركروفت Jonathan Havercroft، إلى التفكير بشكل مختلف حول الفوضى؛ نظراً لأن التركيز المفرط على جذور الفوضى في حالة الطبيعة ونظرية العقد الاجتماعي؛ أدى إلى تضيق نطاق الطريقة التي يمكن من خلالها فهم الفوضى وتأثيرها في العلاقات الدولية. وعلى الرغم من عدم وجود جدال حول مركزية الفوضى في العلاقات الدولية، إلا أن القليل من المفكرين والمنظرين استفسروا بشكل نقدي عن جوهر هذا المفهوم. وتبنى معظمهم التعريفات الشائعة للفوضى، والمتمثلة في غياب الحكام، وغياب سلطة مركزية، ونظام المساعدة الذاتية. صحيح أنه لا يوجد جدال حول الفهم الأساسي للفوضى، مع ذلك، استمرت الدراسات في التركيز على تأثيرات الفوضى، وليس على تطوير المفهوم ذاته[16].

توصل بريشاد وهافركروفت من خلال مراجعتهم لمفهوم الفوضى داخل نظريات العلاقات الدولية، لوجود استراتيجيتان للتعامل مع الفوضى. الأولى، قبول بعض المفكرين والمنظرين تصور والتز للفوضى؛ تقوم على أساس قبول المفكرين تصور الفوضى كنظام المساعدة الذاتية، فكل دولة تزيد أمنها من أجل البقاء، لغياب سلطة مركزية. الثانية، هناك من رفض تماماً الفوضى كطريقة للتفكير في السياسة الدولية[17].

بينما تأتي مقالة جاك دونيلي Jack Donnelly (1951) المعنونة "The discourse of Anarchy in IR"، المنشورة عام 2015، لتناقش التوقيت التي أضحت الفوضى ركناً في حقل العلاقات الدولية. جادل بأنه عادةً تتعامل العلاقات الدولية المعاصرة مع الفوضى بأنها السمة المركزية من الناحية التحليلية. علاوةً على ذلك، حقل العلاقات الدولية منذ تأسيسه قد تمحور حول خطاب الفوضى. مع ذلك رأى نادراً ما كانت الفوضى مفهوماً مركزياً في العلاقات الدولية حتى ثمانينات القرن الماضي، أي قبل تطوير والتز نظريته الواقعية الجديدة في كتابه "نظرية السياسية الدولية" المنشور عام1979[18].

---

[15] Ibid.

[16] Jonathan Havercroft and Alex Prichard, "Anarchy and International Relation theory: A reconsideration', ***Journal of International Political Theory***, Vol.13, no. 3 (July 2017): 252-253, https://bit.ly/2kpgrtY.

[17] Ibid, p.262.

[18] Jack Donnelly, "The discourse of anarchy in IR", ***International Theory,*** Vol. 7 (Nov.2015): 393-395, https://bit.ly/2UQ6XqB.

بعد مراجعة دونيلي 145 كتاباً نُشروا بين عامي 1895–1978، حيث لم يتم فرض المركزية المفاهيمية والتحليلية للفوضى في الواقع الدولي، إنما برزت حديثاً. يدلل على ذلك، بمراجعة تاريخية للكتب ذات العلاقة بالمفهوم، فمثلاً، ظهرت الفوضى مرتين فقط في كتاب إدوارد هالت كار E.H. Carr (1892–1982)، الذي جاء قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية وفشل عصبة الأمم "أزمة العشرين عاماً". بينما لم تحتوي الإصدارات السبعة من السياسة بين الأمم لهانز مورغنثاو Hans Morgenthau (1904–1980) على فهرس محتويات معنون بالفوضى. أما كتابه الثاني الرجل العالمي مقابل سياسة القوة؛ أشار مرة واحدة إلى "الفوضى الدولية لعصرنا"، وليس للعلاقات الدولية بشكل عام[19].

توصل دونيلي لعدة استنتاجات، بأن ربع الكتب التي فحصها قبل عام 1979 لم تذكر مفهومي الفوضى Anarchy، أو الفوضوي Anarchic على الإطلاق. بينما الربع الآخر استخدمها مرة أو مرتين فقط. أما في كتب أخرى قُدّمت الفوضى كسمة عامة للسياسة الدولية[20]. فدعم افتراضه بأن الفوضى لم تكن مركزية في مجال العلاقات الدولية، أو وجود استخدام متكرر لهذا المفهوم في كتابات المفكرين والمنظرين. ويعد دونيلي من أنصار التوجه الثاني الرافضين لفكرة الفوضى، وكما أشار هناك القليل من الإجماع حول ماهية الفوضى، وأن التفكير في الفوضى كميزة أساسية للعلاقات الدولية يمثل إشكالية كبيرة. بناء على ذلك؛ من الأفضل استخدام مصطلح "اضطراب Disorder" عوضاً عن الفوضى[21].

وهناك من ناقش موضوع المغالاة في التركيز على الفوضى من أمثال جون أغنيو John Agnew (1949) في مقالته " The Territorial Trap: The Geographical Assumptions of International Relations Theory"، معتبراً أن التركيز على الفوضى كعامل رئيس، هو فخ أطلق عليه اسم "الفخ الإقليمي"، مستعرضاً بعض حالات التي أجبرت منظري العلاقات الدولية على تحرير أنفسهم من قبضته. ثم يستكشف التحولات في ماذا ومن وكيف ولماذا في دراسة العلاقات الدولية. وهو يعتبر التحول المصطلحي من دراسة الحوكمة الدولية إلى دراسة الحوكمة العالمية مبرراً، لأن أهداف الحوكمة العالمية لم تعد تعكس مصالح الدول

[19] Ibid.
[20] Ibid, p.396.
[21] Havercroft and Prichard, "Anarchy and International Relation", p.254.

فحسب، بل تشمل الآن الجهات الفاعلة الأخرى، بما في ذلك المنظمات الدولية، والشركات عبر الوطنية والمنظمات غير الحكومية، وأنواع جديدة من الشبكات[22].

1.8 هيكل الدراسة

استناداً على كل من الإشكالية والفرضية، قُسمت هيكلية الدراسة إلى مقدمة وخمسة فصول رئيسة.

الفصل الأول: أركيولوجيا مفهوم الفوضى

يعرض هذا الفصل التسلسل الزمني لظهور مفهوم الفوضى، وتبيان المفاهيم المختلفة، التي قدمتها أدبيات العلاقات الدولية للفوضى. ويعرض السياق الواقعي لظهوره في الفكر السياسي، من خلال العودة لإسهامات المفكرين السياسيين؛ ثيوسيديدس، ونقولا مكيافللي، وتوماس هوبز. ويهدف الفصل لمقارنة المفهوم عند المفكرين، كونهم قدموا أطروحات مختلفة حول أسباب الفوضى، وكيفية التعامل معها، للتخفيف من تأثيرها في النظام الدولي، وذلك من خلال دراستها وارتباطها بالمفاهيم الأساسية التي تناولوها في كتاباتهم، كالقوة والخوف، والحرب.

الفصل الثاني: مفهوم الفوضى من منظور واقعي، قبل وأثناء الحرب الباردة

سيُناقش هنا؛ كيف قُدم مفهوم الفوضى، وحول مركزيته داخل المنظور الواقعي، من خلال مراجعة كتب أبرز المنظرين الواقعين، في فترة ما قبل وأثناء الحرب الباردة، لذا اختِير هانز مورغنثاز، لأنه أب الواقعية الكلاسيكية. أما النظرية الواقعية الجديدة التي تنقسم إلى واقعيتين: الأولى، الواقعية الدفاعية؛ ويعد كينيث والتز الأكثر نفوذاً ضمن هذه المقاربة، فضلا عن أنه أب الواقعية الجديدة. والثانية، الواقعية الهجومية؛ ويمثلها جون ميرشايمر، فأعماله تمثل التوجهات الهجومية في النظرية الواقعية. ومراجعة أعمال كل من جورج كويستر، وروبرت جيرفس، وراندل شويللر، الذين طوروا الواقعية، مع ظهور نظرية الدفاع الهجوم. أخيراً، النظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة ويمثلها كل من جدعون روز، وجيفري تاليفيرو، وراندل شويللر.

[22] **John Agnew, "The Territorial Trap: The Geographical Assumptions of International Relations Theory", *Review of International Political Economy,* Vol. 1, No. 1 (Spring, 1994), pp. 53-80.**

الفصل الثالث: التقارب والتباعد في مفهوم الفوضى عند منظري الواقعية، قبل وأثناء الحرب الباردة

يهدف هذا الفصل لمقارنة الفوضى داخل كل مقاربة في النظرية الواقعية، قبل وأثناء الحرب الباردة. النظريات الواقعية تختلف في أسباب الفوضى، وكيفية التعامل معها، للتخفيف من تأثيرها في النظام الدولي. لا يمكن استخلاص فهم دقيق للفوضى بمعزل عن المفاهيم الأساسية الأخرى التي ارتبطت فيه كالقوة، والمعضلة الأمنية والحرب.

الفصل الرابع: التجديد والاستمرارية في مفهوم الفوضى، بعد الحرب الباردة

يهدف هذه الفصل لفحص إذا ما كانت التغيرات الدولية فرضت على منظري الواقعية إجراء تعديلات على أطروحاتهم الفكرية، المتعلقة بمفهوم الفوضى، أم دأبوا على المفهوم الذي انطلقوا منه قبل انتهاء الحرب الباردة، وهل ما زالت تعتبر هذه النظريات مفهوم الفوضى مركزياً في تنظيرهم أم لا. أي أن هذا الفصل يسعى للإجابة على الإشكالية الرئيسة التي تنطلق منها هذه الدراسة.

الفصل الخامس: الاستنتاجات؛ الفوضى في النظرية الواقعية من مورغنثاو إلى وولفورث

يسعى هذا الفصل إلى وضع أهم الاستنتاجات والاستخلاصات، التي قدمت حول الفوضى بعد مراجعة أفكار منظري الواقعية، الذين تناولوا المفهوم من مورغنثاو، حتى وولفورث.

2. اركيولوجيا مفهوم الفوضى

تتمثل أهمية الفكر السياسي في المساعدة في تشكيل وترسيخ المفاهيم الأساسية، لتأتي النظريات الجزئية لتبني مراكمة معرفية من خلال المساهمة في تطوير المفاهيم. كما جادل والتز يمكن أن "يكون الأول بدون الثاني عقيماً؛ يمكن للثاني بدون الأول أن ينتج بسهولة مدرسة علمية زائفة"[23]. ولأن هذه الرسالة تسعى لمعالجة مفهوم الفوضى في النظرية الواقعية، لابد من العودة إلى كلاسيكيات الفلسفة السياسية، نظراً لأن الأولى هي نتاج تاريخ الفكر السياسي. لذلك، لابد من تتبع تطور هذا المفهوم تاريخياً.

يسعى هذا الفصل، عرضُ التسلسل الزمني والتاريخي للمفهوم في أدبيات العلاقات الدولية، من خلال تتبع خارطة مفهوم الفوضى، وعرض المفاهيم المختلفة المقدمة عنه. وفي الجزء الثاني من الفصل؛ يهدف للبحث في جذور الفوضى داخل الفكر السياسي؛ عند كل من من المؤرخ الاغريقي ثيوسيديدس Thucydides (390–460 ق.م)، والمفكر الإيطالي نيقولا مكيافللي Niccolò Machiavelli (1469–1527)، والمفكر الإنجليزي توماس هوبز Thomas Hobbes (1588–1679)، إضافةً للكاتب البريطاني غولدزوورثي لويس ديكينسون Goldsworthy Lowes Dickinson (1862–1932)، من خلال طرح عدة تساؤلات: هل أُشير لمفهوم الفوضى بشكل مباشر وصريح؟ وكيف قُدّمت الفوضى؟ وهل عُرضت حلول لتجاوز الفوضى الدولية؟

2.1 خارطة الفوضى

خارطة الفوضى؛ ستعتمد في الطرح على التسلسل الزمني لظهور المفهوم عند المفكرين والباحثين. تعددت الآراء حول جذور مفهوم الفوضى، فالبعض رجع لآلاف السنين، وتحديداً لتاريخ ثيوسيديدس الكلاسيكي للحرب البيلوبونزية في "حوار ميليان" الشهير[24]. وهناك من وجد جذور المفهوم في نظرية هوبز للعقد الاجتماعي، وتجسيده لفكرة الفوضى في الحالة الطبيعية في القرن السابع عشر[25]. فاعُتبر بمثابة مقدمة فكرية للنظرية الواقعية، واتكأ عليها مَن جاء بعده، لاسيما في مفهوم الفوضى[26].

---

[23] Kenneth Waltz, "Political Philosophy and the Study of International Relations" in ***Theoretical Aspects of International Relations,*** ed. William T. R. Fox (Notre Dame, Indiana: University of Notre Dame Press, 1959), p.67.
[24] Corentine Denis, "Anarchy and the "Melian Dialogue": A Theoretical Comparison between Realism and Social Constructivism", On the Piraeus, accessed Sep. 4, 2015, https://bit.ly/33XIQeV.
[25] Ibid.
[26] مارتن غريفيش وتيري أوكالاهان، **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية**، (دبي: مركز الخليج للأبحاث، 2008)، ص325.

تتبع دونيلي مفهوم الفوضى في العلاقات الدولية منذ عام 1895، واستنتج بأن هذه الكلمة نادراً ما تظهر في نصوص العلاقات الدولية التي سبقت مؤلفات المنظر الواقعي الجديد والتز. للتنويه؛ الفوضى لم تتطور بشكل كامل من رأس والتز عام 1979، بالرغم من دوره الأساسي في وضع مفهوم الفوضى في قلب النظرية الوضعية من خلال كتابه "الإنسان والدولة والحرب"[27]. وفي بحثه عن جذور المفهوم؛ ورد ذكره في منتصف القرن التاسع عشر، من قبل رجل دولة وأديب بريطاني جورج لويس George Lewis (1806–1863) في كتابه "Remarks on The USE and Abuse" المنشور عام 1832، مشيراً بأن الفوضى "تُعبر بشكل صحيح عن غياب كل الحكومات، ووقف كامل لممارسة السلطة السيادية، بشكل غير صحيح يُستخدم للدلالة على ضعف أو استسلام السيادة"[28]، كما يعتبر لويس الفوضى من أكثر المصطلحات السياسية غموضاً بقوله: "الفوضى هي واحدة من أكثر الكلمات المبهمة والغامضة في اللغة"[29].

كما تعامل ألفريد زيمرن Alfred Zimmern (1879–1957) في عمله الشهير " The League of Nations and the rule of law" مع تعبير الفوضى الدولية باعتباره شعاراً شعبياً درج في منتصف الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. وأعلن المنظر السياسي الإنجليزي ليونارد وولف Leonard Woolf (1880–1969) بأنه "خلال القرن الماضي اعتبر رجال الدولة المنطقيون والمنظرون السياسيون الأمم بطبيعتها في حالة حرب دائمة"[30].

ذكر الأستاذ البريطاني في القانون الدولي توماس لورانس Thomas Lawrence (1849–1920)، في كتابه "The Principles of International Law" المنشور عام 1895 مفهوم الفوضى 5 مرات تقريباً، بإشارته "بعد حرب الثلاثين عاماً، بعد أن سئمت الفوضى، تبنت أوروبا بشغف نظاماً يحد من المحاربين ورجال الدولة"، "دون طاعة السلطات المحلية الشرعية هناك فوضى"، "حالة ثورة أو فوضى بدون سلطة شرعية"، و"الارتباك والفوضى"[31]. وفي كتابه "The Federation of the World" المنشور عام 1899 تحدث "داعية

[27] Donnelly, "The discourse of anarchy in IR", p.400.
[28] George Cornewall Lewis, **Remarks on The USE and Abuse**, (London: B. Fellowes, Ludgate street, 1832),p.225.
[29] Ibid.
[30] Andreas Osiander, "Rereading Early Twentieth-Century IR Theory: Idealism Revisited", ***International Studies Quarterly,*** Vol. 42, no. 3, (Sep. 1998): 413-414.
[31] Donnelly, "The discourse of anarchy in IR", p.426.

السلام الأمريكي" بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin (1847–1916) عن الفوضى بقوله: "مع إنشاء دولة عالمية، ستكون الاضطرابات والفوضى الدولية، كما هي الآن مؤسفة للغاية، قد ولت"[32].

في بداية القرن العشرين أشار الكاتب البريطاني جون هوبسون John Hobson (1858–1940) في كتابه المنشور عام 1902 "Imperialism A Study" للفوضى بقوله: "استبدال الحكومة بالفوضى بين الأمم". وفي عام 1911 نشر المؤرخ والدبلوماسي الأمريكي ديفيد هيل David Hill (1850–1932)، كتابه المعنون "World Organization as Affected by the Nature the Modern State"، وأشار فيه للمفهوم عدة مرات، قائلاً: "حالة الفوضى الدولية"، "فوضى دائمة في مجال العلاقات الدولية"، "قانون ضد الدولة"، و"الاعتماد على القوة، بغض النظر عن القانون والعدالة، يعني العودة إلى الفوضى وتخريب الدولة"[33].

لوجود علاقة ترابطية بين الحرب وحقل العلاقات الدولية، استند البعض للكتابات المفسرة لأسباب الحروب، وخاصة؛ الحرب العالمية الأولى. فعُثر على المفهوم في مؤلفات الكاتب البريطاني ديكنسون، الذي أرجع سبب الحرب العالمية الأولى للفوضى الأوروبية. انطلق بعضهم في حقل العلاقات الدولية لوصف الفوضى؛ على أنها غياب سلطة مشتركة. وعليه اعتبر المنظر الواقعي الجديد جون ميرشايمر John Mearsheimer (1947) ديكنسون؛ بأنه مخترع مفهوم الفوضى الدولية، بقوله:

> ديكنسون، مبتكرُ مفهوم الفوضى الدولية، وأعتقد أنه كان أول واقعي بنيوي عظيم. كان ديكنسون كلاسيكياً وسلمياً بريطانياً. كتب كتاباً في خضم الحرب العالمية الأولى (الفوضى الأوروبية)، الذي جادل بأنه لا توجد دولة، بما في ذلك ألمانيا، مسؤولة عن تلك الحرب. بدلاً من ذلك، جادل بأن الطبيعة الفوضوية للسياسة الدولية هي السبب في الحرب العظمى، ولتجنب الحروب المستقبلية فمن الضروري تجاوز الفوضى. ليس غريبا أن يصبح أحد الآباء المؤسسين لعصبة الأمم، آملا أن تجعل النظام الدولي هرمياً، فيقوض المنطق الواقعي، الذي فهم أنه قوي[34].

اعتبر بول _في كتابه_ ديكنسون مساهماً في شهرة عبارة "الفوضى الدولية". فأشار "يقال في أغلب الأحيان؛ إن وجود مجتمع دولي تدحضه حقيقة وجود فوضى بمعنى غياب سلطة مركزية (حكومة أو حكم). ومن

---

[32] Donnelly, "The discourse of anarchy in IR", p.426.

[33] Brian C. Schmidt, **The Political Discourse of Anarchy A Disciplinary History of International Relations**, (New York: State University of New York Press, Albany, 1998), p.93

[34]John J. Mearsheimer, "Conversations in International Relations: Interview with John J. Mearsheimer (Part II)", (London, Thousand Oaks, CA and New Delhi), Vol 20(2): 234.

الواضح أن الدول ذات السيادة، خلافاً للأفراد الذين يشكلون سكانها، ليست خاضعة لحكومة مشتركة وأن هناك "فوضى دولية". بهذا المعنى، وحسب هذه العبارة التي أصبحت شهيرة على يد ديكنسون"[35]. أيد أندرياس أوسياندر Andres Osiander (1962) بول بأن ديكنسون؛ هو من لفت الانتباه للطابع الفوضوي للنظام الدولي، ومنحه اسم "الفوضى الدولية"، فأشار أوسياندر "سواء صاغ هذا المصطلح أم لا، فقد ساهم كثيراً في شعبيته، بجعله الفوضى الأوروبية الفكرة المركزية لكتابه"[36]. إضافةً لذلك، احتل ديكنسون مكانةً بارزة في كتاب بريان شميدت Brian Schmidt (1967) بعنوان "الخطاب السياسي للفوضى"، فيقول "ربما لم يكن هناك تفصيل أفضل لمعنى وأهمية الفوضى الدولية، خلال سنوات ما بين الحربين، من تلك التي قدمها ديكنسون في كتاباته العديدة"[37].

آخرون رجعوا لأعمال الفيلسوف الفرنسي بيير جوزيف برودون Pierre-Joseph Proudhon (1809-1865). عقّب بريتشارد؛ رغم أن كتاب برودون يتضمن حوالي ألفي صفحة حول السياسة الدولية، إلا أن أعماله ببساطة، لا تظهر في التأريخ، أو دراسة نظرية العلاقات الدولية المعاصرة، قائلاً "أنا أزعم أن هذا غير مبرر من خلال توضيح رؤيته المقنعة والدائمة، في تاريخ وطبيعة "الدولي"[38]. استخدم برودون نظرية اجتماعية ونفسية للعدالة، ووجد الحرب والنزاع محركين رئيسين للتغيير داخل المجتمع، وأن النظام ينبثق من الفوضى العميقة "للمجتمع العالمي". إذاً، الفوضى الدولية من منظوره عبارة عن نموذج لأشكال أخرى من العلاقات الاجتماعية، فلا يراها مشكلة يجب إدارتها. بإيجاز، كانت الفوضى لبرودون وغيره من المفكرين اللاسلطويين؛ الهدف الأساسي لجميع مجالات الحياة الاجتماعية[39].

تتجلى إشارة برودون للتقدم السياسي من خلال كلمة الفوضى، معرف الأخيرة بأنها: "شكل من أشكال الحكومة أو الدستور يكون فيه الوعي العام والخاص، المتشكل من خلال تطور العلم والقانون، وحده كافياً للحفاظ على النظام وضمان جميع الحريات ... مؤسسات الشرطة، الأساليب الوقائية والقمعية السلطة الرسمية والضرائب وما إلى ذلك، يتم تخفيضها إلى الحد الأدنى ... تختفي الملكية والمركزية المكثفة، لتحل محلها المؤسسات

---

[35] هيدلي بول، **المجتمع الفوضوي دراسة النظام في السياسة العالمية**، (دبي: مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الثالثة 2006)، ص103.

[36] Osiander, "Rereading Early Twentieth – Century IR Theory", p.413.

[37] Schmidt, The Political Discourse of Anarchy, p.160.

[38] Alex Prichard, "Justice, Order and Anarchy: The International Political Theory of Pierre-Joseph Proudhon (1809-1865)", ***Millennium Journal of International Studies***, Vol. 35 (Sep. 2007), p. 623.

[39] Ibid, p.11.

الفيدرالية ونمط الحياة القائم على الكوميونات*"[40]. يُستنتج، بأن مفهوم برودون للفوضى تعني وجود اضطرابات داخلية بمعنى "Chaos".

هذا النقاش يستوجب التمييز بين عدة مفاهيم في مجال العلاقات الدولية، التي قد تفهم على أنها فوضى، مثل؛ "Chaos" و"Disordre" و"Anarchy"، من خلال تسليط الضوء على المفاهيم المختلفة في هذا السياق. كما أوضحت أركيولوجيا الفوضى، بأنه لم يُستخدم هذا المفهوم تاريخياً بشكل مباشر، وبنصٍ صريح ومكثف، رغم تأثيره ودوره على العلاقات الدولية،

2.2 الفوضى: غموض المفهوم

يشوب مفهوم الفوضى الغموض، فهو لا يتسم بالبساطة، وهذا ما أكده المؤرخ والكاتب السياسي جورج ودكوك George Woodcock (1912–1995)؛ "أول شيء يجب الحذر منه في مناقشة مفهوم الفوضى؛ هو البساطة[41].

فبعد مراجعة الادبيات التي تناولت المفهوم، اتضح وجود تداخل كبير بين ثلاثة مفاهيم رئيسة: الفوضى (Anarchy)، والشواش(chaos)، وانتفاء النظام (Disorder)، وعلى هذا الأساس لاحظت ميلنر وجود معنيين للفوضى على الأقل. المعنى الأول الذي تحمله؛ هو الافتقار إلى النظام (lack of order)، الذي يؤدي لحالة الشواش أو انتفاء النظام. هذا التوجه؛ قاد ميلنر لطرح سؤال رئيس: هل الشواش، وغياب النظام، والتهديد المستمر بالحرب هو ما قصده منظرو العلاقات الدولية بالفوضى؟ مجيبة على ذلك بالنفي. فطرحت المعنى الثاني، المرتبط بالافتقار إلى الحكومة (lack of government) في النظام الدولي، وهو المفهوم الذي استخدمه وصاغه والتز، وعدّه عاملاً مركزياً عند تأسيسه للنظرية الواقعية الجديدة[42].

استناداً على ما سبق، فرق كلٌّ من تيم دان Tim Dunne (1965)، وميليا كوركي Milja Kurki (1978)، وستيف سميث Steve Smith (1950) بين مفهومي Anarchy وChaos. فالأولى، هي "مبدأ في النظام (order). وهي ليست فوضى الفلتان أو التشويش (chaos)، وإنما تعني باليونانية "من دون حاكم"، أي عدم

* Commune: مجموعة تعيش في حياة اشتراكية.

[40] International Institute for Organization Research, “Pierre Joseph Proudhon’s basic ideas an anarchist classis and a contribution to the history of political economy”, https://bit.ly/3gVp9bo.

[41] Donnelly, “The discourse of anarchy in IR”, p 407.

[42] Milner, “The assumption of anarchy”, p.69-70.

وجود سلطة مسيطرة تفرض النظام، أو عدم وجود سلطة مركزية، أو وسيط محكم وحيد يقف فوق الدول. فعكس الفوضى؛ التسلسل الهرمي"[43]. أكد ميرشايمر على ذلك، معتبراً الفوضى لا يقصد بها بأن النظام الدولي يتسم بالتشوش أو انتفاء النظام. إنما هي بحسب النظرية الواقعية لا ترتبط بالصراع؛ بل مبدأ تنظيمي، بمعنى، أن النظام الدولي يتكون من دول مستقلة ذات سيادة لا يوجد سلطة مركزية أعلى منها[44].

هذا الغموض جلي في الدراسات العربية. هذا ما أكده أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية محمد حمشي Mohammed Hemchi، بأن مفهوم الفوضى وخاصةً في الدراسات العربية بحاجة للفحص والتدقيق، لوجود حالة من الخلط عند ترجمة الأدبيات الغربية، التي نقلت المفهوم للغة العربية، فتُترجم كل من المفاهيم التالية (Chaos) و(Disordre) و(Anarchy)، على أنها فوضى[45].

إضافةً إلى ذلك، هناك ارتباك بين منظري العلوم الاجتماعية عند تعاملهم مع الشواش؛ لذا فرق جيمس جلين James Glenn بين معنيين له: الأول، (Chaos) الذي يكتب بالحرف (C) الكبير، وهنا يمثل هذا المفهوم نظاماً رياضياً له تطبيقات عديدة غير محدودة، ولا يوجد له أي علاقة أو ارتباط بكل من الاضطرابات الاجتماعية، أو الفوضى أو الارتباك العام. الثاني، (chaos) الذي يكتب بالحرف (c) الصغير، وهنا الشواش تستخدم للتعبير عن الشق الاجتماعي (Social chaos) المرتبطة بالحالات السلبية كالحروب، والكوارث، والصراعات[46].

وهنا لا بد من إلقاء الضوء على نظرية الشواش Chaos فهي إحدى مجالات الدراسة المرتبطة بالعلوم الفيزيائية والأحياء والرياضيات، أكثر من ارتباطها في مجال العلاقات الدولية. اكتشف هذا المفهوم _عالم الأرصاد الجوية ومكتشف الآلية الكامنة وراء الشواش الحتمية، أحد المبادئ من التعقيد، إدوارد لورنز Edward Lorenz (1917–2008)، في أوائل الستينيات عندما قام ببناء نموذج حسابي يحاكي نظام الطقس، بأن الأخير يُظهر ظاهرة غير خطية تُعرف بالاعتماد الحساس على الظروف الأولية. ولاحظ بأن التغيير الذي قد يبدو غير مهم،

---

[43] تيم دان وآخرون، **نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع، ديما الخضرا**، مترجمة (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص764.

[44] John Mearsheimer, **The Tragedy of Great Power Politics**, (New York: W.W. Norton & Company, 2001), p.30.

[45] حمشي، مدخل إلى نظرية، ص19.

[46] Dimitrios Kantemnidis, "Chaos theory and international relations", (Monterey, California: Naval Postgraduate School, 2016), p. 6-7.

فكان له التأثير الأكبر والمدمر على الطقس. رغم أن الاختلاف فقط أقل من 1000/1، كان التغيير في النظام هائلاً لدرجة أنه بعد وقت قصير، لم يتحقق التعرف على أنظمة "الطقس" السابقة باستخدام النموذج[47].

هذا يعني أنه في نظام معقد غير خطي، يمكن أن يؤدي تغيير بسيط في المدخلات إلى تغيير كبير في المخرجات. بناءً على ذلك، وضع لورنز افتراضه لنموذجه الخاص حول الطقس، وهذا ما عرف لاحقاً باسم "تأثير الفراشة". يتسبب ضرب أجنحة الفراشة في الصين في حدوث إعصار في الولايات المتحدة، وتقوم على فكرة أساسية مفادها؛ أدنى تغيير في نقطة البداية يمكن أن يؤدي إلى نتائج مختلفة بشكل كبير، أي بمجرد خفقان جناح الفراشة يمكن أن يحدث تغير كبير في الطقس[48]. إذاً هناك تأثير محتمل لسلسة من الأحداث الصغيرة المترابطة على وقوع أحداث كبيرة وعلى نطاق أوسع. مع ذلك، أشار لورنزو بأن هذه الأحداث الصغيرة لا يمكن قياسها بدقة كافية، وعليه تصبح محاولات التنبؤ بالحقائق المستقبلية مستحيلة وفي أسواء الأحوال مضللة، إذن، تضع نظرية الفوضى حدوداً لإمكانية التنبؤ بالنظم المعقدة غير الخطية[49].

بالرغم من أن نظرية الشواش هي نظرية مرتبطة بالرياضيات، إلا أن لها تطبيقات في العديد من التخصصات الأخرى، كالعلوم الاجتماعية، فتطبق هذه النظرية لدراسة الأنظمة المعقدة غير الخطية للتعقيد الاجتماعي. لا يتعلق الأمر بالشواش، بل يتعلق بأنظمة شديدة التعقيد. كما استخدم منظرو العلاقات الدولية النظرية، فاقترح أستاذ السياسات الدولية المعقدة والشواشية ديلان كيسان Dylan Kissane ثلاثة افتراضات رئيسة: أولاً، طبيعة النظام الدولي تتسم بالشواش، وهو يختلف عن مفهوم الفوضى الذي يعني غياب سلطة مركزية[50].

ثانياً، الجهات الفاعلة داخل نظام شواشي تسعى للحفاظ على الأمن، وهذا ما يتقاطع مع الافتراضات التي تتبناها نظريات العلاقات الدولية التقليدية، ولا سيمّا النظرية الواقعية، لكن لابد الإشارة لوجود اختلاف بين البحث عن الأمن والسعي للبقاء، ففي سبيل تحقيق الأخيرة قد يؤدي اتخاذ فاعل في الدولة قراراً أو إجراءات سيئة قد يزعزع أمنها. للتنويه؛ فالأمن في سياق تحليل نظرية الشواش ليس متفقاً عليه، فكل فاعل قد يعرفه بطريقة مختلفة عن الآخر، ويكون مدفوعاً برغبات مختلفة لتأمينها. ثالثاً، عند السعي نحو الأمن، تتفاعل

[47] Dylan Kissane, "A chaotic Theory of International Relations? The Possibility for Theoretical Revolution in International Politics", ***Pro Polis***, no. 2, (2007): 91.
[48] Ibid.
[49] Dylan Kissane, "Mapping International Chaos", ***Contemporary issues,*** Vol. 3, no.1 (2010): 19-20
[50] Kissane, "A Chaotic Theory", p. 93-94.

الجهات الفاعلة المختلفة مع بعضها البعض؛ نظراً لأن الأمن لا يمكن تحقيقه إلا من خلال التفاعل مع أي من الوحدتين في النظام. هذه التفاعلات ينتج عنها توازن أمني، وكذلك الطبيعة الشواشية للنظام[51].

وعليه قدم حمشي إضافةً نوعية من خلال تفريقه بين المفاهيم الثلاثة، فالفوضى بمعنى (Anarchy) ليست ترادفاً للشواش (Chaos) وهو المفهوم الذي تقدمه نظرية التعقد كأداة تحليلية بديلة، والشواش هي حالة العالم قبل انتظامه في النظام (Order)، هذا الشواش يتحول ليصبح حالة الفوضى بمعنى (Anarchy)، والتي تحدث عندما ينتظم العالم في نظام. إذاً تصبح بنية النظام الدولي تعبر عن هذه السمة الجديدة من الفوضى، في خصوصية انتفاء سلطة مركزية عليا على المستوى الدولي. بالتالي، فإن حالة الفوضى في العالم قبل انتظامه في بنية نظامٍ دولي تختلف عن حالة الفوضى التي يُصبح العالم بها بعد انتظامه بنظامٍ دولي. فالنظر إلى النظام الدولي من خلال مدخل نظرية التعقد تدفع إلى فهمه على أنه نظام معقد وشواشي، أكثر من اعتباره نظاماً فوضوياً[52].

لابد من التفرقة بين الفوضى وغياب النظام disorder. فالأولى لا تعني انتفاء حالة النظام، بل العكس. وهذا ما أكده منظرو العلاقات الدولية. فيُعرَّف بول النظام الدولي: "بأنه نمط من النشاط يدعم الأهداف الأولية أو الأولية لمجتمع الدول أو المجتمع الدولي"[53]. مضيفاً، عدم وجود حكومة مشتركة تخضع لها الدول، ذلك لا يعني بالضرورة انعدام النظام disorder[54]. فوفقاً لكينيث أوي Kenneth Oye (1949) "يوجد مجتمع دولي، وإن كان مجزءاً ... قولنا السياسة العالمية فوضوية، لا يعني افتقارها تماماً إلى التنظيم. قد يجري تنظيم العلاقات بين الجهات الفاعلة بعناية في بعض مجالات القضايا، وقد تظل فضفاضة في مجالات أخرى"[55]. وبالمثل، جادل غيلبين بأن "العلاقات بين الدول تتمتع بدرجة عالية من النظام، وأنه على الرغم من أن النظام الدولي هو نظام فوضوي (أي عدم وجود سلطة حكومية رسمية)، إلا أن النظام يمارس عنصر السيطرة على سلوك الدول"[56].

---

[51] Ibid.

[52] حمشي، مدخل إلى نظرية، ص19-20.

[53] Hedley Bull, **The Anarchical Society: A Study of Orders in World Politics, Third Edition**, (London, New York: palgrave, 2002), p.8.

[54] Milner, "The assumption of anarchy", p.67.

[55] Carl Kuate Fodouop and Ronald Hatto, "Anarchy is the fundamental fact on international relations", ***International Organization***, Vol, 46 (March 2016): 2, https://bit.ly/2CAloJG.

[56] Ibid, p.2.

من خلال الطرح السابق يُستنتج وجوب التفرقة بوضوح بين المفاهيم الثلاثة، لأن الخلط سيؤدي إلى حالة إرباك. فالفوضى التي يجري التركيز عليها في هذه الرسالة هي الفوضى Anarchy بمعنى غياب السلطة المركزية، وهي مختلفة عن حالة الشواش الاجتماعية، أو نظرية الشواش. فحالة الشواش الاجتماعية هي متعارضة تماماً مع مفهوم الفوضى عند منظري العلاقات الدولية، كما أنها تختلف عن نظرية الشواش المرتبطة بنظرية التعقد، لأنها ترفض الانطلاق من رؤية النظام على أنه فوضوي، بل تصفه على أنه معقد وشواشي وغير مرتبط ببنية النظام، بل بأحداث صغيرة ومرتبطة مع بعضها البعض؛ تؤدي إلى تغييرات في النظام.

2.2.1 تعريفات الفوضى

عرف كل من ميرشايمر وأوي الفوضى الدولية؛ غياب سلطة مركزية Central Authority. وفي إجابته عن سؤال؛ ماهي دوافع ومحددات سلوك الدول الكبرى والصغرى في النظام الدولي؟ أرجع ميرشايمر ذلك لعامل الفوضى، معرفاً كذلك الأخيرة بقوله:

> جوابي؛ هيكل النظام الدولي يجبر الدول التي تسعى أن تكون آمنة وحسب، لكن عليها التصرف بقوة تجاه بعضها البعض. تتضافر ثلاث سمات للنظام الدولي، لتجعل الدول تخشى بعضها البعض: أولاً، غياب سلطة مركزية فوق الدول، ويمكن أن تحميها من بعضها البعض. ثانياً، الدول لديها دائماً بعض القدرات العسكرية الهجومية، وثالثاً، الدول لا يمكنها أبداً التأكد من نوايا الدول الأخرى[57].

كما أشار أوي لمفهوم الفوضى بغياب سلطة مركزية في الفصل الخاص به الذي جاء تحت عنوان: "Explaining Cooperation under Anarchy: Hypotheses and Strategies"، في مجلد التعاون تحت الفوضى بقوله: "تسكن الأمم في حالة من الفوضى الدائمة، لأنه لا توجد سلطة مركزية تفرض قيوداً على السعي وراء المصلحة السيادية"[58].

بينما عرف أستاذ العلاقات الدولية باري بوزان Barry Buzan (1946) الفوضى الدولية؛ غياب سلطة شاملة Overarching authority بقوله: "يجري تعريف الفوضى في النظام الدولي من خلال غياب أي سلطة

[57] Mearsheimer, The Tragedy of Great Power Politics, p.30-31.
[58] Kenneth A. Oye, **Cooperation Under Anarchy**, (New Jersey: Princeton University Press ،1986), 1

سياسية شاملة. لأكثر من ثلاثة قرون، اتخذت الفوضى شكل الدول الإقليمية ذات السيادة التي تدعي كل منها أنها المصدر النهائي للسلطة السياسية داخل مجالها الخاص"[59].

يعرف كل من أكسلرود وروبرت كيوهان Robert Keohane (1941) الفوضى؛ غياب حكومة مشتركة بقولهم: "تحقيق التعاون أمر صعب في السياسة العالمية، لا توجد حكومة مشتركة لتطبيق القواعد، وبمعايير المجتمع المحلي، المؤسسات الدولية ضعيفة، الغش والخداع متوطنة، تحتاج الفوضى أيضاً إلى تعريفها بوضوح. كما هو مستخدم هنا، يشير المصطلح إلى عدم وجود حكومة مشتركة في السياسة العالمية، وليس إلى إنكار وجود مجتمع دولي _على الرغم من كونه مجزأ _"[60].

يميز المنظر الأمريكي والتز في كتابه Theory of International Politics المنشور عام 1979 بين مفهومي الفوضى anarchy والهيراركية hierarchy؛ على اعتبار النظام الدولي يتسم بالفوضوية، في ظل غياب التسلسل الهرمي، فتصبح الفوضى هي التعريف أو "مبدأ الترتيب" للعلاقات الدولية"[61] بقوله: "ترتبط أجزاء النظام الهرمي ببعضها البعض بطرق تحدد من خلال تمايزها الوظيفي، ومدى قدراتها. وحدات النظام الفوضوي غير متمايزة وظيفياً"[62].

منظر العلاقات الدولية والسياسة الخارجية جون إيكنبيري John Ikenberry (1954) عبر عن الفوضى الدولية؛ بغياب التسلسل الهرمي Hierarchy، وهو مصطلح مرادف للفوضى Anarchy، بقوله:

> تفترض النظريات الواقعية أن طبيعة الوحدات التي يتألف منها النظام الدولي ذات سيادة، وبقدر ما لديها القدرة الكافية، فهي قوى عظمى. السيادة كما يفهمها الواقعيون؛ هي السيادة الويستفالية، وهذا يعني أن الدول تمنح مجموعة من الحقوق، وتتحمل مجموعة من المسؤوليات، أهمها الاعتراف المتبادل بالاستقلال الذاتي لكل منهما والمساواة القانونية. يفهم الواقعيون على أنها إحدى الوسائل الأساسية التي يجري من خلالها إضفاء الطابع المؤسسي على نظام الدول الفوضوية، وبالتالي تعزيز أولوية الدولة، وغياب التسلسل الهرمي المميز للفوضى، وتوفير درجة من الانتظام للفوضى[63].

---

[59] Barry Buzan "peace, Power, and Security: Contending Concepts in the study of International Relations", ***Journal of Peace Research*** **21** (2) 1984: 111-112.

[60] Oye, Cooperation under Anarchy, p. 370.

[61] Gudworth and Stephen, "Anarchy and Anarchism", p2.

[62] Kenneth N. Waltz, **Theory of International Politics**, (California: Addison-wesley Publishing Company, 1979), p.97.

[63] Daniel Deudeny and G.John Ikenberry, "The Nature and sources of liberal international order", ***Review of International Studies,*** Vol. 25 (1999):178.

يتفق أستاذ العلوم السياسية يانيس ستيفاتشتيس Yannis Stivachtis (1965) في مقالته "The International system and the use of weapons of mass destruction" مع تعريف والتز وإيكنبيري، بإشارته:

> عند دراسة النظام الدولي، يجب التركيز على ثلاث قضايا: أولاً، هيكل النظام. ثانياً، العمليات التي تجري داخلها؛ وثالثاً، القواعد والمعايير التي تسعى إلى تنظيم سلوك الفاعلين في النظام. تخبر بنية النظام الدولي المرء أولاً، كيف ترتبط الوحدات (الدول) المكونة للنظام ببعضها البعض (التسلسل الهرمي مقابل الفوضى)؛ وثانياً، كيف تُوزع الطاقة داخل النظام (القطبية)[64].

يتناول أستاذ العلوم السياسية روبرت باول Robert Powell (1956) مفهوم الفوضى؛ بوصفه غياب سلطة أعلى Higher Authority فيقول: "لا توجد سلطة أعلى يمكن أن تمنعهم من استخدام الوسائل التي لديهم" بالإشارة منه إلى الوحدات داخل النظام الدولي[65]. يتفق أستاذ دراسات الحرب جان أنغستروم Jan Angstrom مع باول معرفاً الفوضى؛ "تكمن المعضلة الأمنية في نهاية المطاف في الفوضى، أي غياب سلطة أعلى على الفاعلين"[66].

من التعريفات السابقة يتضح أن تعريف الفوضى تعني غياب سلطة مركزية وغياب التسلسل الهرمي. كما أتضح بأنها فكرة أساسية، وحقيقة مركزية في فهم وتحليل السياسية الدولية، وحسب هؤلاء المفكرين والكتاب؛ يجب أن ينبثق أي فهم للسياسة الدولية من فهم هذه الحقيقة[67]. إلا إن هذه النظرة للفوضى والنظام الدولي لم تخلُ من وجود انتقادات أو حتى تقديم صياغات بديلة[68]. لذا، تسعى هذا الرسالة في الفصول القادمة إلى إعادة النظر بمفهوم الفوضى الدولية، وفحص مكانته في نظريات العلاقات الدولية.

---

[64] Yannis A. Stivachtis, "The international system and the use of weapons of mass destruction", ***Journal of Strategic Studies,*** Vol. 23 (2000)

[65] Robert Powell, "Anarchy in international relations-neoliberal debate", ***International Organization***, Vol. 48, No.2 (spring, 1994): 330.

[66] Jan Angstrom, "The Sociology of Studies of Ethnic Conflict: Explaining the Causal States of Development", ***Civil War,*** (2000): 33.

[67] Milner, "The assumption of anarchy", p.68

[68] Gudworth and Stephen, "Anarchy and Anarchism", p2.

2.3 تجليات الفوضى عند أهم المفكرين

قبل البحث في مفهوم الفوضى في النظرية الواقعية، لابد من العودة إلى تجليات الفوضى عند المفكرين والكتاب الذين تناولوا في كتاباتهم تأثيراتها على مجريات الأحداث في العصور التي عايشوها. تجدر الإشارة، إلى أن بروز المفهوم في فكر كل من ثيوسيديدس ومكيافللي وهوبز وديكنسون رافقه سياق واقعي أثر على فكرهم وعلى تبلوره. رغم أن هذا المفهوم لم يستخدم بنص صريح إلا عند ديكنسون. ولكن الإشارات بوجود حالة الفوضى هي التي اعتمد عليها في تحليل هذه الجزئية. ما هو مفهوم هؤلاء المفكرين للفوضى، وكيف قدموها؟ هل يمكن قراءة فهمهم لها كتوصيف لحالة العلاقات بين الدول؟ وعليه فالبداية بالسياق الواقعي قبل الحديث عن ارتباط مفهوم الفوضى عند المفكرين والكتاب، وارتباطه بالمفاهيم الأخرى التي استخدموها في كتاباتهم.

2.3.1 السياق الواقعي لظهور مفهوم الفوضى

السياق الواقعي الذي أرخه ثيوسيديدس والذي يعتبر حدثاً سياسياً فريداً؛ وهو تاريخ الحرب بين اتحاد البيوبلونزيين واتحاد الديليان، بدءاً من لحظة وقوعها في القرن الخامس قبل الميلاد، معتقداً بأنها ستكون حرباً كبرى، والأكثر فظاعةً من أي حربٍ سبقتها. لذا يُعد كتابه "تاريخ الحرب البيلوبونزية" السجل الأكثر شهرة، والمعتمد لهذه الحرب، في حقل العلاقات الدولية[69]. هدفه من الكتابة هو تقديم إرشادات ونصائح، لكل من قادة الدول والعسكريين، وحتى المواطنين؛ لتجنب الوقوع في ذات الأخطاء التي اتبعها أسلافهم، فأشار، "سوف أكون راضياً وسعيداً، إذا اعتبر الساعون إلى معرفة الماضي معرفة حقيقية، كتابي هذا عملاً مفيداً، وعوناً على فهم المستقبل، الذي في سياق مسار البشرية، يجب أن يشبه الماضي، إن لم يتطابق معه"[70].

الكتاب جهدٌ تفسيري لوقوع دولتين في حربٍ طاحنة، بعد عقودٍ طويلة من السلام. غرض استعراض تاريخ الحرب البيوبلونزية؛ هو البحث في الأسباب الحقيقة، التي جعلت من المواجهة العسكرية بين أثينا* وإسبارطة* حتمية. أعرب ثيوسيديدس، "فيما يتعلق بالأسباب التي دفعت أثينا وإسبارطة إلى خرق ما كان بينهما من هدنة.

---

[69] ليو شتراوس وجوزيف كروبسى، تحرير، **تاريخ الفلسفة السياسية الجزء الأول من ثيوكيديديس حتى إسبينوزا**، محمود ق، مترجم، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص28.

[70] غراهام أليسون، **حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة هل تنجح الصين وأمريكا في الإفلات من فخ ثيوسيديدس؟**، إسماعيل سليمان، معرب، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2018)، ص79.

*عرفت أثينا بمهد الديمقراطية، فتميزت بمبادئ الحرية والمساواة، ولا سيمّا بعد تحول نظامها السياسي من الحكم الملكي الفردي الذي ساد قروناً طويلة ودخولها بتجربة سياسية جديدة من الحكم والتي عرفت لاحقاً بالديمقراطية.

*وصفت إسبارطة على أنها نموذجاً "للثقافة العسكرية" الأمر الذي جعل منها القوة المهيمنة في بلاد اليونان بفضل جيشها المحترف قبل الغزو الفارس عام 490 قبل الميلاد.

اقترح أن نتحدث أولاً عن أسباب شكاوى كل منهما في حق الآخر، وعن الحالات المحددة التي شهدت تصادم مصالح بينهما"[71]. وعقّب؛ "مثل هذه النقاشات والجدال، غالباً ما يشوش على السبب الحقيق للحرب". بذلك، أعطى الأهمية المركزية للسبب الجذري الذي جعل الحرب "قدراً محتوماً، ألا وهو صعود أثينا، والخوف الذي بثه ذلك الصعود في إسبارطة"[72].

بدايةً، كانت اليونان القديمة _ما قبل القرن الخامس ق. م_ معزولة، وعبارة عن مجموعة من المدن–الدول التي تتمتع كل واحدة منها بالاستقلال والحكم الذاتي. واعتمدت العلاقات بين الدول في القرن الخامس ق.م بشكل أساسي، على موازين القوى بين الدول[73]. واتسمت البيئة الدولية لدول المدن اليونانية المستقلة (750–330 ق.م) في حالة "فوضى"؛ بمعنى أن 200 دولة كانت واقعة حول بحر إيجه، لم يعترفوا بوجود أي حكومة مشتركة عليا، ولا حتى أي منظمة أعلى من سيادتهم، تكون قادرة على فرض سيطرتها لضبط الشؤون الدولية. في الوقت ذاته، لم يكن هناك قواعد أو قوانين دولية رسمية متفق عليها بين الدول، قد تقيد سلوك الوحدات السياسية[74].

انتشار مثل هذه المجتمعات، في ظل غياب سلطة عليا؛ جعل الحروب بين الأنظمة السياسية أمراً شائعاً. في ظل المصالح المتضاربة، قررت كل حكومة بشكل مستقل؛ ما الذي يشكل العدالة لنفسها، وفي غياب القانون الدولي، يجب أن تكون جميع الحكومات مستعدة لاستخدام العنف، أو التهديد به، لفرض وجهة نظر هذه للعدالة[75]. الغزو الفارسي للبلاد الإغريقية عام 490 ق.م؛ أجبر المدن اليونانية على التوحد لمواجهة هذا الخطر المشترك. فتمكنت القوات اليونانية المتحالفة المكونة من الجيشين الأثيني والأسبارطي وحلفائهم في بداية القرن الخامس ق. م، من إخراج الفرس من البلاد الإغريقية بحربٍ عظيمة[76]. لعبت هذه الحرب دوراً في تغيير ميزان القوى في العالم الهيليني. أيقنت أثينا أهمية الدور المركزي الذي لعبه أسطولها البحري في هزيمة

---

[71] أليسون، حتمية الحرب، ص80-81.

[72] المرجع السابق.

[73] جوزيف س ناي، **المنازعات الدولية مقدمة للنظرية والتاريخ**، أحمد الجمل ومجدي كامل، مترجمان، (القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 1997)، ص25.

[74] Arthur M. Eckstein, "Thucydides, International Law, and International Anarchy", in ***The Oxford Handbook of Thucydides***, ed. by Ryan K. Balot, Sara Forsdyke, and Edith Foster (New York: Oxford University Press, 2017), p.491-491.

[75] Ibid, p. 491-491.

[76] ناي، المنازعات الدولية، ص25.

الفرس، ما دفعها نحو تعزيز مكانتها إلى جانب القوى المهيمنة في البلاد الإغريقية، ونجحت في تحقيق ذلك[77]. فبعد ما يقارب 50 عاماً من الحرب تحولت أثينا إلى إمبراطورية[78].

بالرغم من حالة الوحدة اليونانية خلال الحروب الفارسية، برزت صراعات خطيرة بين دول التحالف، ومردّ ذلك غالباً، لخوف دول المدن الأصغر من الإمبريالية الأثينية وتوسعها. وبعد الانتصارات اليونانية، شكل منافسو أثينا اتحاد البيوبولونزية، تحت قيادة إسبارطة، وهي عبارة عن تحالف ونظام أمن جماعي، لردع التوسع الأثيني المطرد[79]. فحُكم العالم الإغريقي بقوتيين كبيرتين؛ إسبارطة وأثينا. قسمت هاتان المدينتان–الدولتان العالم الإغريقي إلى معسكرين*، عندما اعترفتا بتشكيل "التحالف الهيليني" عام 481 ق. م[80]. البلاد اليونانية كانت قائمة آنذاك على الاستقطاب الشديد، فتحالفت معظم الدول_المدن مع إحدى هاتين القوتيين. أما الدول التي اتبعت سياسة الحياد؛ واجهت المخاطر، وندمت على ذلك[81]. بالمحصلة، أُقيم العالم الإغريقي على أساس توزان القوى ثنائي القطبية؛ بين اتحاد البيوبلونزيين واتحاد الديليان، اللتين تمكنتا من السيطرة على تحالفاتهما، بفضل قوتهما الهائلة[82].

أدى استمرار تعاظم قوة أثينا العسكرية؛ لازدياد مخاوف القادة الإسبرطيين؛ واقترح بعضهم القيام بهجوم استباقي ضد أثينا، لتذكير العالم الإغريقي بأن إسبارطة لا تزال القوة المتفوقة في بلاد الإغريق، فاندلعت الحرب البيلوبونزية الأولى ما بين عامي 461–445 ق.م.[83]. إيمانهم بهذه الخطوة، كان نابعاً من افتراضهم بأن استمرار صعود أثينا دون رادعٍ، سيؤدي إلى زعزعة أمن وهيمنة إسبارطة، وسيقود ذلك في نهاية المطاف نحو الحرب[84].

القوتان كانتا على دراية بضرورة وجود تفاهمات مشتركة بينهما، لإدارة التنافس بطريقة سلمية، في ظل وجود عدة قضايا خلافية، وإسبارطة كان لديها إيمان راسخ بأهمية الدبلوماسية لإلجام الصعود الأثيني، فوُقّعت معاهدة

---

[77] أليسون، حتمية الحرب، ص84.

[78] ناي، المنازعات الدولية، ص26.

[79] Robert Jackson and George Sorensen, **Introduction to International Relations Theories and Approaches Fifth Edition**, (New York: Oxford University Press: 2013), p. 68.

*"رابطة ديليان" التي كانت بقيادة أثينا وضمت لتحالفها الدول الواقعة على بحر "إيجة" نظراً لتجه أعين أثينا على العالم الخارجي، في حين شكلت أسبارطة تحالفاً دفاعياً يضم الدول المجاورة لها في جزيرة بيلوبونيزيا، عرف باسم "رابطة البيوبولونزية".

[80] دايفد باوتشر، **النظريات السياسية في العلاقات الدولية من ثيوسيديدس حتى الوقت الحاضر**، رائد القانون، مترجم، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013)، ص113.

[81] المرجع السابق، ص151.

[82] المرجع السابق، ص148.

[83] ناي، المنازعات الدولية، ص26.

[84] أليسون، حتمية الحرب، ص81-88.

سلام عام 446 ق.م بين الطرفين، بعد وقوع الحرب البيوبولونزية الأولى 461–445 ق.م. أرسيت دعائم جديدة في نظام الدولة؛ وفرت ثلاثة عقود من السلام والاستقرار، من خلال تسوية المنازعات بالطرق السلمية؛ كالمفاوضات وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وبموجب هذه المعاهدة اعتُرف بأن أثينا أصبحت طرفاً مساوياً لإسبارطة[85].

هذه المعاهدة لم تمنع من وقوع حرب بيلوبونزية ثانية عام 431 ق.م.[86]، مع استمرار ازدياد خوف إسبارطة بالتوازي مع نمو قوة أثينا، ارتأى للغالبية العظمى من الإسبارطيين؛ بأن القوة الأثينية ستشكل تهديداً على أمنهم وبقائهم وقوتهم، فصوت مجلس العموم لصالح قرار الحرب، وأشار ثيوسيديدس حيال ذلك، "صوت الأسبرطيون لصالح إعلان الحرب، لأنهم كانوا خائفين من تزايد تنامي قوة أثينا مستقبلاً، خاصة أنهم كانوا يشهدون بأعينهم أن الجزء الأكبر من بلاد اليونان أصبح، بالفعل، تحت سيطرة أثينا"[87].

اختلال ميزان القوى في البلاد اليونانية لصالح أثينا، أدى إلى اندلاع الحرب البيوبولونزية. هذا ما أكده ثيوسيديدس، محدداً جذور الحرب في التوزيع المتغير للقوة بين كتلتين من المدن–الدول الإغريقية: رابطة الديليان ورابطة البيوبولونزية[88]. صحيح أن إسبارطة خرجت منتصرة من الحرب، لكنْ، ليس بالقوة التي كانت تحوزها سابقاً، فانهارت التحالفات الموالية لها واستُنزفت ثرواتها. وكانت هذه الحرب نهاية الحضارة الإغريقية؛ وانهار النظام العالمي الذي أرسي بموجب معاهدة السلام، التي نصت على ضبطه من خلال قوانين متفق عليها ومبدأ توازن القوى[89].

نمو قوة أثينا، وحالة الخوف الذي بثه ذلك لدى الإسبارطيين؛ دفعهم لكسر معاهدة السلام مع أثينا. حقيقةٌ تُبرر سلوك الدول بحسب ثيوسيديدس، نتيجة الإكراه أو الضرورة التي تعفيهم من اللوم الأخلاقي. نظراً لأن إسبارطة كانت مجبورة على انتهاك المعاهدة، بسبب التحول في ميزان القوى الذي عرّضهم للخطر، وهذا ما يبرر الهجوم الوقائي نتيجة التهديد التي يتعرض له أمن الدولة. كما أن الأثينيين برروا إمبرياليتهم بمعزل عن أية مبادئ أخلاقية، وحجتهم تستند على الضرورات المتجذرة في كل من هيكل السياسة الدولية والطبيعة البشرية[90]. توسع

---

[85] المرجع السابق.

[86] ناي، المنازعات الدولية، ص26.

[87] أليسون، حتمية الحرب، ص93.

[88] W. Julian Korab-Karpowicz, "How International Relations Theorists Can Benefit by Reading Thucydides", ***The Monist,*** Vol. 89, (April 2006): 233

[89] أليسون، حتمية الحرب، ص93-96.

[90] Eckstein, "Thucydides, International Law", p.374-375.

الإمبريالية الأثينية؛ أقيم على أسس أمنية، والمنفعة والمصلحة الذاتية، وليس على مبادئ أخلاقية. مؤكدين أولوية القوة عن العدالة في العلاقات ما بين الدول، نظراً لأن الأخلاق لا يمكن أن تكون في مرتبة متقدمة على القوة[91].

تعود جذور كتابات مكيافللي، وافكاره السياسية؛ للفترة التي عاشها خلال عصر النهضة، في أوائل القرن الخامس عشر. عندما بدأ بالكتابة كانت إيطاليا منقسمة لخمس دويلات* دائمة النزاع؛ وسادت حالة الاضطرابات السياسية بين تلك الدويلات، فلم تشهد إيطاليا حالة الاستقرار، أو وجود أي قوة قادرة على توحيدها ما جعلها عرضة للاحتلال الخارجي من قبل القوة الأوروبية مثل فرنسا ألمانيا وإسبانيا. كما عانى الشعب الإيطالي الذل والظلم نتيجة الحكم المستبد. لذا قدم وجهة نظره حول الطريقة التي يجب أن تُحكم بها الدولة والطريقة التي يجب أن تدار بها العلاقات بين الدول بهدف تحقيق أفضل نتائج للدولة[92].

من أشهر أعماله* كتاب "الأمير"، الذي كتبه عام 1513، والذي طغى على جميع مؤلفاته، وأهداه إلى لورينزو دي ميديتشي (Lorenzo de Medici)، في محاولته كسب رضى الميدتشيين لتوحيد إيطاليا، ولكن، فشل في تحقيق ذلك[93]. هدف من عمله معرفة كيفية بناء الإمارات، والمحافظة عليها، كونه عاش في زمن كان يتداعى فيه النظام السياسي في أوروبا، وبرزت مشكلات جديدة داخل الدولة. وحاول التنبؤ بالمشكلات الحتمية للدولة، من خلال وضع عدة ضوابط وقواعد للعمل السياسي. ارتبط معنى الدولة باعتبارها كياناً سياسياً ذا سيادة بالاستعمال السياسي الحديث، حتى غدت الدولة أقوى مؤسسة في المجتمع الحديث[94]. وتلاه كتاب "المطارحات" الذي وضعه عام 1517[95].

كتابته في عصر النهضة الإيطالية، وفي ظل وجود دول المدن التي كانت تتنافس فيما بينها على القوة، بدعم من القوى الأجنبية، جعلها عرضة للتدخلات الخارجية. أرجع مكيافللي مسؤولية تفكك إيطاليا وضعفها وتعرضها للغزو الخارجي على الكنيسة والبابوية، فالبابا كان أضعف من أن يوحد إيطاليا، بالمقابل كان يتمتع بدرجة كافية من القوة، تحول من إمكانية قيام حاكم آخر بهذه المهمة، وبحكم علاقاته الخارجية؛ لجأ البابا لطلب

---

[91] Korab-Karpowicz, "How International Relations", p.233.

* الخمس دويلات هي: مملكة نابولي في الجنوب، ودوقية ميلان في الشمال الغربي، والجمهورية الأرستقراطية بالبندقية في الشمال الشرقي، وجمهورية فلورنسا والدولة البابوية في الوسط.

[92] سمير إسماعيل، **أساطين الفكر السياسي من مكيافيللي إلى جون لوك**، (بيروت: بيرسان، الطبعة الأولى كانون الثاني 2018)، ص10.

* تجدر الإشارة بأن أعمال مكيافللي نشرت بعد وفاته عام 1927، فكتاب الأمير نشر عام 1931، بينما المطارحات عام 1932.

[93] برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة**، محمد الشنيطى، مترجم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977)، ص25.

[94] جورج سباين، **تطور الفكر السياسي الجزء الثالث**، **راشد البراوي**، مترجم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،2010)، ص48-49.

[95] إسماعيل، أساطين الفكر السياسي، ص12.

المساعدة والحماية من الدول الأوروبية، والتي كانت بمثابة دعوة للتدخل في الشؤون الداخلية الإيطالية[96]. فأشار إلى "إن الإيطاليين مدينون للكنيسة وقساوستها بقلة تدينهم وتدهورهم الأخلاقي، ونحن مدينون لها بأكثر من ذلك بانقسام إيطاليا وضعفها"[97].

لذلك كان هدف مكيافللي توحيد إيطاليا وتأسيس دولة قوية قادرة على القضاء على الفوضى، التي مزقت بلاده. هذا فعلياً؛ ما يفسر اهتمامه ببناء وتوحيد الدولة الإيطالية وضرورة جود أخلاق داخل الدولة، فالدولة القوية "لا يمكن أن تقوم إلا على أساس متين من الأخلاق"[98].

لذا توصل من خلال مهماته الدبلوماسية بعدم وجود "خير عام عالمي"؛ لأن وظيفة النشاط السياسي؛ هي تحقيق الصالح العام والتي يقصد بها صالح الدولة ذاتها؛ أي داخل المجتمع أو الجماعة، وعلى الدولة أن تندفع نحو مغامرات خارجية لتحقيق هذا الصالح. بالتالي لا وجود لأي دور للأخلاق بين الأمم في حساباته، والأخلاق فقط تتوطد داخل الدولة بواسطة حكومة قوية ومستقرة[99]. فإذا كان على الدولة أن تبقى في ظل بيئة تنافسية وفوضوية في السياسة الدولية؛ يجب أن يكون الحاكم ذكياً وعملياً في إدارة شؤون الدولة[100].

المشكلة التي كانت تعاني منها المدن الإيطالية؛ هو الافتقار للتماسك الدولي، وكانت نموذجاً للانحطاط والفساد الأخلاقي والسياسي، وهذا يؤدي إلى عدم الاستقرار الذي جعلها عرضة للخطر. فتجلّت آراؤه؛ بأن حكام فلورنسا وفي المدن الأخرى؛ لم يكونوا دوما مثاليين في إدارة دولهم، وحتى في تنظيم العلاقات بين الدول، وهذا ما يفسر الوضع المثير للشفقة لفلورنسا وإيطاليا ككل، مع عدم الاستقرار السياسي، والاعتماد غير الضروري على القوى الأجنبية للحفاظ على نفسها. اقترح مكيافللي على الحاكم الذي يرغب أن يكون حكيماً، بالتزامه للبراغماتية في إدارة شؤون دولته، وعدم اعتبار المعايير الأخلاقية حكماً على أفعاله، ولكن لا مندوحة عن القيام بما هو ضروري، فيما يتعلق بأمن الدولة، أي أن الغاية تبرر الوسيلة[101].

إن المفكر نتاج بيئته وزمنه؛ لذا فكر هوبز وفلسفته السياسية كانت رد فعل على الزمن الذي عاصره –فوضى الحرب الأهلية في إنجلترا–، فتأثرت حياته كثيراً بالعنف. تزامنت أعماله مع غياب الاستقرار السياسي، وحالة

---

[96] سباين، تطور الفكر السياسي، ص32.

[97] أميرة مطر، **الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس**، (القاهرة: دار المعارف، 1995)، ص60.

[98] إسماعيل، أساطين الفكر السياسي، ص28-29.

[99] باوتشر، النظريات السياسية، ص194.

[100] Damian Ilodigwe, "Machiavelli and the Limits of Realism in International Relations", ***Journal of International Relations and Foreign Policy,*** Vol.7, no. 1, (June 2019):26, https://bit.ly/2GviVlx.

[101] Ilodigwe, "Machiavelli and the Limits of Realism", p.29-30.

الاضطرابات المدنية، وكانت موجهة بوضوح للسعي وراء نظام مستقر[102]. هذا ما أكده أغلب دارسي فكر هوبز، بأن الصياغات الفكرية التي توصل إليها؛ كانت نتيجة حالة الخوف التي عاشها. فدرس جورج ليون George Layon السيرة الشخصية لهوبز في كتابه "فلسفة هوبز" عام 1983، وتوصل لفكرة مفادها؛ الظروف السياسية والمآسي التي مرت بها بلاده؛ هي التي بلورت فكره حول الدولة. وأكد برتراند راسل Bertrand Russell (1872–1970) بعد نصف قرن على هذه الفكرة بقوله: بأن هاجس الخوف من الفوضى قد تملكه[103].

ينصرف اهتمام هوبز بالمقام الأول نحو العلاقات بين الأفراد، وتعليقاته حول السياسة الدولية نادرة. مع ذلك، كان لفلسفته السياسية دور في بلورة النظرية في حقل العلاقات الدولية، لجانب كل من ثيوسيديدس ومكيافللي، من خلال تقديمه تفسير منهجي لمنطق العلاقات بين القوى المستقلة، التي تجد نفسها في حالة من الفوضى، لغياب حكومة مركزية داخل النظام الدولي[104]. يمكن إيجاد الوصف الحرفي لمفهوم الفوضى عند هوبز في كتابه "اللفياثان"* المنشور عام 1651، وخاصةً من الرواية الشهير لحالة الطبيعة الواردة في الفصل الثالث عشر والخامس عشر[105]. انطلق من فرضية سهلة مفادها؛ بعدم وجود قوة فوق البشر لإبقائهم في حالة من الخوف، يجعل العالم مكاناً مهدداً. لذا، هذه التفاعلات بين الأفراد ستنتقل نحو نوع من الفوضى التي لا ينجو فيها أحد من خطر العنف أو الموت[106].

يتضح مما سبق؛ بأن الفوضى _بحسب هوبز_ تنحصر في حالة الطبيعة؛ ما قبل التعاقد، التي لا تسمح بوجود نوع من القيم المشتركة داخل المجتمع، وهي حالة حرب. باختصار لا يوجد اللفياثان، وعليه فإن التفاعلات بين الأفراد ستنتقل لحالة الفوضى، التي لا ينجو فيها أحد من خطر الموت أو العنف[107]. لذا ربط الفوضى بشكل أساسي "بالكومنولث"، وهي الحالة الانتقالية التي يكون فيها الأفراد ما قبل نشوء المجتمعات

---

[102] Giulio M Gallarotti, "More Revisions in Realism: Hobbesian Anarchy, the Tale of the Fool and International Relations Theory", ***International Relations***, Vol.45, no.3 (2008): 169.

[103] إسماعيل، أساطين الفكر السياسي، ص208-209.

[104] Hedley Bull, "Hobbes and the International Anarchy", ***Social Research***, Vol. 48, no.4 (Winter 1981): 720.

* اللفياثان مصطلح اختاره توماس هوبز للإشارة إلى "الحكومة التي توحد الإرادة الجماعية للعديد من الأفراد، تحت سلطة قوية ذات سيادة. ومصطلح اللفياثان مستوحى من وصف إنجيلي لوحش مائي ذي قوة وجبروت هائلين".

[105] Michael C. Williams, "The Hobbesian theory of international relations: three traditions", in **Classical Theory in International Relations,** ed. by Beate Jahn, (Cambridge: Cambridge University Press, 2006), p.253.

[106] Gallarotti, "More Revisions in Realism", p.170.

[107] Ibid.

السياسية، ومهمة السياسة استبدال المساواة الفوضوية بين الأفراد، والاستعاضة عنها بسلطة هرمية "سلطة مشتركة للخوف"، "سلطة متفوقة"؛ قادرة على تجاوز حالة الطبيعية داخل الدولة[108].

إسهامات هوبز في الشؤون الدولية محدودة جداً، وجادل بول، بأن حالة الطبيعة التي سبقت العقد الاجتماعي الذي أوجده اللفياثان؛ قدمت التشبيه الأكثر شيوعاً لحالة الدول، داخل النظام الدولي. أي أن الحال القائم بين الأمم مشابه لحالة الأفراد، في ظل غياب سلطان مشترك؛ يفرض سيادته وقوته لضبط تلك العلاقات. مستنبطاً ذلك من تعبير هوبز بأنه "تعيش الأمم في حالة من الحرب الدائمة، وعند تخوم المواجهة، جبهاتها مدججة بالسلاح، ومدافعها مزروعة قبالة الأمم المجاورة في كل اتجاه"[109].

إذاً، ما يقوله هوبز عن حياة الأفراد في حالة الطبيعة، يمكن تفسيره كوصف لكيفية وجود الدول وعلاقتها ببعضها البعض. تحقيق الأمن الداخلي من خلال إنشاء دولة بحسب هوبز؛ يقابله حالة من انعدام الأمن بين الدول؛ لأنه بمجرد إنشاء الدولة يصبح دافع القوة أساس سلوكها، والذي غالباً ما يتجلى في جهودها للسيطرة على الدول والشعوب الأخرى[110].

ولد ديكينسون في لندن. حيث أدى اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914 إلى تغيير مسار حياته، واصفاً تلك الحرب بـ "الرعب الأسود الذي لا يمكن تصوره"[111]. قبل الحرب كان محاضراً وكاتباً عن الأخلاق والدين، وكان مهتماً بشكل خاص في دراسة كل من الحضارة اليونانية والصينية والغربية، وبعد أقل من أسبوعين من الحرب تغيرت توجهاته الفكرية نحو دراسة العلاقات الدولية. يُنسب إليه الفضل عموماً؛ بسبقه في بريطانيا العظمى آنذاك، وصياغته لفكرة وعبارة "عصبة الأمم". لا شك بأنه كان شخصية مهمة في مجال العلاقات الدولية، خلال فترة ما بين الحربين العالميتين 1918–1939. جادل بريان "ربما لم يكن هناك تفصيل أفضل لمعنى وأهمية الفوضى الدولية خلال سنوات ما بين الحربين العالميتين؛ من تلك التي قدمها ديكنسون في كتاباته العديدة"[112].

---

[108] Jack Donnelly, **Realism and International Relations**, (United Kingdoms: the press syndicate of the university of Cambridge, 2004), p15

[109] Zaheer Kazmi, **Polite Anarchy in International Relations Theory**, (New York: Palgrave Macmillan, 2012), P.44.

[110] W. Julian Korab-Karpowicz, "Political Realism in International Relations" Jul 26, 2010, Stanford Encyclopedia of Philosophym, https://stanford.io/2AnBZz2.

[111] English Heritage, "Dickinson, Goldsworthy Lowes (1862-1932)", https://bit.ly/30lIYTm.

[112] Schmidt, The Political Discourse of Anarchy, p.160.

انخرط في التفكير والبحث في الأسباب العميقة للحرب، وكيفية منع حدوث مثل هذه الكارثة مرة أخرى. فبرز اهتمامه في مجال الشؤون الدولية من خلال كتابه "الفوضى الأوروبية" "The European Anarchy" 1916 الذي نشره بعد عامين من بداية الحرب. النسخة المنقحة من الكتاب أُعيد تسميتها تحت عنوان الفوضى الدولية عام 1926؛ صور فيه التطور المأساوي للسياسة الأوروبية ما بين عامي 1870–1914، وتطور العلاقات بين كل من فرنسا، ألمانيا، وروسيا، وبريطانيا العظمى. بصرف النظر عن فكرة الفوضى لديكنسون، إلا أنه لم يطرح بالمطلق أي نظرية للعلاقات الدولية، ولكنه عكس الحضور القوي للأفكار الواقعية في الساحة العالمية آنذاك[113].

بدأ ديكنسون تحليله بتمييز مهم بين الأسباب الكامنة والأسباب المباشرة وراء الحرب، مؤكداً على وجود ظروف خاصة أججتها؛ مثل؛ اغتيال الأرشيدوق النمساوي فرانز فرديناد، مؤكداً على أن الفوضى هي الوضع العام الذي ساد في أوروبا[114]. الحجة المركزية في كتابه بأن حرب عام 1914 لم تكن مصادفة، إنما هي مرتبطة بالوضع العام الناجم عن تجاور الدولة المستقلة المسلحة ذات السيادة، والتي لا تعترف بأي سلطة عليا ولا ترغب في تأسيسها، فالحرب ستكون حتمية طالما وجد هذا السبب[115].

أشار في مقدمة كتابه؛ الفوضى الدولية، بأن الفكرة الأساسية منه هي تسليط الضوء على المواقف والأسباب التي قادت لاندلاع الحرب العالمية الأولى[116]. يُحمل ديكنسون مسؤولية إدامة الفوضى الدولية لجميع الدول، مفترضاً بأن "الفوضى مستمرة، فإن الصراع بين الدول سوف يميل إلى اتخاذ شكل نمطي معين. سوف يسعى المرء للحصول على السيطرة على الآخرين لدوافع الأمن والسيطرة دفعة واحدة، وسوف يتحد الآخرون لهزيمتها، وسوف ينقلب التاريخ على الإمبراطورية وتوزان القوى. هكذا كان الحال في أوروبا، وسيظل كذلك، حتى يتم تحقيق إمبراطوريتين، وقد تم تحقيقه من قبل روما، أو يتم إنشاء قانون عام وسلطة مشتركة بالاتفاق"[117].

لا يمكن فهم الفوضى بمعزل عن المفاهيم الأساسية التي استخدموها وتشاركوها جميعاً في كتاباتهم لتفسير الشؤون الداخلية والخارجية، كالطبيعة البشرية، والقوة، والخوف، والطبيعة البشرية، لذا تستند الجزئية التالية على هذه المفاهيم، لتفسير فلسفتهم حول الفوضى، ولتقديم أوجه التشابه والاختلاف بينهم حولها.

---

[113] Osiander, “Rereading Early Twentieth-Century IR Theory”, p. 412-413.
[114] Schmidt, The Political Discourse of Anarchy, p.162.
[115] G. Lowes Dickinson, **The International Anarchy 1904-1914**, (New York, London: Century Co, 1926), p.8.
[116] Ibid, p.9-10.
[117] G. Lowes Dickinson. **The European Anarchy**, (New York: The Macmillan Company, 1916), 14.

2.3.2 الفوضى والطبيعة البشرية

هناك إجماع بين المفكرين الثلاثة حول أهمية عامل الطبيعة البشرية في تحليل وتفسير سلوك الأفراد والدول على حد سواء، وهذه الطبيعة تتسم بالديمومة والثبات عبر التاريخ[118]. هناك تفاوت بينهم حول درجة أهمية دراسة الطبيعة البشرية، فمثلاً كتاب ثيوسيديدس الحرب البيوبولونزية بالأساس هو لدارسة الطبيعة البشرية، والتي تدفع الأفراد والدول نحو الإمبريالية[119]. بينما يدرس مكيافللي الطبيعة البشرية لمعرفة الطريقة المناسبة لدمج الأفراد في إطار الدولة، التي هي هدفه الأسمى في جميع كتابته. أما أفكار هوبز السياسية؛ هي في نهاية المطاف حول الأفراد، في ظل الحالة الطبيعية، في محاولة تحقيق الأمن الداخلي[120]. في حين رفض ديكنسون وجود أي اعتبارات أو دور للطبيعة البشرية في السياسة الدولية[121]. إذاً، ما هي طبيعة العلاقة بين الفوضى والطبيعة البشرية في فكرهم؟

ينظر ثيوسيديدس إلى الطبيعة البشرية نظرة تشاؤمية وثابتة عبر التاريخ، فهي التي تحدد بدورها السلوك البشري. واصفاً البشر بأنهم نفعيون يتخذون قراراتهم بعقلانية، انطلاقاً من مصالحهم؛ أي أن الأفراد يسعون إلى تحقيق مكاسبهم الخاصة على حساب التضحية بالصالح العام[122]. يحصر مفهوم الطبيعية البشرية الأنانية بالنخبة الحاكمة في كل من أثينا وإسبارطة، مشيراً إلى أن تمسكهم بالسلطة لتحقيق طموحاتهم الشخصية وأطماعهم، هو الذي قاد نحو الشرور والوحشية. برر قيادات المدن حالة الحرب بترويجهم لفكرة تحقيق المساواة السياسية للجميع في حين أن الهدف المخفي كان تعزيز أرستقراطيتهم وحكمهم[123].

ألقى ثيوسيديدس اللوم على القادة الأفراد، وحثهم دافع تحقيق المكاسب الذاتية للدخول في حرب[124]. سلط الضوء على الأسباب الأبدية التي تحرك البشرية نحو الحرب، على الرغم من سرده تاريخها وتفاصيلها، إلا أن عمله بالمحصلة كان يهدف لدراسة الطبيعة البشرية، وتأثيرها على العلاقات الدولية، من خلال تبيان الصفات العامة للسلوك البشري، في ظل التحديات السياسية والأمنية[125]. فرجال الدول اتخذوا قرارات مأساوية؛ أدت إلى

---

[118] محمد عديلة، "تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والأسس"، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر - باتنة)، ص220.

[119] باوتشر، النظريات السياسية، ص147.

[120] شتراوس وكروبسى تاريخ الفلسفة السياسية، ص 434.

[121] Dickinson, The International Anarchy, p.8.

[122] باوتشر، النظريات السياسية، ص157.

[123] المرجع السابق، ص176-178.

[124] المرجع السابق.

[125] المرجع السابق، ص147.

اندلاع الحرب بين أثينا وإسبارطة، فهذه القرارات تأتي نتيجة القيود والضغوط التي تفرضها البيئة الدولية العسكرية، والخالية من القانون، في ظل غياب سلطة عليا[126].

هذا فعلياً ما يفسر الطبيعة الفوضوية للسياسية الدولية لثيوسيديدس، نظراً لوجود السمات العالمية الثلاث الخوف، والتوق للمجد، والسعي وراء المصلحة الذاتية، وهي صفات عالمية وعامة للطبيعة البشرية وهذا ما ينتج عنه سلوك بشري شرير[127]. بالإضافة إلى تمتع دول–المدن بالقوة، أي أن كل دولة لديها القوة المطلوبة؛ حتماً ستتبع سياسة توسعية، وهذا ما فعلته أثينا[128].

اتفق مكيافللي مع ثيوسيديدس بشأن النظرة التشاؤمية للطبيعة البشرية، كما فعل هوبز لاحقاً، فالبشر في طبعهم انانيون. والجماهير مدفوعة برغبة الحصول على الأمن، والحكام نحو السلطة، كما تميل الطبيعة البشرية نحو نزعة العدوان، وحب التملك، فجل اهتمام الأفراد الحفاظ على ممتلكاتهم وحتى وزيادتها. فلا حدود أمام الرغبات البشرية للاستحواذ على القوة والممتلكات. وفي ظل الندرة الطبيعية والرغبة المستمرة في التملك؛ يدخل الأفراد في حالة من النزاع والتنافس[129]. يمكن القول؛ "إن البشر بحسب مكيافللي ماكرون، عنيفون، وحشيون، غير عادلون، ومتعجرفون، أنهم جاحدون ومتقلبون ومتظاهرون ومذنبون ومتهربون من الخطر، متلهفون لتحقيق المكاسب"[130]. في مثل هذا العالم يجب أن يكون كل من القوة والأمن هي الاهتمامات العليا، فمن خلال الأولى يمكن قمع المشاعر الشريرة والأنانية للطبيعة البشرية، وفي بعض الأحيان فقط بالقسوة الوحشية[131].

الصفات البشرية تختلف من مجموعة لأخرى فالشعب أقل طموحاً من النبلاء الذين يسعون نحو الهيمنة، بينما طموح عامة الناس هو عدم خضوعهم للهيمنة. فافترض مكيافللي بأن الحاكم بإمكانه ضبط سلوك الأفراد، وجعلهم خيرين، من خلال إخضاعهم للقوانين والمؤسسات الناجحة[132]. فالقاعدة الأساسية للحكم بحسب مكيافللي؛ تقوم على افتراض أن الأفراد بطبيعتهم دائماً "أشرار"، وبالتالي حدوث الفوضى في أي وقت أمر وارد، وهذا الافتراض لن يمنعه إلا وجود حاكم قوي، قادر على فرض سيطرته، وضبط سلوك الأفراد[133].

---

[126] Eckstein, "Thucydides, International Law", p.508.

[127] باوتشر، النظريات السياسية، ص 156-157.

[128] Steven Forde, "International Realism and the Science of Politics: Thucydides, Machiavelli, and Neorealism", ***International Studies Quarterly,*** Vol. 39, No. 2 (Jun. 1995): 147, https://bit.ly/2IbNQ7c.

[129] سباين، تطور الفكر السياسي، ص38.

[130] Donnelly, ''Realism and International Relations", p.25.

[131] Ibid.

[132] باوتشر، النظريات السياسية، ص 192-193.

[133] إسماعيل، أساطين الفكر السياسي، ص19.

مما ذكر آنفاً؛ مكيافللي لم يهتم بوصف الطبيعة البشرية وسلوك الأفراد لكشف حقيقة هذه المسألة، بل هدفه ينصبّ في معرفة كيف تعيش الأفراد، وثم معرفة الطريقة التي يجب أن يحكموا بها. فيتوجب على الحاكم العاقل معرفة الصفات والخصائص التي تتميز بها الطبيعة البشرية، لأنها الأساس التي يقيم عليها سياسته. الحاكم الناجح هو الذي يهدف إلى توفير الأمن لحياة وملكية الأفراد، على اعتبار أن هاتين الرغبتين هما الأشمل في الطبيعة البشرية،[134] إذ أكد أنه "عندما يضطر الأمير إلى سلب إنسان حياته؛ عليه أن يتوخى المبرر الصالح والسبب الواضح لذلك، لكن عليه قبل كل شيء أن يمتنع عن سلب الآخرين ممتلكاتهم، إذ إن من الأسهل على الإنسان أن ينسى وفاة والده، من أن ينسى ضياع أرثه وممتلكاته"[135].

بما أن الدولة هي الغاية الأسمى لمكيافللي، فطباع وسلوك وأخلاق البشر ليست مهمة ما لم تخدم فكرة الدولة "ليكن الناس كما هم عليه: خبثاء وأنانيين وأشراراً أو غير ذلك من الصفات التي يتحلون بها فعلاً في حياتهم العملية، فهذا أمرٌ غير مهم، وغير مؤرق، بينما الأمر المهم الي ينبغي الاشتغال عليه هو كيف يمكن للحاكم أن يزج بهؤلاء في مشروع الدولة"[136].

القيود التي تواجهها الدول بحسب ثيوسيديدس ومكيافللي جزءٌ منها متأصل في بنية النظام القائم، والجزء الآخر متجذر في الطبيعة البشرية[137]. ويُستنتج بأن كلاهما اعترفا بوجود قيود مفروضة على الدول. وهذه العوامل مجتمعة تعطي نموذجاً صراعياً لطبيعة العلاقات بينهم، حتى تصبح القوة والأمن قضيتين رئيستين للدول. وصحيح أنهما أعطا أهمية لدور الطبيعة البشرية كمدخل أساسي لتفسير الصراع، ولكن هذا لا ينفي مركزية الفوضى الناتجة عن غياب سلطة عليا.

ارتكز هوبز في تفسيره لسلوك الأفراد على نظرة ثيوسيديدس التشاؤمية للطبيعة البشرية[138]. فقوانين الطبيعة ومبادئها التي طبقها ثيوسيديدس على الدول؛ أسقطها هوبز على الأفراد وعلاقتهم ببعض[139]. تعتبر إحدى أكثر مفاهيم هوبز شهرةً هي "فوضوية الحالة الطبيعية"؛ وهي الحالة التي يكون فيها البشر ما قبل نشوء الدولة[140]. وبما أن حالة الطبيعة تتسم بغياب قوة مشتركة، فكل فرد يتمتع بمركزٍ متساوٍ، أي لكل آدَميّ الحق في كل

---

[134] سباين، تطور الفكر السياسي، ص39.

[135] مكيافلي، الأمير، ص115.

[136] إسماعيل، أساطين الفكر السياسي، ص19.

[137] Steven Forde, "Varieties of Realism: Thucydides and Machiavelli, ***The Journal of Politics,*** Vol.54, no.2 (May, 1992):373.

[138] باوتشر، النظريات السياسية، ص299-300.

[139] المرجع السابق، ص306.

[140] باوتشر، النظريات السياسية، **ص 299-300.**

شيء، لعدم وجود قيودٍ على سلوكه، ويستطيع أي شخص أن يستخدم القوة في أي وقت. بالمقابل على الآخرين الاستعداد دائماً لمواجهة هذه القوة بالقوة، فلا توجد ضوابط أخلاقية[141].

ربط هوبز الرغبات البشرية بالسعادة لكل فرد، وعليه تصبح مسألة الأخلاق نسبية مرتبطة بمدى قدرة كل فرد على إشباع رغباته، ولأن هوبز من أنصار النزعات الفردية؛ افترض بأن الفرد هو كائن عقلاني، يسعى لإشباع رغباته. فالرغبات والشهوات هي ضرورية للنجاة من الموت، والحفاظ على الجسد. إذاً هناك علاقة طردية؛ كلما كان هناك عوامل تعزز من بقاء الجسد؛ كلما كان الفرد فعالاً في المجتمع، والعكس صحيح؛ إصابة الجسم بالكساد والكسل، يدفعه ذلك، نحو الموت كونه مبتعد عن المجتمع[142].

مما سبق؛ فالفرد في الحالة الطبيعية معرض للخطر في أية لحظة من قبل الأشخاص الآخرين، لغياب سلطة عليا، أو مؤسسات سياسية واجتماعية قادرة على ضبط سلوك الأفراد، لذا يمكن لأي أحد أن يكون واثقاً من أمنه وبقائه لأي فترة زمنية معقولة. يمكن القول، أن دخول الإنسان في صراع وحرب في الحالة الطبيعية، يعود لغياب سلطة مركزية قادرة على ضبط سلوكه داخل المجتمع، وبالتالي يمكن الاستنتاج بأن الفوضى الداخلية هي عامل مركزي في فلسفة هوبز.

على نقيض المفكرين الثلاثة، رفض ديكنسون إلقاء اللوم على الطبيعة البشرية كمسبب لاندلاع الحرب، لأن الأخيرة تحدث بين دول مسلحة ذات سيادة، ولا تعترف بأي سلطة عليا، فاهتمامه الرئيس ينصب بشكل خاص حول دراسة الوضع العام المتمثل بالفوضى الأوروبية[143]. يُستنتج؛ في ظل رفضه لأية عوامل داخلية لتفسير الحرب والسياسة الدولية، واستناده على البنية الهيكلية للنظام الدولي، الذي يتميز بالفوضوية، يصبح مفهوم الفوضى مركزياً في فكر ديكنسون.

2.3.3 الفوضى والقوة

آمن ثيوسيديدس بالقوة كعامل حاسم بين الدول–المدن. وسياسة التوسع التي اتبعها الأثينيون هي استجابة طبيعية لغياب سلطة مركزية في النظام، لأن العلاقات بين الدول كانت تُنظم من خلال توازن القوى والقوة وحسب، والأمن لا يتحقق إلا من خلالهما. لذا افترض أنه في ظل ظروف الفوضى، وتخوف الدولة من عواقب غياب الاستقرار في النظام، يقودها ذلك نحو اتباع استراتيجيات دفاعية لحماية مصالحها، وزيادة قوتها،

---

[141] **Korab-Karpowicz, "Political Realism".**

[142] **أحمد الظاهر**، دراسات في الفلسفة السياسية، **(اربد: دار الكندي للنشر والتوزيع، 1996)، ص108.**

[143] **Dickinson,** The International Anarchy**, p.8.**

والسيطرة على الآخرين. وكثيراً ما كانت دول المدن _بحسب روايته_ تخشى أن يكون التحول في ميزان القوى على حساب أمنها القائم أو المستقبلي، فتتخذ إجراءً نحو قرار الحرب، وهذا ما وضحه في قرار إسبارطة للدخول في الحرب[144].

أجبرت البيئة الفوضوية الدول اليونانية على تعظيم قواها العسكرية؛ نظراً للتهديدات الأجنبية المحتملة[145]. يعتمد بقاء الدول المستقلة بالدرجة الأولى على مقدار القوة النسبية التي تحظى بها. ربط ثيوسيديدس مفهوم الفوضى بميزان القوى؛ حيث يؤدي حدوث تغيرٌ كبير في توزيع القوة بين الدول إلى ازدياد احتمالية الحرب، وما ينجم عنها حالة من الفوضى. يمكن أن يتخذ هذا التحول شكل زيادة دراماتيكية في قوة إحدى الدول الكبرى، أو انخفاض كبير في قوة دولة أخرى _إما بشكل مطلق أو نسبي للحالتين_ أو كلا الاحتمالين في الوقت ذاته. وعليه عندما يحدث مثل هذا التحول الكبير في القوة، غالباً ما تكون النتيجة حرباً دولية، أو ما تعرف "بحرب الهيمنة"، ويكون هدفها إحداث تغيرات جديدة في شكل النظام الدولي بين الأقطاب لتوزيع النفوذ[146].

حوار ميليان؛ الذي يرجع لأحداث عام 416 ق. م، بين القوة العظمى أثينا والمستعمرة الصغيرة ميلوس هو المثال الأكثر شهرة لفهم العلاقات الدولية، ومدى وجود علاقة ترابطية بين الفوضى والقوة. اتخذت ميلوس موقف الحياد من الحرب البيلوبونزية. فرأت أثينا أن موقفهم يشكل تحدياً غير مباشراً على رغبتها الطموحة في هيمنتها على المنطقة. وجهت أثينا انذاراً نهائياً لميلوس؛ إما الاستسلام أو مواجهة الإبادة، وطُلب منها بداية، بعدم اللجوء إلى اعتبارات العدالة، إنما التفكير في بقائها وحسب[147].

تفكير الميليين في بقائهم دفع الأثنيين للقول: "كلانا يعرف أن القرارات المتعلقة بالعدالة تُتخذ في المناقشات البشرية حسب، عندما يكون كلا الجانبين تحت إكراه متساوٍ، ولكن عندما يكون أحد الطرفين أقوى، يحصل على أكبر قدر ممكن، ويجب على الضعيف قبول ذلك"[148]. المقصد، أن تكون تحت إكراه متساوٍ يعني؛ أن تكون تحت قوة قانون، أي الخضوع لسلطة قانونية عامة. ونظراً لغياب مثل هذه السلطة فوق الدول؛ جادل

[144] Eckstein, “Thucydides, International Law”, p.502-503.
[145] Ibid, p.499.
[146] Ibid, p. 503-504.
[147] Denis, “Anarchy and the “Melian Dialogue””.
[148] Korab-Karpowicz, “How International Relations”, p.234.

الأثينيون بأنه في ظل هذا الوضع الخارج على القانون، فإن الحق الوحيد في عالم الفوضى؛ هو حق الأقوى في الهيمنة على الأضعف، فهنا يتساوى الحق مع القوة، وتُستبعد اعتبارات العدالة في الشؤون الخارجية[149].

كانت فرصة ميلوس الوحيدة للبقاء هي الاستسلام، إلا أن الميليين رأوا هذا الغزو غير عادل، وقرروا المقاومة، ونظراً لاختلال توازن القوى بين الدولتين المدينتين، وتمسك ميلوس بالمبادئ الأخلاقية للعدالة؛ كلفها ذلك وجودها وهزيمتها، بإعدام رجالها، واستعباد نسائها وأطفالها. ووفقاً لتاريخ ثيوسيديدس، تمكنت القوات الأثينية من سحق ميلوس، لعدم تمكن أي حليف قوي من مساعدتها في الوقت المناسب. يُستنتج من ذلك؛ في ظل ظروف الفوضى؛ الأخلاق لها تكاليف عالية دائماً "الإحساس الزائف بالشرف"؛ فكلفت الأخلاق ميلوس وجودها. وعليه يُبنى، بعدم وجود أية أهمية لاعتبارات الأخلاق والعدالة في نظام دولي فوضوي، وبحسب رواية ثيوسيديدس تبدو العدالة متعلقة بالحفاظ على الذات أكثر من ارتباطها بالمبادئ الأخلاقية، والمصلحة الذاتية لها الأهمية القصوى[150].

يتضح مما سبق، ولا سيمّا من حوار ميليان؛ لم تكن هناك حكومة دولية يمكنها فرض النظام. ففي ظل الفوضى يكون للقوة دور أساسي في العلاقات البينية للدول، والتي تؤدي إلى إثارة الخوف، والشكوك المتبادلة، والمعضلة الأمنية لديها. ولتحقيق الأمن تزيد الدول من قوتها، وتنخرط في موازنة القوة؛ بغرض ردع المعتدين المحتملين، وتخوض الحروب لمنع أي دولة متنافسة، من أن تصبح أقوى عسكرياً. ربما، يُستخلص من تاريخ ثيوسيديدس للحرب؛ بأن النظام الدولي تمليه ظروف الفوضى، وضرورة بقاء الدولة وسعيها من أجل الهيمنة. وعليه؛ فالفوضى هي سمة مركزية للنظام الدولي في فكر ثيوسيديدس، وثابتة؛ أي لا يمكن تجاوزها، وهذا لغياب سلطة عليا فوق سلطة الدول قادرة على ضبطه، في ظل غياب توازن القوى. باختصار، الفوضى في منظوره؛ هي الحالة التي لا يتواجد فيها توازن القوى.

يرى مكيافللي أنه نتيجة المعضلة الأمنية والفوضى الدولية؛ يصبح التوسع الوسيلة الوحيدة والآمنة للبقاء. وهذه الأسباب بحد ذاتها تهديد شامل للدولة، والتي لا يمكن تحييده فعلياً إلا بقوة السلاح، فتصبح القوة عاملاً

[149] Ibid.
[150] Denis, “Anarchy and the “Melian Dialogue”.

أساسياً في الشؤون الدولية[151]. هذه الظروف تُجبر الدولة لزيادة قوتها في ظل شكوك الدول تجاه بعضها البعض، للحفاظ على وجودها[152].

وفي نظرته حول طبيعة العلاقة التي تجمع الأفراد ببعضهم البعض، وبين الحكام والأفراد، وبين الدول أو المجتمعات، توصل مكيافللي إلى أن جميع التفاعلات تخضع لمنطق القوة وحدها. فعلى الحاكم أن يهتم دائماً بالقوة، وحتى في زمن السلم، لضبط الشؤون الداخلية والخارجية للدولة، فبالقوة العسكرية الكافية سيتمكن الأمير من التغلب على الإمارات والمدن المخلة بالنظام، وفرض ولاء مدني جديد. في حال إهمال المصادر العسكرية للأمن؛ فستعرض حتماً مصالح دولتك للخطر[153]. فالقوة عند مكيافللي هي وسيلة لا غاية.

من الواضح بأن جُلَ اهتمام مكيافللي هو الدولة، وبحثه في أسباب توسعها وتراجعها، معطياً لمفهوم الصراع الدور المركزي في السياسية، ومفهوم القوة محركاً لها[154]. فصاغ في كتابه الأمير أبرز سمات رجل الدولة، مشترطاً أن تتوافر فيه صفات الشجاعة والدهاء معاً. توصل لوجود طريقتين للقتال، الأول التي يستخدمها البشر بواسطة القانون، والثانية من خلال القوة التي تعتبر وسيلة الحيوانات. استخدام القانون وحده لا يكفي، فعلى الحكام معرفة كيفية استخدام الطريقتين معاً[155].

إذاً، القوة (الأسد)، والخداع (الثعلب)؛ هما وسيلتان أساسيتان لتسيير السياسة الخارجية، ومسؤولية الحاكم هي الحفاظ على مصالح دولته وضمنان بقائها، وهذا يلزمه قوة. الدولة الضعيفة ستكون دائماً عرضة لاعتداء الآخرين، لذا يجب أن يكون الحاكم قوياً، وماكراً. عدم جمع الحاكم بين هذه الصفات؛ قد يفوت عليه فرصة تعظيم مصالح أو قوة الدولة، والأهم من ذلك، قد يفشل في الانتباه لأي تهديد قد يضر أو حتى يدمر الدولة. يتضح من ذلك، بأن العالم مكان خطر بحسب مكيافللي، وعلى الحاكم الإحاطة بالمخاطر كافة، وأن يتوقعها، لأخذ الاحتياطات اللازمة، للتعامل معها بواسطة القوة[156].

إذاً، تنصب رؤية مكيافللي للسياسة الدولية حول فكرة مركزية الفوضى. فالحفاظ على الدولة في ظل غياب قوة مشتركة، قادرة على ضبط سلوك الدول هي إحدى اهتماماته، وفي ظل تنافسها على القوة والهيمنة، يجب على

---

[151] Forde, “International Realism”, p.146.

[152] Lucian M. Ashworth, “David Mitrany in the international anarchy. A lost work of classical realism?” ***Journal of International Political Theory***, Vol.13, no. 3 (July 2017): 8, https://bit.ly/3lv8GPi.

[153] سباين، تطور الفكر السياسي، ص42.

[154] عديلة، "تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية"، ص24

[155] مكيافلي، الأمير، ص117-118.

[156] Jackson and Sorensen, Introduction to International Relations, p. 69-70.

كل دولة داخل النظام أن تأكد مصلحتها وتأثيرها، إذا كانت ترغب في البقاء. فمن وجهة نظره؛ الدولة قادرة على إقامة نظام محلي، ولكن احتمالية تعرض الدولة للخطر، أو لتهديد خارجي من أي قوى أجنبية دائماً واردة، لأن هذا جانب أساسي من طبيعة العلاقات الدولية. فالعالم في صراع، والدول في حالة تنافس أمنية مستمرة[157].

تعد القوة وسيلة الإنسان للخلاص من الموت المحتوم، في ظل غياب سلطة مشتركة عند هوبز. الفرد في حالة الطبيعة _أي قبل ظهور المجتمع السياسي_ يمتلك غريزة واحدة متمثلة بالبقاء؛ لأن حياته عبارة عن حلقة مستمرة من الصراع، بهدف إشباع رغباته الذاتية بواسطة القوة[158]. في ظل الفوضى؛ سرعان ما تتحول مجموعة من الأشخاص الأخلاقيين بطبيعتهم إلى عصابة من المتوحشين. وهنا لا مكان للأخلاق، أو الصواب والخطأ في حسابات هوبز، بدلاً من ذلك تصبح "القوة والاحتيال" "الفضيلتان الأساسيتان"[159]. قصارى القول؛ "حياة الإنسان ما هي إلا صراع أبدي للحصول على القوة تلو القوة، والتي لا تتوقف بدورها إلا عند الموت"[160].

عند وجود رغبة مشتركة بين طرفين، لا يمكن أن يحصل عليها كلاهما، يصبحان عدوين، ولتحقيق تلك الرغبة يحاول كل منهما إهلاك، أو إذلال الآخر. فتصبح القوة العامل الحاسم في علاقة الأفراد مع بعضهم، فحالة المساواة الطبيعية، والخوف المتبادل تدفع؛ الأفراد نحو تحصيلها من أجل تحقيق الأمن، من خلال فرض سيطرته على أكبر قدر ممكن من الأشخاص إما بالقوة، أو بالخداع. أكد هوبز ذلك بقوله: "إن لم يقوموا بزيادة قوتهم عن طريق الغزو، لن يكونوا قادرين على البقاء لمدّة طويلة إذا اعتمدوا الوضعية الدفاعية فقط. ونتيجة لذلك، بما أن زيادة القوة على البشر بهذه الطريقة ضرورية لحفظ الذات، لابد من السماح بها"[161].

وإذ كان هناك اختلاف بينهم في البنية الجسدية والعقلية، فالأفراد يبقون متساويين، حتى أضعف الأشخاص يملك القوة الكافية التي تمكنه هزيمة الأقوى منه؛ إما بالدهاء والحيلة، أو بالتحالف مع أفراد يواجهون الخطر ذاته[162]. ينجم عن هذا التساوي في القدرات، دخول الأفراد في صراعٍ لإشباع رغباتهم وغرائزهم، ما يجعل هذا العالم فوضوياً، وهذه الحالة تحدث عند وجود رغبة أو غاية متشابهة بين شخصين، فيسعى كل منهما إلى

---

[157] Janice Leung, "Machiavelli and International Relations Theory", published April 30, 2012, https://bit.ly/384fT5J, p.3.

[158] الظاهر، دراسات في الفلسفة السياسية، ص108.

[159] Gallarotti, "More Revisions in Realism", p.170.

[160] الظاهر، دراسات في الفلسفة السياسية، ص108.

[161] هوبز، اللفياثان الأصول الطبيعية، ص132-133.

[162] المرجع السابق، ص131-132.

إخضاع الآخر لسلطانه، للحصول على مراده في ظل محدودية المصادر الطبيعية. بإيجاز، يستمد هوبز مفهوم الفوضى من الحالة الطبيعة الإنسانية، التي يوجد فيها الأفراد ما قبل نشوء الدولة، بموجب "العقد الاجتماعي"[163].

كذلك تلعب القوة دوراً حاسماً عند ديكنسون في ظل الفوضى الدولية. وهذا يمكن إيجاده في التوازن الأوروبي الذي كان قائماً قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. وجادل بأنه لطالما كانت بريطانيا تسعى للحفاظ على توازن القوى القائم آنذاك، بالرغم من أنها كانت عدوانية وطموحة كبقية الدول الأخرى، إلا أن موقعها الجغرافي وراء البحار دفعها لتوجيه أهدافها بعيداً عن القارة الأوروبية، فمنذ القرن الخامس عشر، لم تهدد القوة البريطانية القارة مطلقاً، لأن مصلحتها فرضت عليها المشاركة في الجهود الدفاعية للدول المهدَّدة. هذه السياسة التي أبدتها انجلترا _بحسب الدول الأوروبية الطموحة الأخرى_ كانت متناقضة ومرفوضة بالنسبة لهم. فمثلاً كانت ألمانيا ترغب أن تكون القوة المهيمنة، والتي بدورها ستمنح السلام لأوروبا، فاتهموا إنجلترا بإدامة حالة الفوضى، بأنانية منها في سبيل مصالحها. وحسب ديكنسون؛ الساعي للتغير، وبإمكانية حقيقية لم تكن ألمانيا، بل فرنسا[164].

ويفصل ديكنسون؛ في هذا العالم الفوضوي، تكون اللعبة صفرية، وكل دولة تسعى إلى تحقيق مصلحتها الوطنية، وفي اللعبة هذه، يتغير الشركاء والحلفاء دائماً، وتتبدل معه الآراء. الشيء الوحيد الثابت؛ هو الفوضى. من المتفق عليه بأن العلاقات الدولية لا يمكن أن تتحول إلا إلى قوة. كما أن أوروبا ليست المشهد الوحيد للصراع بين الإمبراطورية والتوازن. منذ القرن السادس عشر، كانت الدول الأوروبية تتنافس من أجل السيادة، ليس فيما بينها وحسب، ولكن أيضاً على العالم. نهضت الإمبراطوريات الاستعمارية وسقطت مثل (البرتغال وإسبانيا وهولندا)[165].

كذلك في القرن العشرين، تمكنت بريطانيا العظمى من تحقيق إمبراطوريتها، ووصفت بأنها لا تغيب عنها الشمس أبداً. كذلك التوسع الاستعماري الفرنسي في إفريقيا والشرق. بينما ألمانيا كانت تنظر إلى العالم المقسم بين تلك الدول بنظرة ممتعضة، وسعت وراء التنافس الدولي. وعليه؛ هناك ربط بين القوة والفوضى، لأن تلك القوى كانت تسعى للحفاظ على التوازن القائم بما يصب في مصلحتها في النظام الدولي الأوروبي، لتحقيق التوسع والاستعمار خارج العالم الأوروبي، من خلال قوتها، ومراكمتها[166].

---

[163] Korab-Karpowicz, “Political Realism".
[164] Dickinson, The International Anarchy, p.14.
[165] Ibid, p.15-16.
[166] Ibid.

2.3.4 الفوضى والخوف

في ظل ظروف الفوضى الدولية، من الطبيعي أن يكون عامل الخوف من التهديدات الداخلية والخارجية والذي يعتبر أحد ركائز المعضلة الأمنية في زماننا عاملاً مهما في كتابات ثيوسيديدس، وقد لعب دوراً قوياً في عملية صنع القرار في معظم دولة المدن اليونانية. مع الإشارة في هذا المقام إلى عوامل ودوافع أخرى (خلل توازان القوى، المصلحة، والمكانة، والكبرياء) التي شكلت مجتمعة إلى جانب الخوف من التهديد سبباً رئيساً لاندلاع الحرب البيلوبونزية[167].

لقد استندت أثينا في حُجتها لتبرير إمبرياليتها على الضرورات المتجذرة في كل من هيكل السياسة الدولية، والطبيعة البشرية[168]، فخوف أثينا من الخضوع لهيمنة الآخرين، أخذها نحو بناء إمبراطوريتها والتمسك بها. قبل الحرب برروا بأن الظروف دفعتهم نحو التوسع والإمبريالية، كونها مدفوعة بثلاثة "إكراهات" خاصةٍ بها: أولاً، الخوف من التمدد الفارسي في البلاد اليونانية، وخوف إسبارطة من هذا التوسع. ثانياً، سعيهم للمجد. وأخيراً، تحقيق المصلحة الوطنية. كما لعب عامل الخوف دوراً مركزياً عند أسبارطة؛ فتخوفها من نمو القوة الأثينية؛ اضطرهم لخيار الحرب، واعترفوا صراحةً بأن السبب الحقيقي للتوسع كان بدافع الخوف[169].

إذاً، الخوف ارتبط بشكل واضح "بالمعضلة الأمنية"* وهيكلية السياسة في النظام القائم آنذاك. تنشأ المعضلة الأمنية بحسب ثيوسيديدس من تعاظم قوة دولة_ المدنية وهي الوحدة الأساسية في النظام، الذي يؤدي بدوره لحدوث اختلال في توازن القوى، فتصبح الحرب حتمية[170]. الدول شأنها شأن الأفراد، تحرّكهم دوافع الخوف والمصلحة الذاتية. فالنطاق الدولي بنظره صراع على القوة تكمن جذوره بالطبيعة البشرية، أي أن الأخيرة والإمبريالية في نظره وجهان لعملة واحدة. بمعنى أن "القوانين الطبيعية" المتجذرة في السلوك البشري هي مَن تدفع الدول التي تمتلك القدرة نحو الإمبريالية[171]. فمراكمة أثينا قوتها المادية وقرارها نحو الهيمنة؛ قاد إلى

---

[167] Eckstein, “Thucydides, International Law”, p. 501.

[168] Forde, “Varieties of Realism”, p.375.

[169] القاقون، مترجم، النظريات السياسية، ص153.

*المعضلة الأمنية: تعيش الدول في ظل خوف دائم من أي هجوم أو خيانة من الآخرين في ظل غياب سلطة مركزية قادرة على ضبط سلوك الدول وتأمين النظام.

[170] أحمد قاسم حسين، **الاتحاد الأوروبي والمنطقة العربية قضايا الإشكالية من منظور واقعي**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021)، ص130.

[171] القاقون، مترجم، النظريات السياسية، ص163.

اختلال توازن القوى، الذي كان قائماً قبل الحرب. إضافةً لذلك، تخوف إسبارطة من أي هجوم محتمل من القوة الأثينية، في ظل غياب أي قوة مركزية رادعة لها _المعضلة الأمنية_ جلبها لخيار الحرب في سبيل البقاء.

في المقابل، نظر مكيافللي للتهديدات الأجنبية التي قد تتعرض لها الدولة في أي لحظة، وهذا ما عانت من دول المدن الإيطالية، والتي لزمتها حالة من الخوف المستمر، نتيجة عدم الثقة والشك المتبادل بينهم، في ظل غياب سلطة تفوق سلطة الدول، قادرة على ضبط سلوك الدول، ومعاقبة المعتدين، لذا وجد في هذا أسباباً كافية لتبرئة الحرب والإمبريالية[172].

استند هوبز على ثيوسيديدس كمرجع لتفسير حالة الفطرة الطبيعة والمجتمعات ما قبل التمدن، وبروز الدول. اتفق كلاهما بأن عامل الخوف هو الدافع الأكثر قوةً في الطبيعة البشرية، فمن خلال الخوف يمكن فهم وتفسير سلوك الأفراد والدول وتبريره. الخوف والشك المتبادلان في منظور هوبز بين الأفراد في حالة الطبيعة؛ هي التي تقود الأفراد إلى فوضى الحالة الطبيعية، والحروب الأهلية. تفسير نتائج الخوف تختلف عند المفكريْن، فحالة الخوف عند ثيوسيديدس _سواء بين الأفراد أو الدول_ تساعد في تفسير سبب الدخول في حرب أو نزاع، أما الخوف بين الأفراد _بحسب هوبز_ نتيجة غياب سلطة عليا داخل الدولة، قادرة على إخضاع الأفراد لسلطتها؛ يفسر سبب اندلاع الحروب الأهلية[173].

بحسب تفسير هوبز للطبيعة البشرية الأنانية؛ يجعل من إمكانية تحقيق تعاون بين البشر أمراً مستحيلاً. بالرغم من افتراضه بأن الخوف هو السبب الرئيس للأعمال العدوانية للبشر، إلا أنه وسيلة للخلاص من فوضوية الحالة الطبيعية في ذات الوقت[174]. لأن "الأهواء التي تجعل الإنسان يميل عن السلام هي: الخوف من الموت، والرغبة في الأشياء الضرورية لحياة مريحة، والأمل بأن يحصل عليها بعمله"[175]. وهذا ما لخصه بفكرة "المنفعة الشخصية"؛ ففي ظل الخوف، وعدم الثقة؛ يستحيل على الفرد النجاة؛ إذ لم يكن منضما للمجموعات في حالة الفطرة الطبيعية[176]. إذاً؛ المنفعة الشخصية، وخوف الإنسان، وسعيه للهروب من حالة الطبيعة؛ تقوده طواعية نحو التعاون والاجتماع تحت سلطة وقيادة سياسية، لتحقيق المنفعة العامة بواسطة ما اسماه "العقد الاجتماعي". مصوراً هوبز ذلك بانتقال الأفراد من حالة الأنانية التي يتساوى فيها البشر، إلى حالة الإنسان الأدمي[177].

---

[172] Forde, “Varieties of Realism”, p.377.

[173] القاقون، مترجم، النظريات السياسية، ص 301.

[174] الظاهر، دراسات في الفلسفة السياسية، ص109

[175] هوبز، اللفياثان الأصول الطبيعية، ص137.

[176] باوتشر، النظريات السياسية، ص 305.

[177] الظاهر، دراسات في الفلسفة السياسية، ص97-98.

هذه العقود التي تنشأ بين الأفراد؛ لن يكون لها أي فائدة في ظل انعدام الثقة –المعضلة الأمنية–بين الناس ما لم يكن هناك قوة ضاغطة، تفرض سيادتها على الجميع. أشار هوبز "فيجتمع عدد من الناس، ويتفقون على اختيار حاكم أو هيئة حاكمة؛ تمارس سلطتها على الجميع، ويتنازلون لها عن كل سلطاتهم. وبهذا يوجد اللفياثان الإله الأرضي الذي يدينون له جميعاً بالسلام والحماية"[178].

وما يضمن لهوبز عدم عودة الأفراد للحالة الطبيعية، وإبطال العقد الاجتماعي هو عنصر الخوف الملازم للإنسان، الذي يحتاج للتعاون مع الأخرين[179]. فالحكومة التي تنشأ بين الأفراد تكون ناتجة من الخوف المتبادل بينهم، فيصبح الحاكم أو اللفياثان المختار من قبل الأفراد طواعية صاحب السيادة، والأفراد ملزمون بطاعة الحاكم، لتحقيق الهدف من العقد الاجتماعي المتمثل بالأمن والأمان، وفي هذه الحالة يصبح العقد ملزماً على الجميع. ما يضمن أمن الأفراد؛ علمهم بأنه في حال تعرضوا للأذى والضرر، فالشخص المعتدي حتماً سيواجه عقوبة من قبل الحاكم، أي فالأخير يتمتع بحق العقاب[180].

ما يمكن استنتاجه بأن هوبز يخير الأفراد ما بين الفوضى المطلقة، أو حكم الفرد المطلق للسلطات. فإما الاستمرار في حالة الطبيعة، أو الانتقال إلى مجتمع منظم يخضع لسلطة الحاكم. بذلك، يغدو صاحب السلطة المطلقة أو الحاكم طاغية، لكنه جادل؛ بأن أسوء أنواع الطغيان، أفضل من العيش في فوضى الحالة الطبيعية. فجل اهتمامه، هو البحث عن الاستقرار والنظام[181]. ربما إذا كانت الفوضى بالفعل تعزز الخوف بين الأفراد في حالة الطبيعة، فيجري ذلك على الدول تلقائياً.

بينما جادل ديكنسون "مهما كانت المشاعر الأخلاقية التي قد تسود، إذا لم يكن هناك قانون عام، ولم تكن هناك قوة مشتركة، فإن أفضل النوايا ستهزم بسبب انعدام الثقة والأمن"[182]. لهذه الأسباب سيكون كل من الخوف والشك المتبادل بين الدول أهم عاملين رئيسان يدفعان نحو العدوان، وسيكون هناك _بحسب هوبز_ حالة حرب دائمة، وحتى السلام نفسه سيكون حرباً كامنة. وكلما زاد تسليح الدول لمنع الصراع؛ كلما زاد استفزازها. قد تكون دولة ما في أي لحظة هي الجاني المباشر؛ لكن الجرم الرئيس والدائم مشترك بين جميع الدول. إنها الفوضى التي يتحملون جميعًا مسؤولية إدامتها[183]. إذاً، الشكوك المتبادلة حول تصرفات الدول الأخرى ونواياها،

---

[178] مطر، الفلسفة السياسية، ص61-62.
[179] الظاهر، دراسات في الفلسفة السياسية، ص109.
[180] شتراوس وجوزيف كروبسى، تاريخ الفلسفة السياسية، ص 586.
[181] مطر، الفلسفة السياسية، ص63.
[182] Dickinson, The European Anarchy, p. 13.
[183] Ibid.

والتي نشأت حتماً في ظل الفوضى الدولية، هي التي ميزت سلوك الدول منذ زمن مكيافللي، إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى[184].

2.3.5 الفوضى والحرب

كتابات كل من ثيوسيديدس، ومكيافللي، وهوبز، وديكنسون؛ كانت تتمحور بالأصل حول الحرب أسبابها ومبررتها. قدم كل واحد منهم أطروحته للحرب بناءً على الفترة الزمنية التي عاصرها، والبيئة التي عايشها. هذا ما يقود لنقاشٍ ينثر أسئلة رئيسة: هل الحرب تحدت نتيجة بنية الفوضى الدولية؟

بدأ ثيوسيديدس كتابه؛ في شرح الخلفيات التي دفعته للتطرق لموضوعه، ضمن البحث عن أسباب تقاتل شعبين مع بعضهما، ثم أسهب في مسألة الحرب. فالأخيرة كانت واقع حياة في الدول اليونانية؛ فهي القاعدة وليست الاستثناء، والسلام حالة غير عادية تماماً[185]. وقعت كل من أثينا وإسبارطة في فخ الحرب. وهذا ما سَمّي لاحقاً في أدبيات العلاقات الدولية بـ "فخ ثيوسيديدس"؛ فيسفر بروز قوة صاعدة إلى زعزعة مكانة القوة المهيمنة داخل النظام الدولي، نتيجة ذلك، تصبح الحرب حتمية. وهذا ما حدث في العالم الإغريقي؛ فشكل صعود أثينا، ونمو قوتها؛ إلى تخوف إسبارطة على مكانتها كقوة مهيمنة في البلاد اليونانية، فاندلعت الحرب البيوبولونزية[186].

باختصار، في روايته عن الحرب البيوبولونزية، تُلاحظ إشارات مألوفة حول النظام الدولي، معترفاً بالدور المركزي للقوة في السياسة وشرحه لسلوك دول _المدن اليونانية من خلال علاقات القوة لديهم، في جملته الشهيرة "لقد كان صعود أثينا والخوف الذي بثه ذلك الصعود في إسبارطة؛ هو ما جعل الحرب بينهما أمراً حتمياً[187].

جميع الدول _بحسب مكيافللي_ تعيش في حالة من الخوف المستمر، في ظل الشكوك في نواياهم تجاه بعضهم البعض، والنتيجة؛ المعضلة الأمنية، وهذه أسباب كافية لتبرئة الحرب والإمبريالية، منطلقاً من افتراضه بعدم إمكانية تجنب الحرب أو تأجيلها، والتي قد تصب في مصلحة الآخرين. هناك تهديدات دائمة ومحتملة، والدولة العقلانية هي التي تهاجم بشكل استباقي في الوقت الذي تحدده، عوضاً عن انتظار العدو للقيام بتلك الخطوة.

---

[184] Schmidt, The Political Discourse of Anarchy, p.162.

[185] Eckstein, "Thucydides, International Law", p. 321.

[186] أليسون، حتمية الحرب، ص 77-82.

[187] Colin Elman, "Realism", in ***International Relations Theory for the Twenty-First Century An introduction,*** ed. Martin Griffiths (London and New York: Routlege, 2007), 12.

استنتاجه ينبع من الضرورة الدولية في ظل غياب سلطة عليا في النظام الدولي، وتبريره للإمبريالية، نابع من غايته الأساسية؛ المتمثلة بالدولة وبقائها، مستثنياً كل الأهداف الأخلاقية والأيديولوجية التي تتعارض مع هذا الهدف[188].

وأكد مكيافللي على ذلك بقوله: على الأمير أن لا يستهدف شيئاً غير الحرب وتنظيمها وطرقها، وأن لا يفكر أو يدرس شيئاً سواها، إذ أن الحرب هي الفن الوحيد الذي يحتاج إليه كل من يتولى القيادة ..... ولا ريب في أن ازدراء فن الحرب، وهو السبب الرئيس في ضياع الدول وفقدها، وإن التمرس فيه وإتقانه، هو السبيل إلى الحصول على الدول والإمارات[189].

بما أن حالة الطبيعة هي حالة حرب بحسب هوبز، فقد حدد ثلاثة أسباب رئيسة للصراع: المنافسة، وعدم الثقة، والمجد. فالمنافسة تدفع الأفراد لتحقيق الربح، لأن الجميع متساوون، وكل فرد يتوقع أن يكون لديه _على الأقل_ مثل أي شخص آخر في عالم من الفوضى والندرة، وللدفاع عن أنفسهم يجب على الأفراد الحفاظ على القوة التي حصلوا عليها، ليجعلوا من أنفسهم سادة على الآخرين في حالة عدم اليقين. أما إذا توافرت الموارد الطبيعية وحظي الأفراد بالأمن والاستقرار؛ يتجه طموح الأفراد نجو المجد أو الاستعلاء، وهذا يتحقق بتراكم المزيد من القوة[190]. هذه الأسباب الثلاثة تجعل الأفراد في صراع مستمر، وكما أشار "في حالة كهذه لا مكان للعمل، لأن ثماره لا تكون مضمونة، وبنتيجة ذلك لا زراعة للأرض، ولا ملاحة ..... والأسوء من هذا كلّه وجود خوف متواصل وخطرُ موت عنيف، وكون حياة الإنسان وحيدة بائسة بغيضة قاسية وقصيرة"[191].

هناك علاقة وثيقة بين فوضى الحالة الطبيعية والحرب بحسب هوبز، فقد عبر بهذا الصدد "في الوقت الذي يعيش فيه الناس دون سلطة مشتركة تبقيهم جميعاً في الرهبة، يكونون في الحالة التي تسمى حرباً؛ وهي حربٌ بين كل إنسان وكل إنسان آخر"[192]. باختصار، غياب سلطة مهيمنة أو اللفياثان يجعل الحرب دائماً محتملة.

أفكار هوبز تتمحور بشكل رئيس حول الصراعات الأهلية وليست الدولية، هادفاً تقديم حلول حول كيفية تحقيق السلام والأمن الداخلي، إلا أن أدبيات العلاقات الدولية تميل لاستنباط مفهوم الفوضى وتفسيراته حول الحرب من الفصل الثالث عشر في كتابه[193]. وبالرغم من إسهاماته القليلة في الشؤون الدولية، إلا أن هوبز ينكر وجود

---

[188] Forde, “Varieties of Realism”, p.377.

[189] مكيافلي، الأمير، ص105.

[190] هوبز، اللفياثان الأصول الطبيعية، ص134.

[191] المرجع السابق، ص134-135.

[192] المرجع السابق.

[193] Williams, “The Hobbesian theory", p.253.

أي مبادئ أخلاقية عالمية، ففي نظرته حول العلاقات الدولية؛ يفترض بأن الدول المستقلة مثل الأفراد المستقلين، أعداء بطبيعتهم، تتسم بالأنانية وغير اجتماعية، ولا يوجد حد أخلاقي لسلوكهم[194].

محاكاةً لأفكار هوبز على الدول يمكن القول إن الأسباب الثلاث التي تدفع الافراد نحو الحرب هي ذاتها التي تقود الدول نحو الحرب: أولاً، التنافس على الممتلكات المادية فتقاتل الدول بعضها البعض من أجل تحقيق الربح، ثانياً، عدم الثقة سبب أساسي لدخول الدول في حروب من أجل الدفاع عن نفسها، وتحقيق الأمن، ثالثاً، سعي الدول لتحقيق المجدد يؤدي إلى اندلاع الحروب، وذلك في سبيل منع الاخرين من التقليل من شأن الدولة ومكانتها[195].

إذاً، الدول أيضاً في حالة حرب، لكن هذا لا يعني أنها دائماً تقاتل بعضها، لكنها مستعدة للقتال دائماً. فمفهوم الحرب في هذه الحالة بأنها متأصلة في حالة الدول التي لا تخشى القوة المشتركة، وكل دولة تقرر بنفسها ما إذ كانت ستستخدم قوتها أم لا، وعندئذ قد تندلع الحرب في أي وقت. أما السلام يشير إلى الوقت الذي لا توجد فيه نزعة للقتال بين الدول، و"هذه حرب كل دولة ضد دولة أخرى"[196]. إذاً، العلاقات بين الدول عبارة عن ساحة تتنافس فيها الدول فيما بينها، في لعبة محصلتها صفرية، والسلام في اعتقاده؛ هو فترة تعافي من الحرب الأخيرة، والاستعداد للحرب المقبلة[197].

طور ديكنسون أعماله في الأساس حول العلاقات الدولية والحرب من حيث طبيعتها وأسبابها وعلاجها. وناقش بأن التحليلات السابقة في أسباب اندلاع الحروب الدولية، أرجعت لعوامل مختلفة؛ مثل الدبلوماسية السرية، والعسكرية العامة، والصحافة العدائية، والدوافع الاقتصادية المتباينة، التي لعبت دوراً بارزاً في الصراع الدولي، ولكن هذه العوامل من وجهة نظره لم تكن كافية لشرح أصل الحرب. وكان حريصاً على رفض أي دور للأنثروبولوجيا في الحرب لسببين رئيسين: أولاً، يشار إلى الحرب بالتحديد بين الدول ذات السيادة، وليس إلى المنافسة العامة بين الأفراد. ثانياً، الحرب لم تكن نتاج الطبيعة البشرية، وعليه افترض بأن العوامل الهيكلية المرتبطة بالفوضى مسؤولة عن حدوث الحرب[198].

---

[194] Korab-Karpowicz, "Political Realism".
[195] Bull, "Hobbes and the International Anarchy", p.721.
[196] Ibid.
[197] James C. Hsiung, **Anarchy & Order the Interplay of Politics and Law in International Relations**, (Boulder, Colorad: Lynne Rieneer Publishers: 1997), p176.
[198] Schmidt, The Political Discourse of Anarchy, p.161.

زعم ديكنسون في مقدمة كتابه الفوضى الأوروبية أنه" في التاريخ العظيم والمأساوي لأوروبا، هناك نقطة تحول تشير إلى هزيمة المثل العليا للنظام العالمي، والقبول الأكيد للفوضى. نقطة التحول هذه هي ظهور الدولة ذات السيادة في نهاية القرن الخامس عشر ... ومنذ ذلك التاريخ فصاعداً، أصبحت السياسة الدولية تعني المكيافللية"[199]. وعليه استنتج أن الفوضى هي السبب الكامن وراء الحروب الأوروبية.

وعلى الرغم من رفضه لوجود أية اعتبارات للطبيعة البشرية في الشؤون الدولية، إلا أنه أسقط افتراض هوبز المتعلق بالأفراد على الدول؛ نتيجة انعدام الأمن والثقة فيما بينهم[200]. وألح في خضم الحرب العالمية الأولى، بأنه على الرغم من أن ألمانيا هي من تتحمل المسؤولية الكبيرة باندلاع الحرب، إلا أن "الجاني الحقيقي هو الفوضى الأوروبية. مؤكداً على ذلك بقوله: "أنه متى وأينما وجدت فوضى الدول المسلحة، تصبح الحرب حتمية"[201]. إذا، السبب الرئيس الذي قاد نحو الحرب، يكمن في جذور الصراع بين القوى العظمى في ظل نظام دولي يتميز بالفوضى، فحالة الحرب هي حالة مزمنة بين الدول، نتيجة محاولتهم المستمرة لتحقيق التفوق على بعضهم البعض[202].

في ظل هذه الظروف ستظل الحرب نتيجة منطقية، وأنها تنشأ نتيجة للفوضى الدولية، بين الدول المسلحة التي تشكل خطراً على بعضها البعض؛ فالسياسات دفاعية ظاهرياً، ولكنها في الحقيقة هجومية بنفس القدر، وهذا هو الوضع الحقيقي للعالم في ظل ظروف الفوضى الدولية، وهي نفسها التي شهدتها الحضارات الثلاث من التاريخ الأوروبي، مثل اليونان القديمة، وعصر النهضة في إيطاليا، وأوروبا الحديثة. وفقاً لديكنسون؛ الفوضى تقدم التفسير الأساسي عن سبب اندلاع الحرب العالمية الأولى. تجدر الإشارة، بأن الفوضى عنده كانت محصورة بأوروبا[203].

مما سبق، تبدو العلاقة ترابطية بين الفوضى والحرب، والجدل الذي انطلق منه ديكنسون؛ هو ذاته الذي انطلق منه منظرو الواقعية الجديدة لاحقاً، المتمثل بوجود دول مستقلة ذات سيادة، لا تعترف بأي سلطة أعلى غير

[199] Dickinson, The European Anarchy, p.13.
[200] Ibid, p.13-14.
[201] Donnelly, “The discourse of anarchy in IR”, p.398.
[202] Heritage, “Dickinson, Goldsworthy Lowes”.
[203] Donnelly, “The discourse of anarchy in IR”, p 398.

نفسها، وهو السبب الأكثر أهميةً للحرب. وأكد أنه ما دامت "الفوضى مستمرة، فإن الصراع بين الدول سوف يميل إلى اتخاذ شكل نمطي معين"[204].

2.3.6 كيفية التعامل مع الفوضى

ما سبق يطرح سؤالين رئيسين: كيف يجب أن تتصرف الدول داخل نظام دولي؟ وكيف يمكن التعامل مع الفوضى، وهل يمكن تجاوزها؟ كانت اليونان القديمة تتكون قوتين عظمتين أثينا وإسبارطة، إلى جانب العديد من الدويلات الصغيرة، وبموجب ذلك اعتبر ثيوسيديدس؛ بأن على مختلف دول المدن التكيف مع واقع القوة غير المتكافئ، والتصرف وفقاً لذلك، وفي هذه الحالة ستضمن الدولة لنفسها البقاء، وربما التطور. بينما إذا فشلت في التكيف فستعرض نفسها للخطر، وقد تُدمر. فالخيارات محدودة لدى الحكام في إدارة الشؤون الخارجية، لذا أكد ثيوسيديدس على عواقب القرارات، وقبل اتخاذ أي قرار نهائي على صانع القرار حساب العواقب المحتملة بحسنها ورديئها[205].

حث ثيوسيديدس على ضرورة الحصافة في إدارة الشؤون الخارجية، في ظل نظام دولي يتسم بعدم المساواة، والخيارات المقيدة للسياسة الخارجية، والخطر الدائم وتعدد الفرص. فرفض منطق ميلوس، لأنهم لم يدركوا مواطن القوة والضعف النسبيّ، فالعدالة من منظوره لا علاقة لها بالمعاملة المتساوية بين الدول، وذاك لعدم تكافئهم بالقوة[206]. إذاً تعيش دول في خوفٍ دائم من أي هجوم أو خيانة من الآخرين، وبالتالي، تواجه المعضلة الأمنية. أشار ثيوسيديدس لتوازن القوى باعتباره المنظم الوحيد للشؤون الدولية، وعليه فالوسيلة لتحقيق الاستقرار وليس السلام الدائم[207].

وبالرغم من أن التوازن هو الأداة التي استند عليها في التعامل مع الفوضى الدولية، ولكن يبدو هذا الحل مؤقت، ولن يمنع من وقوع أي حروب، أو صراعات مستقبلية بين الدول، لأن الهدف النهائي للوحدات السياسية؛ هو مراكمة قوتها في ظل غياب سلطة مركزية. الفوضى؛ هي القاعدة، وتوازن القوى هو الأداة لتحقيق الاستقرار. ثيوسيديدس لم يقدم أي حل للخروج من البيئة العسكرية الفوضوية، وهذا قد يكون سبب تصريحه في أن عمله التاريخي سيكون "مُلكية في كل الأوقات"[208].

---

[204] Schmidt, The Political Discourse of Anarchy, p.161.
[205] Jackson and Sorensen, Introduction to International Relations, p. 68-69.
[206] Ibid.
[207] Oldemeinen, “The Political Realism of Thucydides”.
[208] Eckstein, “Thucydides, International Law”, p. 508.

القضية المركزية لمكيافللي؛ هي الحفاظ على الدولة داخل نظام فوضوي. وفي ظل قدرة الدولة على إقامة نظام محلي، لكن هذا لا يجعلها بمنأى عن التهديدات المحتملة من القوى الخارجية، وهذا من طبائع العلاقات الدولية. إذاً، العالم في صراع والدول في منافسة أمنية مستمرة في ظل غياب سلطة مشتركة[209]. ولأن جُل اهتمامه هو الحفاظ على الدولة، كيف يمكن تحقيق ذلك في ظل الفوضى الدولية؟

نظراً لأن التهديدات لا مفر منها في ظل الفوضى، الأمر الذي يجعل الهجوم الوقائي والاستباقي منطقياً ومبرراً لسلوك الدول. وللسيطرة على البيئة الدولية اقترح مكيافللي بإن الوسيلة الأمنة والوحيدة للبقاء هي من خلال التوسع والإمبريالية، باعتبارها خيار ورد فعل عقلاني على الفوضى التي تسببها المعضلة الأمنية الدولية وهي بحد ذاتها تهديداً شاملاً لا يمكن تحييدها إلا بقوة السلاح، إذاً "تصبح الحجة البنيوية حجة أخلاقية: فهي تظهر أن الإمبريالية العالمية مبررة، على أساس الحفاظ على الذات"[210]، وبناءً على ذلك يتم استبعاد الأهداف الأخرى الأخلاقية والأيدولوجية التي تتعارض مع هدف البقاء.

كما جادل بأن الدولة قد تتخلى عن السياسات التوسعية، وتبقى على قيد الحياة حتى ثمانمائة عام، وحتى يتحقق ذلك لابد من مرافقة الحظ لها. يستنتج؛ الخيار الوحيد أمام الدولة هو الإمبريالية. البيئة الدولية لا تبرر هذه الاستجابة فحسب، بل تطلبها من الدولة الحصيفة، كما فعل الرومان؛ هجموا أولاً ولم يتركوا شيئاً للصدفة[211]. مكيافللي يخالف ثيوسيديدس، فلا يعتز بالسلام والاستقرار الدوليين، حتى في ظل وجود توازن قوى، فالسيطرة على البيئة الدولية تكون من خلال العنف والإمبراطورية العالمية، وعلى الأمير أن يشبع نفسه بسياسة القوة، في ظل الفوضى الدولية[212].

رغم وجوب اتباع الدولة لسلوكٍ إمبريالي للحفاظ على ذاتها، إلا أن ذلك لا يغيب جوانب مهمة غير القوة، لزاماً على الدولة مراعاتها، لتعزز بقاءها. وفقاً لمكيافللي ممارسة الدبلوماسية امر ضروري للحفاظ على الدولة، فتزداد أمناً مع تعاظم سمعتها في جميع أرجاء العالم. قائلاً: "ويتمتع الأمير الذي يخلق لنفسه مثل هذه السمعة عند رعاياه بشهرة عظيمة، ومن الصعب أن يتآمر على صاحب الشهرة والصيت العظيمين، كما أن من العسير أن يهاجم، ولا سيما وأن من المعروف عنه القدرة، واحترام رعيته له"[213].

---

[209] Ashworth, "David Mitrany in the international anarchy", p.2.
[210] Forde, "International Realism", p.146.
[211] Forde, "Varieties of Realism", p. 378.
[212] Ibid.
[213] مكيافلي، الأمير، ص121-122

على الحاكم إتقان لعب أدوار مزدوجة، حسب الوضع القائم، وهذا مهم لأمن الدولة وسمعتها. وللتخفيف من التهديدات الأجنبية، على الدولة بناء علاقات مع الدول الأخرى، وتشكيل تحالفات مفيدة، وأن تتولى الدولة دوراً قيادياً على الدول الأقل قوة، لأن هذا سيزيد من سمعتها ومكانتها الأمنية والدفاعية، وهذا جزء أساسي في العلاقات الدولية، من أجل بقاء الدولة وتعظيمها، سواء على المستوي السياسي، أو من ناحية السيطرة الإقليمية[214].

يثني مكيافللي على جانب مهم في العلاقات الدولية المتمثل بدور المعاهدات والتحالفات بين الدول. فهي لا تكون بمعزل عن الآخرين، كونها ستحتاج مساعدة ودعم الدول الأخرى، من وقت لآخر، والعكس كذلك. ورغم أهمية الانضمام للتحالفات والمعاهدات الدولية، إلا أنه أكد على ضرورة أن يكون الحاكم ذكياً، فمصلحة دولته قبل كل شيء، فإذا كان من غير المجدي الدخول في تحالفات، والتوقيع على معاهدات لا تفيد الدولة، فليحذر أن تأخذه المشاعر لغير متطلبات الدولة. في جميع الأوقات، تكون مصلحة الدولة هي العليا[215].

واضح أن مكيافللي قدم نصائح حول السلوك الذي يجب أن تتبعه الدول داخل نظام دولي فوضوي، تتنافس فيه الدول على البقاء. على غرار ثيوسيديدس لم يقدم أية حلول للقضاء على الفوضى الدولية، لأنها صفة مركزية في السياسة الدولية؛ فالدول تسعى دوماً لمراكمة قوتها، لمنع أي دولة منافسة لها، بأن تصبح أقوى منها، ما يهدد بقاءها في ظل غياب أي ضابط على سلوك الدول المتمثل بالسلطة المركزية.

أوضح هوبز في السياسة الداخلية، بموجب العقد الاجتماعي؛ يتخلى الناس طواعيةً عن حقوقهم وإرادتهم لإدارة الحاكم. ويستمد الأخير سلطته المطلقة والدائمة من هذا التفويض، وبمقتضى ذلك، على الأفراد الطاعة والامتثال للحاكم. وباختيار الأفراد الحاكم أو الهيئة التي سيخضعون لسلطتها؛ تنتهي حالة الحرب؛ على اعتبار الهدف النهائي للأفراد؛ هو الخلاص من الموت، وحماية أنفسهم من حالة الحرب والبؤس، في المقابل ينالون مجتمعا مستقرا وآمنا عبر حماية الملكية الخاصة بموجب القوانين [216]. تبقى بعض الحقوق الخاصة محفوظة لدى الأفراد، ولا يتنازلون عنها؛ والمتمثلة بحق البقاء على قيد الحياة، فالحالة الوحيدة التي يحق للفرد فيها عصيان الحاكم؛ في حال وجود أمر أو قانون يفقده حياته أو سلامته[217].

---

[214] Leung, "Machiavelli and International Relations Theory", p.7-8.

[215] Ilodigwe, "Machiavelli and the Limits of Realism", p.30-31.

[216] مطر، الفلسفة السياسية، ص62.

[217] المرجع السابق، ص63.

رفض هوبز افتراض ثيوسيديدس ومكيافللي بعدم الخلاص من الفوضى، رغم اعترافه بقدرة الأفراد اتباعَ سلوك شرير. للخروج من مأزق معضلة الطبيعة البشرية السلبية _تهديد وجودهم_ دفعهم ذلك للبحث عن سبل للخروج من الحالة العدمية التي يعيشونها[218]. رغبة الأفراد في الأمن؛ هي الرغبة الأكثر عقلانية في الطبيعة البشرية، فالدولة القائمة على إرضاء تلك الرغبة، هي قادرة على تجاوز مشكلة الفوضى. يمكن الخلاص من الفوضى بالانتقال من الحالة الطبيعية للدولة، وتلقائياً الخلاص من حالة الحرب، وإحلال السلام.

أثير الجدل حول إسهامات هوبز؛ لماذا لم يوسع منطق الحل على الصعيد الدولي؟ بما أن الأفراد قادرون على ضبط أنفسهم في حالة الطبيعة، لماذا لا تستطيع الدول "الهوبزية" فعل ذلك داخل نظام فوضوي؟ ناقش جون فينسنت John Vincent؛ "من المعقول أن نسأل عن وجهة نظر هوبز للسياسة الدولية إن كانت حقاً كما يفترضها الواقعيون، لماذا لم يسعَ إلى إنهاء الفوضى الدولية، بنفس الطريقة بإنشاء اللفياثان لضبط العلاقات بين الأفراد"؟[219] الخلاص من فوضى الحالة الطبيعية، من خلال إخضاع الأفراد أنفسهم لسيادة اللفياثان، بموجب العقد الاجتماعي، يطرح مشكلة سياسية خطيرة، بإمكانية الأفراد التمتع بحياة متحضرة داخل الدولة، يرافقه انعدام الأمن الوطني والدولي المتأصل في الفوضى[220].

هوبز لم يقدم أية حلول للفوضى ولا لتحقيق السلام والأمن في النطاق الدوليين، لكن يمكن إسقاط افتراضاته المتعلقة بالحالة الطبيعة للأفراد على الدول. بناءً على ذلك، في ظل غياب سلطة مركزية تُستبعد إمكانية وجود تناغم في المصالح بين الدول، على اعتبار أن جميع الدول متساوية في القوة داخل النظام. هذا الشكل من التعاون يشكك ثيوسيديدس بواقعية تحقيقه، نظراً للبنية الفوضوية للنظام الدولي، واهتمام الوحدات في تحقيق مصلحتها الذاتية، ولا تولي أهمية لما سيحدث للدول الأخرى[221]. يبدو الاستثناء للخروج من هذه الحالة؛ وجود حكومة عالمية أو عقد عالمي بين الدول[222].

بينما اتخذ ديكنسون نهجاً مختلفاً عن الفلاسفة الثلاثة السابقين، فلم يقبل افتراض أن الفوضى لا مفر منها، وخالف منظري الواقعية اللاحقين، وذلك بقبوله أهمية دور الأخلاق في النظام الدولي. رافضاً فكرة حتمية

[218] Oldemeinen, “The Political Realism of Thucydides".
[219] Hsiung, Anarchy & Order the Interplay, p.176.
[220] Korab-Karpowicz, “Political Realism in International Relations".
[221] Oldemeinen, “The Political Realism of Thucydides”
[222] Donnelly, ‘’Realism and International Relations, p.15.

فوضوية النظام، معرباً عن أمله بتجاوزها. وإذا حدث هذا _يبدو أنه لم يكن قاطعاً في ذلك_ سيكون نتيجة الصدمة والتجربة التعليمية التي أحدثتها الحرب العالمية[223].

لم يكن هدف ديكنسون الوحيد هو تحليل الفوضى الدولية للإشارة إلى سبب الحرب، بل لتوجيه البشرية نحو السلام. إذ اعتبر الطريق للخلاص من الفوضى الدولية؛ هي تأسيس عصبة الأمم*، لتكون مؤسسة دولية تسهم في تحقيق السلام. رغم إيمانه بفوضوية النظام؛ لكن أعماله كشفت عن قناعته حول إمكانية تجاوز الفوضى. أشار في كتابه المعنون "أسباب الحرب الدولية" 1920 أن "فهم الأسباب مهم فقط لأنه شرط من العلاج". وعليه يطرح شميت؛ بأنه نتيجة التزام ديكنسون بإيجاد حلول للحرب جعل العلماء والمفكرين المعاصرين يغفلون إسهاماته الكبيرة التي قدمها حول الخطاب السياسي للفوضى[224].

قدم ديكنسون عدة حلول في نهاية كتابه للتعامل مع الفوضى. يجب خضوع الأمم للقانون لتسوية النزاعات، بالإضافة إلى الاحتفاظ بالقوة لإكراه الخارجين عن القانون، لتكون قوة فاعلة وحقيقية لردع أي عدوان من قبل أي دولة[225]. هذا النظام الذي يقترح؛ أشبه بنظام الأمن الجماعي، الذي يقوم على ردع أي دولة معتدية، وذلك بوجود قوة مشتركة من قبل الدول، وهذا بعد تحديد الدولة المعتدية.

بإنشاء حكومة عالمية ذات تسلسل هرمي، وتأسيس مؤسسات دولية تمكن الدول من تسوية نزاعاتها عبر الإجراءات القانونية والقوة الاحتياطية "لإكراه الخارجين عن القانون"، بهذا تُتخطّى الفوضى[226]. يمكن القول بأن ديكنسون كاتب (واقعي مثالي)؛ صحيح أنه طرح نظرة واقعية للشؤون الدولية، وتجلت واقعيته بإسهامه حول فكرة الفوضى، معترفاً بغياب سلطة مركزية في النظام الدولي. مع ذلك، لم يستثنِ الوسائل المثالية لتحقيق الاستقرار في النظام الدولي، من خلال تعزيز المبادئ الأخلاقية والقيم الديمقراطية، وهذا تناقض صارخ مع مبادئ الواقعية.

هنا طرح تساؤل ضروري؛ هل الفوضى عند المفكرين السابقين تعني غياب سلطة مركزية، أو هي شواش، أو انتفاء النظام؟ يمكن الاستنتاج، أن ثيوسيديدس وديكنسون أقرب لمفهوم الفوضى؛ بمعنى غياب سلطة مركزية

---

[223] Osiander, “Rereading Early Twentieth-Century IR Theory”, p. 413.

* تأسست عصبة الأمم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في العام 1919، هدفت لتعزيز الأمن والسلم الدوليين من خلال فكرة الأمن الجماعي، والمقصد منها قيام دولة ما بشن هجوم على دولة أو مجموعة دول أخرى يعتبر هجوماً على الجميع ويتم تشكيل قوة رادعة، إلا أن هذه العصبة فشلت في تحقيق غايتها من الأمن الجماعي مع اندلاع الحرب العالمية الثانية. (المصدر: الموسوعة السياسية، "الأمن الجماعي")، https://bit.ly/3mTMXkH.

[224] Schmidt, The Political Discourse of Anarchy, p. 161-162.

[225] Dickinson, The European Anarchy, p.143-144.

[226] Osiander, “Rereading Early Twentieth-Century IR Theory”, p.413.

في بنية النظام الدولي. أما هوبز فالفوضى عنده حملت في طياتها معنيين؛ غياب سلطة مركزية وحالة غياب النظام والحرب واضطرابات. أما مكيافللي فهي أقرب الى حالة الشواش الاجتماعية، متفقاً مع المعنى الثاني عند هوبز.

استناداً إلى ما سبق، يمكن القول إن مفهوم الفوضى لدى كل مفكر ارتبط بشكل وثيق بالظروف التي عاشها. والجدول التالي يوضح ذلك

الجدول رقم (1) السياق الزمني الذي طرحت فيه أفكار المفكرين والكتاب

المفكر	السياق الزمني	الفوضى
ثيوسيديدس	الحرب البيلوبونزية بين المدن الإغريقية، إسبارطة وأثينا، والخوف على اختلال توان القوى.	غياب سلطة مركزية
نيقولا مكيافللي	"الغاية تبرر الوسيلة"، أتى في ظروف انقسام إيطاليا. وضع تلك الأفكار في كتابه الأمير لتوحيد إيطاليا	شواش
توماس هوبز	الحرب الأهلية الإنجليزية، والحروب الدينية في أوروبا	شواش وغياب سلطة مركزية ما قبل نشوء الدولة
غولدزوورثي ديكينسون	إبان اندلاع الحرب العالمية الأولى 1914	غياب سلطة مركزية

المصدر: من إعداد الطالبة

وُضّح في البداية أن مفهوم الفوضى الذي ستركز عليه الدراسة؛ هو غياب سلطة مركزية، ولكنه تبلور سافراً مع والتز. وبالتالي، لا بد من تحليل إذا كان هناك حالة من الغموض والتداخل بين مفهوم الفوضى، وبين انعدام النظام وحالة الاضراب والصراع والتي تسمى بالشواش عند المفكرين أعلاه.

الاستخلاص يقود إلى أن ثيوسيديدس عندما تحدث عن الفوضى ارتبط بغياب سلطة مركزية فوق دولة المدينة، فوصف لنا مشهداً لنظام دولة المدينة تفتقر فيه لسلطة أعلى منها، فلا يوجد أحد يمكن اللجوء إليه لإنقاذ جزيرة ميلوس من حكم الأقوى منها، والتي تتمثل بأثينا آنذاك، وهذا الأمر دفع دول المدن الأخرى التي كانت تدور في فلك إسبارطة إلى لومها في السماح لأثينا بالتوسع دون إيقافها.

مكيافللي، يمكن القول إن مفهوم الفوضى عنده ترافق مع حالة الاضطرابات الداخلية، وتوقه إلى توحيد إيطاليا. مفهوم مكيافللي للعلاقات الدولية يعتمد كثيراً على السياسات المحلية، فالدولة القوية في الداخل عليها التمتع بسياسة خارجية متينة وشديدة. فمفهوم الفوضى عنده أقرب لحالة الاضطرابات والصراعات؛ سواء على المستوى المحلي أو الخارجي، فهي أدنى إلى حالة شواش chaos داخلية وخارجية.

أما الأطروحة التي قدمها هوبز كانت مرتبطة بالأحداث التي مرت به دولته من صراع داخلي. فأفكاره بالأساس كانت تتعلق بالصراعات الأهلية وليست الدولية، فجل اهتمامه هو تحقيق الأمن والاستقرار الداخلي، في ظل غياب سلطة مشتركة فوق الأفراد داخل الدولة. فقدم تصورا للفوضى الداخلية التي تسود بين أفراد متساوين. باختصار، الفوضى الداخلية تساوي غياب اللفياثان والتي تتضمن معنيين، الأول انتفاء سلطة أعلى، والثاني، تعني حالة انعدام الاستقرار. ولكن المنظرين الواقعيين عندم استلهموا من هوبز مفهوم الفوضى، فهم لم يأخذوا بالمعنى الثاني، واكتفوا باعتبارها غياب سلطة عليا. فأصبحت الفوضى الهوبزية في العلاقات الدولية، تعني غياب سلطة مركزية.

ديكنسون؛ لم يُرجع أسباب الفوضى لأي عوامل داخلية، بل لخارجية متمثلة ببنية النظام الدولي، الذي يتسم بالفوضوية، إذاً، قدم مفهوماً حول الفوضى الدولية، التي ارتبطت بحالة الصراع بين الدول الأوروبية ذات السيادة في النظام الدولي. يكمن إسهام ديكنسون بالتقاط مفهوم الفوضى من هوبز، وتجلى دوره الأساسي في نقل حالة الصراع للأفراد في الحالة الطبيعية، وإسقاط هذه الفكرة على العلاقات ما بين الدول، أثناء الحرب العالمية الأولى. فاندلاع الأخيرة بحسب ديكنسون عائد لإفرازات الفوضى. أرجع بعض منظري الواقعية الفضل له في بلورة هذا المفهوم، وتطبيقه على الدول، في ظل التغيرات التي طرأت على العلاقات الدولية، مع بروز الدولة القومية ذات السيادة. إلا أن الاختلاف بين الواقعيين وديكنسون، أنه لم يكن هدفه تأسيس نظرية للعلاقات الدولية، بل معالجة الفوضى وتخطيها، وقد يدلل على ذلك بحصره هذا المفهوم؛ في الفوضى الأوروبية. إذاً كان هناك توظيف لمفهوم الفوضى سابق لوجودها في الواقعية الكلاسيكية، لذا تسعى الجزئية التالية في معالجته داخل النظرية الواقعية.

3. مفهوم الفوضى من منظور واقعي، قبل وأثناء الحرب الباردة

أطروحات كل من الفلاسفة ثيوسيديدس، ومكيافللي، وهوبز، حتى ديكنسون، لم تسهم في بناء نظرية لحقل العلاقات الدولية، على غرار المنظر السياسي مورغنثاو، الذي تأثر بأفكارهم[227]. مطوراً الواقعية لنظرية شاملة للعلاقات الدولية، عرفت باسم "الواقعية الكلاسيكية أو التقليدية"*[228] والتي هيمنت بدورها على حقل التنظير بعد الحرب العالمية الثانية[229]. اتفق معظم الواقعيين في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، بأن عمل مورغنثاو الرئيس "السياسة بين الأمم: الصراع من أجل القوة والسلام"؛ كان أهم وسيلة لتأسيس النموذج الواقعي، منطلقاً من دعامتين رئيستين "القوة والمصلحة القومية"[230]، ومنتقداً النموذج "الليبرالي"، مبرزاً مبادئ سياسات القوة، كأساس لدراسة مجال العلاقات الدولية، خلال فترة الحرب العالمية الثانية[231].

النظرية الواقعية تتبوأ مكانةً مهمة في الحقل النظري لدراسة السياسة الدولية، فلا غرابة من اختيارها كواحة يُدرس مفهوم الفوضى في ثناياها، من خلال مقارنة أطروحات أبرز المنظرين داخلها، وشاملة مختلف تياراتها. يسعى هذا الفصل للإجابة على سؤالين رئيسين: ما هو مفهوم الفوضى في المدارس الواقعية المختلفة؟، وهل هو مفهوم مركزي ومدخل أساسي في تفسير السياسة الدولية، أم عامل ثانوي؟

3.1 المبادئ الأساسية للنظرية الواقعية

"يرى الواقعي العالم مبنياً على المآسي والشرّ وأفضل ما يمكن أن يتمناه الواقعي؛ هو أن يحدث شرّ أقل"[232].

ناقش كل من جيفري ليغرو Jeffrey Legro (1960) وأندرو مورافسيك Andrew Moravcsik (1957) بأن "التعامل مع الواقعية باعتبارها نظرية واحدة جامدة، وليست مدرسة تتكوّن من اتجاهات عدة، خطأٌ إبستيمولوجي يُخفي التنوع داخل هذه المدرسة؛ فالواقعية نموذج معرفي واسع، يضمّ طيفاً واسعاً من المقاربات

---

[227] Michael C. Williams, "The Realist Tradition and the Limits of International Relations", Cambridge University Press, 2005, p.3, https://bit.ly/38L3x2u.

*يطلق على هذا النسخة أيضاً اسم "الواقعية البيولوجية" لتركيزهم على الطبيعة البشرية، على الرغم من أن هؤلاء المنظرين متعارف عليهم باسم "الواقعيين الكلاسيكيين".

[228] عديلة، "تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية"، ص203.

[229] Brian A. Keaney, "The Realism of Hans Morgenthau" (MA diss., Scholar Commons University of South Florida, 2006), 1. https://bit.ly/3uqMfOh.

[230] Donnelly, Realism and International Relations, p.15

[231] Williams, "The Realist Tradition", p.3.

[232] حمزة بن عبد الرحمن، مترجم، "تبسيط النظريات الأساسية في العلاقات الدولية، أولاً: الواقعية"، سياسة، 2013/12/5، https://bit.ly/3srO2Sx.

النظرية"[233]. فوصفها دونيلي " التوجه العام داخل حقل العلاقات الدولية"، ساندە غلبين الرأي، واصفاً الواقعية بأنها ذات "نزعة فلسفية"[234]. أشار مايكل ماستاندونو Michael Mastanduno (1956) إلى التأكيد بعدم وجود "نظرية واقعية واحدة، وأن الواقعية في حد ذاتها لا يمكن اختبارها أو تأكيدها أو دحضها"[235]، فالواقعية هي برنامج بحث يحتوي على مجموعة أساسية من الافتراضات، التي يمكن من خلالها تطوير مجموعة متنوعة من النظريات والتفسيرات[236].

وفي ذات الإطار؛ كولين إلمان Colin Elman وصفها "بالخيمة الكبيرة"؛ وبداخلها عدد من النظريات المختلفة[237]. ظهرت الواقعية وتطورت تدريجياً من خلال سلسة من أعمال المفكرين والمنظرين بعد الحرب العالمية الثانية؛ كما أشار والت، والتي يمكن تقسيمها لأربعة فروع رئيسة؛ (الواقعية الكلاسيكية، والواقعية الجديدة التي تضم التيار الدفاعي والهجومي، والواقعية الهجومية–الدفاعية، والواقعية الكلاسيكية الجديدة)[238].

لا يوجد اتفاق بين المنظرين الواقعين حول الافتراضات الرئيسة للنظرية*. لخص ميلر ولين_ جونز ستة افتراضات رئيسة بشأن طبيعة السياسة الدولية: أولاً: الدولة هي الفاعل الرئيس في النظام الدولي. ثانياً: الفوضى _غياب سلطة مركزية في النظام_، أي؛ النظام الدولي "أناركي". ثالثاً: هناك هدف دائب للدول نحو تعظيم قوتها، وضمان أمنها. رابعاً: الدولة فاعل عقلاني، تسعى لتحقيق أمنها وأهدافها في السياسة الدولية. خامساً: تعتمد الدولة على نفسها من خلال مبدأ "المساعدة الذاتية" في تحقيق مبتغاها، واستخدام قوتها العسكرية، للحفاظ على مكانتها داخل النظام الدولي، سادساً: السياسة الخارجية للدولة، وأنماط السياسة الدولية ضمن النظام الدولي، تُحدد بناءً على "توزيع القوة بين الدول"[239].

---

[233] حسين، الاتحاد الأوروبي والمنطقة العربية"، ص129.

[234] Donnelly, Realism and International Relations, p.6.

[235] Michael Mastanduno, "Preserving the Unipolar Moment: Realist Theories and U.S. Grand Strategy after the Cold War", ***International Security***, Vol. 21, No. 4 (Spring, 1997):50.

[236] Ibid.

[237] علي الجرباوي ولورد حبش، "النظرية الواقعية في مواجهة أحادية القطبية الدولية"، ***مجلة سياسات عربية***، العدد 38 (أيار 2019): 32.

[238] Stephen M. Walt, "The Progressive Power of Realism", *The American Political Science Review,* Vol.91, No.4 (Dec.1997): 932-933.

* قدم كل من ليجرو وأندرو مورافسيك Jeffrey W. Legro and Andrew Moravcsik افتراضين فقط للنظرية الواقعية، للمزيد أنظر: https://bit.ly/3wtGNft. بينما قدم جون فاسكيرز John Vasques ثلاثة افتراضات رئيسية للمزيد أنظر: https://bit.ly/3wbPHiG. وقدم شويلر وديفيد بريس David Priess أربعة افتراضات، للمزيد أنظر: https://bit.ly/3yCVEXK.

[239] الجرباوي وحبش، "النظرية الواقعية "، ص31.

يرتكز النموذج الواقعي على عدة مفاهيم أساسية، بدايةً "الدولانية"،Statism فالدولة هي "اللاعب" الرئيس، وتركيزها على القوى العظمى لما لها من تأثير ونفوذ كبيرين في الشؤون الدولية[240]. المصلحة الوطنية؛ هي التي تحرك سلوك الدولة، فتتجلى مركزية الدولة كفواعل أنانية وعقلانية، ذات سيادة، ولها سلطة كاملة على أراضيها، ولها حرية التصرف بشؤونها الخارجية، للحفاظ على موقع قوتها وتحسينه في المجتمع الدولي. أما الفواعل من غير الدول؛ كالمنظمات الحكومية وغير الحكومية، هي فواعل ثانوية أقل تأثيراً وأهميةً في العلاقات الدولية[241].

يتسم النظام بالفوضى وهو مبدأ الترتيب للهيكل الدولي، وعليه يميز الواقعيون _وخاصةً الجدد_ بين السياستين الدولية والمحلية، لأنه خلاف السياسة الداخلية، لا يوجد في الساحة الدولية سلطة أعلى من سلطة الدول، تعمل على ضبط سلوك الوحدات، وتفرض القواعد والقوانين عليهم داخل النظام، فعندما يشير الواقعيون للفوضى الدولية، يقصدون الافتقار إلى سلطة حاكمة[242].

يسمح المبدأ الفوضوي للواقعية بتقديم تحليل متشائم للسياسة الدولية، فهذه المدرسة ترى العالم بصورة قاتمة، ينتشر فيه انعدام الأمن، وصراعٍ مستمر بين الدول على القوة، فالمنافسة شائعة، وتارةً تحدث حرب مفتوحة[243]. وهذا لا يفيد بأن السياسة الدولية هي حالة حرب دائمة، ولكنها حالة من المنافسة الأمنية المستمرة، مع احتمال قائم للحرب[244]. محصلة ذلك، "واقع صراعي–تنافسي، وليس توافقياً–تعاونياً"[245]، ففي ظل الفوضى "لا يزال قانون الغاب سائداً" في العالم[246].

الدول داخل بيئة فوضوية تخشى على بقائها كجهاتٍ فاعلة مستقلة، فلا مراهنة على الآخرين لحماية الذات، ولا وجود لحكومة دولية يُلجأ إليها حين التعرض للتهديد الخارجي، فتتجبر الدول ساعية للقوة، من خلال تسخير

---

[240]John J. Mearsheimer, “Kissing Cousins: Nationalism and realism”, University of Chicago, May5, 2011, p. 5, https://bit.ly/3lvjzRa.

[241] عديلة، "تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية"، ص212.

[242] Christopher Layne, “China’s Role in American Grand Strategy: Partner, Regional power, or Great Power Rival?”,p. 56, https://bit.ly/3PyjHNr.

[243] Vanessa Lishingman, “Henry Kissinger’s Contribution to the Conception of International Relations Legitimacy, Consensus and Order: The Foreign Policy of Moderation”, p.16-17, https://bit.ly/3NJMblN.

[244]John J. Mearsheimer, “The False Promise of International Institutions”, ***International Security***, Vol.19, No.3 (Winter,1994-1995), p.9.

[245] الجرباوي وحبش، "النظرية الواقعية "، ص31.

[246] Donnelly, Realism and International Relations, p.10

مواردها واستراتيجياتها من أجل البقاء[247]، وهذا ما يعرف بمبدأ "المساعدة الذاتية" Self-help. ويقصدون بها بأنه في حالة الفوضى تكون كل دولة مسؤولة عن ضمان رفاهيتها وبقائها[248].

مبدأ المساعدة الذاتية سينتج عنه معضلة؛ لأنه على افتراض أن الدولة تهدف جراء زيادة قوتها؛ تحقيق أهداف دفاعية، نتيجة الفوضى، سيبدو ذلك للدول الأخرى على كتهديد، وتدخل الدول في سباق تسلح، وهذا ما يعرف بمفهوم "المعضلة الأمنية" Security dilemma. فسعي الدولة نحو القوة للحفاظ على أمنها وبقائها؛ سيشكل تهديداً لأمن وبقاء الدول الأخرى، فيغدو الانفكاك من المعضلة الأمنية أمراً مستحيلاً[249].

تعيش الدول حالة دائمة من الخوف وحاجة مستمرة للقوة، ولتحقق الدولة أهدافها يتحتم عليها استخدام قدراتها في ظل الفوضى، فتنخرط جميع الدول في صراعٍ مستمر على القوة، قد يؤدي نهايةً لحربن وهي أداة شرعية بيد الدول لتنفيذ مصالحها. يصبح "توازن القوى"* Balance of power الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاستقرار في النظام الدولي[250]. تدخل الدول في سلوك موازنة عند وجود دولة تهدد أمنها بسبب نمو قوتها، فالدول ستبحث عن طرق لمنع هيمنة قوة عظمى على النظام الدولي بأكمله[251]. يتشكل التوازن بعدة طرق؛ بشكل تلقائي أو بالصدفة، وقد يحدث عبر رؤية استراتيجية، تتفق عليها الدول، بهدف الحفاظ على الوضع القائم في الساحة الدولية بمختلف الوسائل المتاحة[252].

3.2 النظرية الواقعية الكلاسيكية

النظرية الواقعية الكلاسيكية تعتبر أول برامج البحث للواقعية في القرن العشرين، إلا أن جذور هذه المدرسة موجودة منذ قرون وحتى آلاف السنين. لذا يمكن العودة لتأريخ ومفهوم هذه المدرسة وأساسها النظري للإرث التاريخي، في مؤلفات كل من المؤرخ اليوناني ثيوسيديدس ومكيافللي وهوبز[253]. تظهر الواقعية الكلاسيكية في

---

[247]Stephen M Walt, "US grand strategy after the Cold War: Can realism explain it? Should realism guide it?", ***International Relations,*** (Jan.2018): 5

[248] Layne, "China's Role in American?", p. 56-57.

[249] Go Ito, Realism, *Government and politics,* Vol. 2, https://bit.ly/38JfeHa.

*ترتكز "نظرية توازن القوى" على مبدا توزيع القدرات المادية مثل (السكان، الموارد الطبيعية، الاقتصاد، والقوة العسكرية، وغيرهم)، مفترضة بأن الدول ستتوازن ضد الدولة الأقوى ذات أكبر تراكم للمصادر المادية.

[250] Ito, Realism, P4.

[251] Sean M. Lynn-Jones & Steven E. Miller, "Preface", in ***Perils of Anarchy: Contemporary Realism and international security,*** (Cambridge: MIT Press, 1995), P. x.

[252] أحمد وهبان، "النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من مورجنثاو إلى ميرشايمر "دراسة تقويمية""، جامعة الإسكندرية، 2016، ص21. https://bit.ly/2UFj78o.

[253] Elman, "Realism", p.12.

إسهامات كل من كار ومورغنثاو، وأرنولد ولفرز Arnold Wolfers (1892–1968)، وريمون آرون Raymond Aron (1905–1983)، جون هيرز John Jerz (1908–2005)، هنري كيسنجر Henry Kissinger (1923)، ستانلي هوفمان Stanley Hoffmann (1928–2015) وغيرهم[254].

بدأت تتبلور الأفكار الواقعية، مع بروز أول شخصية رئيسة حاولت إعادة تشكيل مجال العلاقات الدولية، والتي تمثلت بالمؤرخ والدبلوماسي الإنجليزي كار الذي عمل على إحلال منطلقات القوة والتاريخ محل المؤسسات الدولية؛ متمثلة بعصبة الأمم آنذاك[255]. كان كار من أوائل المشككين في النموذج الليبرالي، وفي قدرتها على تفسير الأحداث السياسية، مع اندلاع الأزمات الدولية في ثلاثينات القرن الماضي، ولم يكن هناك أي بديل نظري يسد ذلك الفراغ[256].

انتقد كار الأفكار المثالية في كتابة "أزمة العشرين عاماً" 1939، وتهميشها للدور المركزي لكل من القوة، وتوزان القوى في السياسة الدولية، مجادلاً بأن المنظمات الدولية لن تكون قادرة على منع اندلاع حرب مستقبلية في المجتمع الدولي، وأن الدول ستتكاتف لردع أي عدوان تقوم به دولة ضد الدول الأخرى. رأى بأن الأفكار المثالية طوباوية غير قابلة للتطبيق، فالواجب تفسير الواقع كما هو، وليس كما يجب أن يكون، فهذه طبيعة العلاقات الدولية[257]. السياسة الدولية عند كار هي؛ سياسة قوة. فالصيغة النهائية للقوة في العلاقات الدولية، هي الحرب، فوسائل المؤسسة العسكرية، وفن إدارة الجيش، تحظى باهتمام كبير[258]. لذا، ينسب له بأنه أحد أبوي النظرية الواقعية إلى جانب مورغنثاو[259].

كما انتقد مورغنثاو النموذج المثالي، وأشار هيرز "بدأ البعض منا، تحت القيادة الفكرية لمورغنثاو، في الدعوة إلى نهج أكثر واقعية للشؤون العالمية". لذا اعُتبر مورغنثاو أب الواقعية الكلاسيكية، وعليه؛ التركيز الأساس في الجزئية التالية، حول أطروحته ومفهومه للفوضى الدولية؛ كونه الأكثر شهرة ونفوذاً ضمن النموذج الواقعي الكلاسيكي.

---

[254] المرجع السابق.

[255] Ibid, p.26-27.

[256] Ibid.

[257] علي بن حسين القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية: دراسة تحليلية نقدية للتجربة التنظيرية"، ***مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية***، عدد 2 (يوليو 2011): 312.

[258] جون ميرشايمر، "إدوارد هاليت كار في مواجهة المثالية: وتحتدم المعركة"، جلال خشيب، مترجم، ***المجلة الجزائرية للأمن والتنمية***، (كانون الثاني: 2017، عدد 10: 598-599.

[259] وهبان، "النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية"، ص14.

اتفقوا جميعهم على رفض التيار المثالي، وإحياء المنظور الواقعي. فاعتبروا السياسة الدولية أساسها وجود مصالح قومية متعارضة بين الدول، وهذه سمة ثابتة، وعليه تصبح الحروب حتمية في النظام الدولي، ولا يمكن التعويل على القواعد القانونية والمؤسسات الدولية لتحقيق الأمن والسلم الدوليين، وعليه يصبح التوازن الأداة الرئيسة، التي تحول من السياسات التوسعية[260].

3.3 مفهوم الفوضى في الواقعية الكلاسيكية

"ليست السياسة الدولية كغيرها من السياسات إلا صراعاً على السلطان"[261].

يعد مورغنثاو مؤسس الواقعية الكلاسيكية، واعتبر أحد أكثر المنظرين تأثيراً في مجال العلاقات الدولية. ففي عمله "السياسة بين الأمم"، الذي انتشر بعد الحرب العالمية الثانية، سعى لبناء نظرية علمية تسعى لتفسير سلوك الدول داخل النظام الدولي، واضعاً أفكار تخدم صانع القرار الأمريكي في اتخاذ قرارات ناجحة في السياسة الخارجية أبان الحرب الباردة[262]. أشار في الفصل الأول من كتابه بأن نظريته سميت بالواقعية، بحكم اهتمامها بالطبيعة البشرية، وبالأحداث التاريخية كما هي بالواقع. لذا، قدم تفسيراً نظرياً للسياسة الدولية، بمناقشة ستة مبادئ أساسية للواقعية. فهذه المبادئ هي جوهر فلسفة مورغنثاو السياسية[263]:

الفرضية الأول، إيمان الواقعية "بأن السياسة، مثل المجتمع بشكل عام، تحكمها قوانين موضوعية لها جذورها في الطبيعة البشرية، من أجل تحسين المجتمع، من الضروري أولاً فهم القوانين التي يعيش بها المجتمع"[264]. وهذه الطبيعة هي الموضوع والمدخل الرئيس لفلسفته السياسية. العالم من منظوره ما هو إلا عملية إسقاط للطبيعة البشرية على المستوى الاجتماعي، واصفاً إياه "صراع مستمر بين الخير والشر، والعقل والعاطفة، والحياة والموت، والصحة والمرض، والسلام والحرب _ صراع ينتهي غالباً بانتصار القوى المعادية للإنسان"، باقتضاب؛ إنه عالم شرير، "عالم تتعارض فيه المصالح والصراع"[265].

---

[260] ريمون حداد، العلاقات الدولية: **نظرية العلاقات الدولية، أشخاص العلاقات الدولية، نظام أم فوضى في ظل العولمة**، (بيروت: دار الحقيقة، 2006)، ص159-160.

[261] هانز مورجنتاو، **السياسة بين الأمم الصراع من أجل السلطان والسلام**، خير حماد، مترجم، (القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر، 1964)، ص53.

[262] القحطاني، **"النظرية الواقعية وتطورها"**، ص313.

[263]Ghazi A. R. Algosaibi, "The Theory of International Relations: Hans J. Morgenthau and His Critics", ***Background,*** Feb., 1965, Vol. 8, No. 4 (Feb., 1965): 226.

[264] Hans J. Morgenthau, **Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace**, Fifth Edition, Revised, (New York: Alfred A. Knopf, 1978), p.4.

[265] Algosaibi, "The Theory of International Relations", p. 227.

يبني معظم الكلاسيكيين تحليلاتهم النظرية استنادًا على "الصورة الأولى" المتمثلة بالطبيعة البشرية لما لها من تأثير على سير العلاقات الدولية. تصطبغ هذه الطبيعة بالثبات، وناقش مورغنثاو "لم تتغير الطبيعة البشرية، منذ أن سعت الفلسفات الكلاسيكية للصين والهند واليونان إلى اكتشاف هذه القوانين"[266]. والبشر لا يمكن أن يعيشوا كأفراد، إلا من خلال انضمامهم لمجموعات أكبر تتحكم في ولائهم، وتوفر لهم الحماية والأمن من تهديدات الأعداء الخارجيين. باختصار، القبيلة حقيقة ثابتة في الحياة السياسة والاجتماعية، وتتمحور بشكل مركزي حول المجموعة بطبيعتها. فتصبح السياسة عبارة عن صراع دائم بين تلك المجموعات التي تحمل واحدة منهم مصلحة ذاتية على الموارد الطبيعية النادرة، التي تكون قدرات مادية أو موارد اجتماعية كالمكانة. نتيجة ذلك تعيش تلك المجموعات في حالة عدم يقين بشأن نوايا بعضها البعض، سواء في الوقت الراهن، أو المستقبل. يُضاف إلى ذلك، أهمية القوة لكل جماعة من الجماعات لتحقيق أهدافها التي قد تكون الهيمنة العالية، أو مجرد الحفاظ على الذات[267].

أثار هذا المفهوم الذي ينطلق منه الكلاسيكيون كوحدة تحليل أساسية جدلاً، لما لهذه الطبيعة من وظيفة مركزية تعمل كصندوق أسود، يعمل على توجيه سلوك الأفراد والدول، حتى لو كان هناك صعوبة في تفسير الخصائص الدقيقة للطبيعة البشرية وطريقة عملها، إلا أنها تحمل عواقب سلبية لا يمكن تجنبها[268]. والدول شأنها كشأن الأفراد، لديها رغبة فطرية في السيطرة على الآخرين، وهذا ما ينتج عنه علاقات "تنافسية _تصارعيه"، بالتالي اندلاع الحروب[269].

السياسة تحكمها قوانين موضوعية صارمة تنشأ في الطبيعة الإنسانية، وهذه القوانين التي يتحرك بها الأفراد في العالم الاجتماعي هي أبدية. إيمان مورغنثاو بأهمية المصلحة الوطنية لكل جماعة، باعتبارها حقيقة يجب اكتشافها، وهذه المصالح الموضوعية، تحدد جوهر السياسة الخارجية للدول، أظهر ذلك، في ثاني "قواعده الأساسية"[270]، التي تنص "أن إن العلامة الرئيسة التي تساعد الواقعية السياسية على إيجاد طريقها عبر مشهد

---

[266] Morgenthau, Politics Among Nations, p.4.
[267] Jeffrey W. Taliaferro and others, "Introduction: Neoclassical realism, the state, and foreign policy", in **Neoclassical Realism**, *The State, and Foreign Policy,* (New York: Cambridge University Press, 2009), p.14-15.
[268] Michal Ovadekm "Classical Realism and Human Nature: An Alternative Reading'", Aug. 9, 2015, E-International Relations Studies, p.1, https://bit.ly/2VzWiA1.
[269] Stephen M. Walt, "International Relations: One World, Many Theories", ***Foreign Policy,*** No. 110, (spring, 1998): 31.
[270] Donnelly, Realism and International Relations, p 45.

السياسة الدولية؛ هي مفهوم المصلحة المحددة من حيث القوة"؛ أي أن الفاعلين السياسيين يفكرون ويتصرفون بناء على المصلحة المحددة على أنها قوة[271].

بحسب مورغنثاو؛ هناك علاقة قوية بين المصلحة والسياسة الخارجية، على اعتبار الدول دوماً تسعى وراء مصالحها، كاتباً بهذا الصدد "نحن نفترض أن رجال الدولة يفكرون ويتصرفون من منظور المصلحة التي تعرف على أنها القوة، وتثبت أدلة التاريخ هذا الافتراض"[272]. فعلى الدول أن تحدد مصالحها من حيث القوة، من خلال إدراك مصلحتها القومية وأهدافها. الافتراض هذا يسمح بتقديم تنبؤ حول سلوك رجل الدولة، سواء في الماضي، أو في الوقت الراهن، أو في المستقبل؛ داخل المشهد السياسي الدولي[273].

ثالثاً، تفترض الواقعية بأن هذا المفهوم الرئيس _المصلحة_ المعرف على أنه القوة، لا يتأثر بظرفي المكان والزمان. هنا يتأثر مورغنثاو من تجارب اليونان القديمة، التي صرح بها ثيوسيديدس؛ بأن المصالح هي أقوى الروابط التي تجمع بين الدول أو الأفراد. بينما يؤكد الافتراض الرابع؛ بأن الواقعية تدرك الأهمية الأخلاقية للعمل السياسي. فالواقعي ليس غير مكترث بالأخلاق، بل يزعم بأن المبادئ الأخلاقية العالمية لا يمكن أن تتحقق، ولكن في أحسن الأحوال يمكن الاقتراب منها. يدرك مورغنثاو بوجود توتر دائم بين متطلبات الأخلاق، ومتطلبات العمل السياسي الناجح. يؤكد الافتراض الخامس بأن لواقعية "ترفض تحديد التطلعات الأخلاقية للأمة المتساوية مع القوانين الأخلاقية التي تحكم الكون"؛ لأن جميع الدول جهات فاعلة سياسية تسعى وراء مصالحها، المحددة من حيث القوة[274].

وفقاً لمورغنثاو؛ المصلحة الوطنية لا تخلو من الاعتبارات الأخلاقية. يعني ذلك اختيار الأفعال الأقل شراً في الساحة الدولية. الواجب الأخلاقي لأي أمة اختيار أهون الشرين، وهذا يجبرها على اتباع مصلحتها الوطنية. في ظل عدم إمكانية وجود مجتمع دولي متكامل يجمع تحقيق القيم الأخلاقية والحفاظ على النظام، يصبح مبدأ الحفاظ على الذات في ظل هذه الأوضاع واجباً أخلاقياً. إذاً "ما يبدو أنه مبدأ مخالف للأخلاق، يصفه مورغنثاو بأنه أخلاقي، ويعطيه قيما أعلى من المبادئ العالمية؛ مثل؛ الحرية أو الرفاه الاقتصادي لجميع الأمم"[275].

---

[271] Morgenthau, Politics Among Nations, p.4.
[272] Ibid, p.5.
[273] Ibid.
[274] Ibid, p.6-8.
[275] Algosaibi, “The Theory of International Relations”, p. 231-232.

الافتراض الأخير، ينص على ضرورة استقلالية المجال السياسي عن باقي المجالات الأخرى. كما يميز بين السياستين الداخلية والخارجية، فتبرز الأولى بوجود سلطة منظمة داخل الدولة، بينما يفتقر المجال الدولي مثل هذه السلطة، لذا يعبر عنها بالفوضى[276].

هيمن المنظور الكلاسيكي على حقل العلاقات الدولية منذ أربعينيات حتى سبعينيات القرن الماضي. فالواقعية متجذرة في الرؤى الدائمة للقيود التي تفرضها الطبيعة البشرية والفوضى على السياسة الدولية، ما يجعل الأخيرة مجالاً للقوة والمصالح[277]. هذا ما يتيح لنقاش حول ما إذا كانت الفوضى عاملاً مركزياً أم ثانوياً بحسب الكلاسيكيين لفهم السياسة العالمية.

يؤكد أنصار هذا التوجه على الفوضى الدولية. ففي ظل غياب حكومة دولية يسود قانون الغاب، وذلك نقيض ما هو داخل الدولة، فيكون هناك قانون ونظام، ويجري ترويض الطبيعة البشرية عن طريق السلطة السياسية والحكم. فالفوضى في العلاقات الدولية لا تتيح المجال فقط للتعبير عن الطبيعة البشرية بأسوأ أشكالها، بل تعمل على تشجيعها[278]. في ظل هذه الظروف يكون الشاغل الأساسي للدولة؛ هو الحفاظ على ذاتها، فهي ببحثٍ مستمر عن الأمن. التصور السابق مبني على ثلاثة افتراضات رئيسة: أولاً، السياسة الدولية، مثلها مثل جميع السياسات، هي صراع على القوة. ثانياً، وجود تباين بين السياسة الداخلية والسياسة الدولية. ثالثاً، تعتبر الدولة القومية أهم فاعل سياسي في دولي[279].

يتميز المجتمع الدولي في منظور الواقعية الكلاسيكية بعدة خصائص. أولاً، يُولي الكلاسيكيون من أمثال مورغنثاو وكيسنجر وولفرز، اهتماماً بالغاً لمصادر واستخدام القوة الوطنية في السياسة الدولية، والإشكاليات التي يواجهها القادة في إدارة السياسة الخارجية. هذه القضايا دفعت منظري هذا التوجه للتركيز على طبيعة الدول، وتوزيعات القوة بين الدول، وكتبوا بإسهاب حول القوة الوطنية والدولة[280]. تتمثل مركزية مفهوم القوة في العلاقات الدولية، على اعتبار هذه الميزة هي نتاج كل من الدول ذات السيادة والفوضى. افتقار المجتمع الدولي

---

[276] أنور فرج، **نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة**، (السليمانية: مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية، 2007)، ص224-225.

[277] Donnelly, Realism and International Relations, p9.

[278] Ibid, p.10

[279] Vasif Huseynov, "The Nexus of Neoclasical Realism and soft power the case of the west – Russia Geopolitical Rivalries in the "Common Neighbourhood" (Phd Dissertation: at Georg-August University of Göttingen, 2018), p.22.

[280] Taliaferro and others, "Introduction: Neoclassical realism", p.16.

لوجود "القاضي والشرطي"؛ يجعل النظام الدولي غير منظم بحسب مورغنثاو وآرون، وهذا نهاية لخضوع المجتمع الفوضوي لتقدير سلطات الدول، كل دولة تتصرف وفق اهوائها ومصالحها وقوتها[281].

ثانياً، تُميز الواقعية الكلاسيكية بين السياسة الداخلية والسياسة الدولية، مستخدماً مورغنثاو الأخيرة كطريقة لترسيم المجال، مظهراً بأن شيئاً في السياسة يحدث خارج الدول، يجعلها مختلفة عن السياسة التي تحدث داخلها[282]. أي، فوضوية النظام الدولي تجعل المجتمعات المحلية متباينة عن المجتمع الدولي؛ تتميز الأولى بوجود حكومة مزودة بأجهزة وسلطات (تنفيذية–تشريعية–قضائية)، قادرة على الضبط، وإنفاذ القوانين، وحسم النزاعات الداخلية، من خلال القوات العسكرية والشرطة. البيئة الدولية تفتقر لمثل هذا التنظيم، بالرغم من وجود قانون دولي عام، إلا أن التقيد بهذه القواعد يختلف من دولة لأخرى، كونه قانون قائم على رضى وإرادة الدولة، بالتالي، غياب أي جهاز قضائي يفض النزاعات بين الدول بشكل إلزامي[283].

تعتبر الدولة بحسب الكلاسيكيين؛ اللاعب الأساسي في المجتمع الدولي، وتتسم بأنها فواعل عقلانية. الباحث في فكر مورغنثاو سيجد هذه المسائل تحظى باهتمامٍ قليل في تحليله، مقارنةً بتركيزه المطلق حول كل من الطبيعة البشرية والقوة والصراع. فللقوة دور أساسي لا يمكن فصله في تحديد سلوك الإنسان[284]. تعد الطبيعة الإنسانية _في صلب نظريته_ جوهراً لا يمكن القضاء عليه من المشاعر الأنانية، ساعيةً للسيطرة على الآخرين بمعزل عن أية مبادئ أخلاقية، فتسود حالتا الشك والخوف بين الأفراد، ما يجعل العلاقات بينهم تميل للنزاع عوضاً عن التعاون، وعليه يصبح لا مفر منه[285].

يؤمن الكلاسيكيون بأن النظام الدولي هو في حالة الفوضى، نتيجة غياب سلطة مركزية فوق سلطة الدول، ما يثير هاجس الدول حول توازن القوة. إلا أن هذا "القيد البنيوي يعتبر سبباً من الدرجة الثانية لسلوك الدولة، حيث يتمثل الدافع الأساسي في السياسية الدولية في الرغبة في القوة المتأصلة في دول النظام كافة التي تدفعها جميعها للسعي وراء التفوق"[286]. وبالرغم من وجود تشابهات عديدة بين النظريات الواقعية، لكنْ، هناك تباين بين الواقعية الكلاسيكية والواقعية الجديدة _سيوضح ذلك لاحقاً_ حول مسألة الطبيعة البشرية وتصورهم للفوضى

---

[281] حداد، العلاقات الدولية: نظرية العلاقات الدولية، ص162.

[282] John A. Vasquez, **The Power of Power Politics from Classical Realism to Neotraditionalism**, (Cambridge University Press: 2009):49.

[283] حداد، العلاقات الدولية: نظرية العلاقات الدولية، ص161.

[284] وهبان، **"النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية"**، ص15.

[285] Donnelly, Realism and International Relations, p 9-10.

[286] جون ميرشايمر، **مأساة سياسة القوى العظمى**، (الرياض: النشر العملي والمطابع-جامعة الملك سعود، 2012)، ص 24-25.

الدولية. فالأولى تحمل رؤية تشاؤمية للطبيعة البشرية حول سلوك وتصرفات الأفراد داخل الدولة القومية ذات السيادة، وكما أشير قبل؛ هذه الطبيعة متجذرة في السياسة الدولية، وعليه ستبقى فوضوية وصراعية بسبب طبيعة الإنسان[287].

بناءً على ما سبق، الطبيعة البشرية هي العنصر المركزي في نظرية مورغنثاو، كونه يضع المصدر الأساسي للصراع والحرب على القوة بين الأفراد والدول في الطبيعة الإنسانية. ويجد الفوضى في سلوك وطبيعة البشر في الحالة الطبيعية، والتي تفرض عليها سلوكاً عقلانياً من أجل البقاء، وهو ما ينسحب على الدول في سياستها الخارجية في محيط عدائي قائم على التنافس والصراع من أجل تعظيم المصالح. وعليه، لم يركز مورغنثاو في الفوضى على اعتبارها عاملاً رئيسياً في تحديد ملامح النظام الدولي. فالفوضى كانت ثانوية في تنظيراته على المستوى الدولي وهو ما يظهر شكليا أيضا في اعماله إذ لا توجد لفظة الفوضى Anarchy في فهرس كتاب مورغنثاو. ثانياً، أول افتراض بدأ فيه مورغنثاو لتفسير السياسة الدولية هو الطبيعة البشرية، ولم يذكر الفوضى في أي افتراض من افتراضاته الستة.

يوضح الشكل رقم (1) العامل المركزي في نظرية مورغنثاو

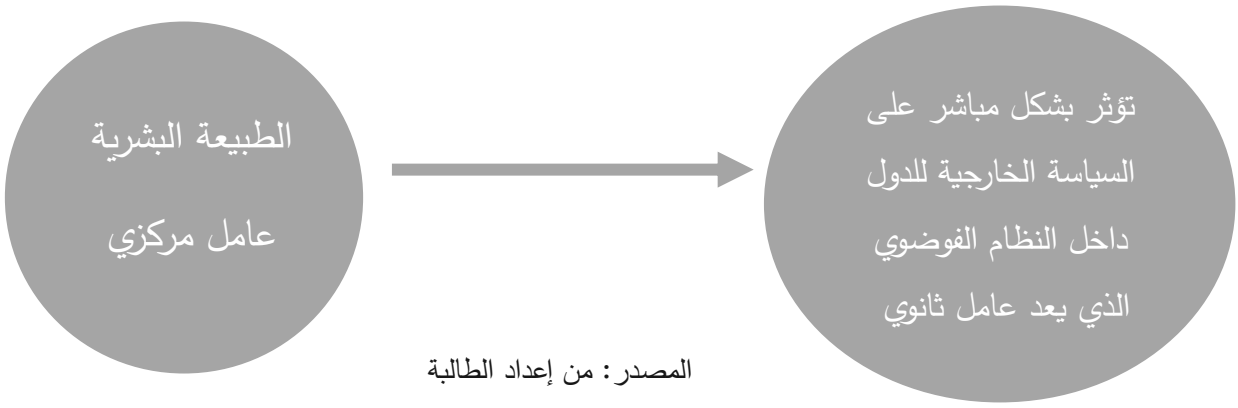

المصدر: من إعداد الطالبة

توضح الأرقام في الجدول أدناه، بأن الطبيعة البشرية هي المفهوم المركزي عند مورغنثاو لتفسير السياسة الخارجية، لكن هذا لا يعني أنه لم يعترف بالفوضى الدولية، بل لم يعطها الاهتمام الكافي. ففي كتابه "Scientific Man Versus Power Politics" المنشور عام 1946، ذكر الفوضى مرتين، بينما أشار

[287]Cynthia Weber, **International Relations Theory A critical introduction**, (New York: Routledge, Second edition 2005), 16.

للطبيعة البشرية 6 مرات. بينما أشار للفوضى مرتين في كتابه المعنون " In defense of the national interest: a critical examination of American foreign policy"، المنشور عام 1951. أكد على فكرته بعد 39 عاماً ونشره لكتابه الثاني " Politics among nations the struggle for power and peace"، وهذه النسخة التي جرى فحصها صادرة في عام 1985، ذكر كملة Anarchy (9) مرات، وAnarchic (5) مرات، بينما الطبيعة البشرية (16) مرة.

الجدول رقم (2) الفوضى في كتب مورغنثاو قبل انتهاء الحرب الباردة

#	كتب هانز مورغنثاو	Anarchy	Anarchic	Human nature	المفاهيم التي ارتبطت في مفهوم الفوضى
1	Scientific man versus power politics, (1946)	1	1	6	**النزعات الدولية:** "ليست كل النزاعات الدولية من هذا النوع ولا هي الظروف التي أدت إلى قيام التحالف المقدس وحلف أوروبا بطابع دائم وعالمي. تتحدى الصراعات الدولية الكبرى التي تغير وجه الحضارات بقاء الإطار الحالي للمصالح والقيم، ومن خلال توزيع جديد للسلطة، تخلق نظامًا سياسيًا وقانونياً جديداً أو تحافظ على نظام قديم يمكن أن تتكرر فيه صراعات ثانوية معينة"[288]. **القانون الدولي:** لا يمكن أن يكون كبديل عن الفوضى الدولية[289].
2	Politics among nations the struggle for power and peace Brief Edition, (1985)	9	5	16	**الحرب:** "نزع السلاح هو تخفيض أو إزالة بعض أو كل الأسلحة لغرض إنهاء سباق التسلح. يُعتقد أنه من خلال التخلص من أحد المظاهر النموذجية للصراع على السلطة على الساحة الدولية، يمكن للمرء أن يتخلص من الآثار النموذجية لذلك الصراع: الفوضى والحرب الدولية"[290]. "إن علاجات الفوضى والحرب الدولية التي تمت مناقشتها حتى الآن كلها علاجات محددة. إنهم يهاجمون مشكلة خاصة يتجلى فيها الافتقار إلى النظام الدولي والميل نحو الحرب، ويسعون لحل المشكلة العامة للنظام الدولي والسلام من خلال حل المشكلة

[288] Hans Morgenthau, **Scientfic Man vs. Power Politics**, (London: Latimer House Ltd, 1947), p63.
[289] Ibid, 104.
[290] Morgenthau, Politics Among Nations, p.19.

					الخاصة. تدين الحكومة الدولية بوجودها إلى الاعتراف بأن السلام والنظام هما نتاج، ليس لجهاز معين يواجه مشكلة معينة، ولكن للرابطة المشتركة التي توحد مجتمعًا متكاملًا تحت سلطة مشتركة ومفهوم مشترك للعدالة. إن كيفية تأسيس مثل هذه السلطة في مجتمع من قوائم ذات سيادة وخلق مثل هذا المفهوم للعدالة هي، إذن، المهمة التي يجب أن تحاول أي محاولة في الحكومة الدولية حلها"[291].

المصدر: من إعداد الطالبة

قلة تناول مورغنثاو لمفهوم الفوضى يجعل من الصعب التعمق في هذا المفهوم لديه، ولكن يمكن إدراك بعض الملاحظات الأولية في نظره، أولاً، أن هذا المفهوم ليس مركزياً لديه، وهذا ما اضطره لعدم التوسع في تناوله بعمق، إنما اكتفى بالإشارة إلى وجود فوضى في النظام الدولي في تسعة أماكن مختلفة في كتابه الشهير السياسة بين الأمم. ثانياً، مفهوم الفوضى ارتبط بغياب سلطة عليا، مفرقاً بين النظام السياسي الداخلي والنظام الدولي، فالأولى تحتوي على قيم وروابط مشتركة؛ كالعدالة التي تجمع المجتمع الداخلي، بينما يفتقر النظام الدولي لوجود مثل هذه المعادلة.

ثالثاً: ربط مورغنثاو تحقيق السلام بوجود حكومية عالمية، فالسلام لا يمكن أن يتحقق في ظل دول ذات سيادة تعيش في نظام فوضوي، فتخلي الدول عن سيادتها يمكن أن يحقق السلام، ولكن هذا مرهون بالتوافق على المصالح المتبادلة. واضح من خلال هذا الطرح أن وجود الدول ذات السيادة لا يمكن أن يولد غير الحرب والصراع، لافتقاره لحكومة عالمية[292]. فالفوضى مستمرة طالما يفتقر النظام الدولي إلى سلطة عليا.

[291] Ibid, p.20.

[292] وسام أبو طيور، "مفهوم القوة عند هانز مورغنثاو: إعادة نظر"، (بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2018)، رسالة ماجستير، ص45-46.

3.4 الفوضى في الواقعية الجديدة/ البنيوية*

أدى ظهور المدرسة السلوكية في العلوم السياسية التي انصب جل اهتمامها باستخدام المنهج العلمي في البحث ودراسة السلوك الإنساني بالطريقة العلمية، خلال ستينيات القرن الماضي؛ إلى تقويض المدارس الكلاسيكية في دراسة الظواهر السياسية بشكل عام، والظواهر الدولية بشكل خاص، ومنها الواقعية الكلاسيكية في الجامعات الأمريكية. فبرزت مقاربات أكثر منهجية للعلاقات الدولية وللواقعية، وأصبحت النسخة الجديدة النهج الواقعي السائد والمهيمن في دراسة العلاقات الدولية[293].وما شهده العالم آنذاك؛ من بروز دور متزايد للمنظمات الدولية وغير الحكومية بالإضافة للشركات متعددة الجنسيات؛ ساهم في إعادة إحياء الفكر المثالي الذي عُرف لاحقاً "بالليبرالية الجديدة"، الذي يتناقض مع الافتراض السائد في النموذج الواقعي، بأن الدولة هي الفاعل المركزي والوحيد في السياسة الدولية[294].

جاء الرد الواقعي كينيث والتز بإحيائه النظرة الواقعية، وتطوير نظرية منهجية للسياسة الدولية، في كتابه "نظرية السياسة الدولية"، الذي نشر لأول مرة عام 1979، وبات هذا الكتاب النص التأسيسي للنظرية الواقعية الجديد/البنيوية، والتي حلت محل واقعية مورغنثاو باعتباره مؤسساً لها[295]. ترسخت الواقعية البنيوية خلال سنوات الحرب الباردة؛ فنظرية والتز تمكنت من تقديم تفسيرات حول الظواهر الدولية آنذاك؛ كالحرب والإمبريالية والتحالفات، فتركيزها على المنافسة كان متسقاً مع السمات المركزية للنظام الدولي[296].

كما أسهم ميرشايمر مساهمة ثرية في التنظير للواقعية الجديدة/البنيوية. إذ رسخ نفسه بقوة كواحدً من أهم المساهمين الرئيسين، وأكثرهم جدلاً وتأثيراً ضمن هذا النموذج. اهتم بالدراسات الاستراتيجية، وأنتج عدداً من الكتابات؛ تمحورت حول الإستراتيجيات العسكرية. ومع ذلك يعتبر كتابه "مأساة سياسة القوة العظمى" 2001، الأكثر إثارةً للجدل؛ فسعى من خلاله تدعيم حجج نسخته الخاصة من الواقعية الجديدة، التي عرفت "بالواقعية الهجومية"، وأصبح المدافع الأكثر نفوذاً عن التيار الهجومي[297].

---

[293] Eric J. Labs, "Beyond Victory: Offensive realism and the expansion of war aims", ***Security Studies,*** Vol. 6 (June 1997), p.2.
[294] Korab – Karpowicz, "Political Realism in International Relations",
[295] Donnelly, Realism and International Relations, p29-30.
[296] Walt, "International Relations: One World, Many Theories", p.31.
[297] Peter Toft, "John Mearsheimer: an offensive realist between geopolitics and power", ***Journal of International Relations and Development,*** Vol. 8, no. 4 (2005): 381-382, https://bit.ly/3Nv8JpV.

تهتم الواقعية الجديدة بالدرجة الأولى بالاعتماد على منهجية صارمة _يفتقرها الكلاسيكيون_، فهي لا تدع تنبؤاً بالسياسة الخارجية لدول معينة، ولكنها تشرح الأنماط الرائجة للسلوك الدولي، عبر الزمن، من خلال تتبع السلوك المتكرر للدول في هيكل النظام الدولي، الذي يتميز بالفوضى. تجبر الفوضى الدول في المنظور البنيوي على اتباع استراتيجيات مماثلة لتأمين نفسها. يفسر هذا التيار سلوك القوى العظمى، بالاعتماد على المتغير الأكثر أهميةً في السياسة الدولية؛ توازن القوى أو التوزيع النسبي للقدرات بين الدول.

لذا، هدفت الواقعية الجديدة/ البنيوية إلى تقديم مساهمة في حقل العلاقات الدولية عبر الإجابة عن العديد من الأسئلة الكبيرة ذات الصلة بالسياسة الدولية، مثل: لماذا تندلع الحروب؟ لماذا تتوازن الدول ضد الدولة القوية؟ ولماذا يصعب تحقيق التعاون بين الدول؟[298] انطلاقاً من نقد الواقعية الكلاسيكية، وأبرز هذه الانتقادات: بإن حججها ضعيفة، فمدخل مورغنثاو حول الطبيعة البشرية كسبب نهائي لتفسير السياسة الدولية خارج نطاق ما يمكن للعلم التحقق منه أو إثباته، فنظريته غير قابلة للاختبار عملياً[299].

تُثير فروع الواقعية الجديدة جدلاً حول مفهوم الفوضى ودورها، وهذا ما قاد لانقسام البنيوية لتيارين؛ هجومي، ودفاعي، فهما نظريتان متنافستان لاختلافهم حول العديد من القضايا في النظام الدولي؛ كالقوة ومقدارها، والحرب وسلوك الدول نتيجة البنية الفوضوية. وعليه جرى التركيز على والتز وميرشايمر باعتبارهم الأكثر تأثيراً ونفوذاً داخل فروعهم الخاصة من الواقعية. تسعى هذه الجزئية لمعالجة مفهوم الفوضى بطرح عدة أسئلة: ما هو مفهوم الفوضى عند نظريات الواقعية الجديدة؟ وهل هو مفهوم مركزي في نظرياتهم؟

3.4.1 الفوضى في الواقعية الدفاعية

"في الفوضى، الأمن هو الهدف الأسمى. فقط إذا ضُمن البقاء، يمكن للدول أن تسعى بأمان إلى أهداف أخرى؛ مثل الهدوء والربح والقوة"[300].

دافع والتز في أطروحة الدكتوراه التي قدمها في خمسينيات القرن الماضي، التي نشرت لاحقاً في كتاب جاء بعنوان "الإنسان والدولة والحرب" 1959، عن فكرة حتمية الصراع في النظام الدولي، في ظل غياب قانون يُطبق على الدول ذات السيادة، مما يمنح الدول حرية التصرف في تحقيق طموحاتها ورغباتها. لتحقيق النتائج

[298] Taliaferro, "Introduction: Neoclassical realism", p.17.

[299] عديلة، "تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية"، ص216

[300] Waltz, Theory of International Politics, p.126.

المرجوة للدول في ظل فوضوية النظام الدولي؛ ينبغي على الدولة الاعتماد على ذاتها وأجهزتها الخاصة، لذا يعد والتز المدافع الأكثر تأثيراً فيما يتعلق بتأثير الفوضى على سلوك وسياسات الدول[301].

أعاد والتز طرح سؤال جدلي "لماذا تندلع الحروب"؟ بالرغم من تقديم العديد من منظري العلاقات الدولية إجابات مختلفة حوله. وفي إجابته على السؤال؛ ناقش التمييز بين نظريات العلاقات الدولية، وفقاً للمستوى أو الوحدة الذي ترتكز عليه كل نظرية في تفسيرها للأسباب التي تقود نحو الحرب أو السلام[302]. هذه الأسباب قد تكون في الصورة الأولى تتمثل بالفرد (صانع القرار)، مستنتجاً في هذا المستوى؛ بأن العملية السياسة الدولية تقاد من قبل الأفراد. أو في الصورة الثانية هي الدولة، وتلعب النظم الداخلية دوراً أساسي في قيادة العملية السياسية. أما الصورة الثالثة، هي النظام الدولي، فأعطى والتز دوراً للعوامل "النظامية" أو "الهيكلية"؛ أي الفوضى، والتي يقصد بها "وضعاً لا يوجد فيه هيكل ذو سيادة، يتحكم في الدول القومية ويوجهها" أي (Anarchy)، ولا يقصد بها "وضعاً عشوائيا" (Chaos) أو "عدم انتظام" (Disorder) [303].

بحسب والتز؛ "إن التصورات الثلاثة جميعها جزءٌ من الطبيعة. فالإنسان والدولة ونظام الدول مستوياتٌ أساسية لأية محاولة لفهم العلاقات الدولية، إلى درجة أنه يندر أن يُغفل محللٌ التصورين الآخرين إغفالاً تاماً مهما بلغ تشبثه بواحدٍ من تلك التصورات. مع ذلك فإن التأكيد على تصورٍ واحدٍ يمكن أن يفضي بالمرء إلى تشويه تفسيره للتصورين الآخرين"[304]. قام والتز بتصنيف نظريات السياسية الدولية مقسماً إياها لنظريات اختزالية أو نظامية[305]. النظريات الاختزالية، تفسر سلوك الدول في النظام الدولي، من خلال التركيز على بعدي الفرد والدولة، أما النظامية تفسر سلوك الدول بتركيزها على مستوى النظام الدولي. مفترضاً بأن العوامل الخارجية في النظام الدولي تقدم تفسيراً أفضل لسلوك الدول من العوامل الداخلية، وهذا ما يتطلب وجود نظرية نظامية لتفسير السياسة الدولية، والتي تمثلت بمساهمته اللاحقة في بلورة الواقعية الجديدة[306].

---

[301] Ito, Realism, P4.

[302] Waltz, Theory of International Politics, p.18.

[303] أحمد محمد أبو زيد، "كينيث والتز: خمسون عاماً من العلاقات الدولية 1949-2009: دراسة استكشافية"، ***المجلة العربية للعلوم السياسية***، عدد 27 (صيف، 2010): 96.

[304] كينيث والتز، **الإنسان والدولة والحرب تحليل نظري**، **عمر سليم التل**، مترجم، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2013)، ص311.

[305] Waltz, Theory of International Politics, p.18.

[306] القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"، ص320-321.

سعى والتز للتحقق من مساهمة الواقعية الكلاسيكية التي تضع أسباب الحرب في الطبيعة البشرية. هذا الربط بين الحرب والطبيعة البشرية لم تقنع والتز، مجادلاً بوجود عدة مسائل جوهرية ومركزية تم اغفالها في النموذج الكلاسيكي[307]. نظراً لتفسيرها للسياسة الدولية بطريقة مختزلة[308].

بعد الضجة الكبيرة التي أحدثها كتاب الإنسان والدولة والحرب، بدأ والتز بالتفكير في بناء نظرية عامة للسياسة الدولية استكمالاً لفكرته، والتي تمخضت لاحقاً في عمله "نظرية السياسة الدولية"، الذي انتشر في نهاية السبعينيات. فكانت مساهمته الرئيسة هي صقل وتوسيع أفكاره حول الفوضى المكتشفة في كتابه الأول، وتقديمها كنظرية هيكلية، التي تشرح كيف تؤثر القوى النظامية على التفاعلات بين الدول. فعُرف منذ ذلك الحين بأنه أهم منظر للعلاقات الدولية في نصف القرن الماضي، واكتسب شهرة واسعة حتى أصبحت أعماله أساس النظرية الواقعية الجديدة[309].

سعت واقعية والتز الدفاعية لمعالجة عيوب الواقعية الكلاسيكية القائمة على ربط الطبيعة البشرية بالصراع على القوة، متجنباً أي مناقشة فلسفية لهذه الطبيعة[310]. وبنى أسساً أكثر علمية للواقعية الجديدة، منطلقاً من افتراض أساسي؛ بأن فوضى النظام الدولي هي المسبب النهائي لسلوك الدول، وهذا ما يتيح التوصل لاستنتاجات تتميز بالواقعية[311]. الدافع الفطري للقوة لا يشكل سبباً كافياً للحرب عند الواقعيين البنيويين، ولا يمكن فهم السياسة الدولية إلا بإضافة عنصر تأثيرات بنية النظام الدولي لتفسيرات الوحدة للواقعية التقليدية، من خلال التأكيد على كيفية تأثير البنى على الأفعال والنتائج[312].

النظام بحسب والتز ليس ممكناً في الفوضى وحسب، بل هو القاعدة[313]. مستخدماً الفوضى للإشارة لخاصية هيكلية أساسية للنظام الدولي، وكمعيار للتمييز بين السياسة الدولية والسياسة المحلية. تتشكل الأخيرة من علاقات الحكم السياسي التي ينسج ترتيبها هرمياً (Hericary) أي بشكل عمودي، أما السياسة الدولية تنظم

---

[307] والتز، الإنسان والدولة والحرب تحليل نظري، ص18.

[308] Waltz, Theory of International Politics, p.79.

[309] John J. Mearsheimer, “Reckless States and Realism”, ***International Relation,*** Vol. 23 (June 2009): 241.

[310] Korab – Karpowicz, “Political Realism in International Relations”, P.25

[311] القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"، ص216.

[312] Kenneth N. Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory," ***The Journal of Interdisciplinary History***, vol. 18, no. 4 (Spring 1988), p. 617.

[313] Alex Prichard, “Anarchy, Anarchism, and International Relations”, ***International Relation,*** Vol. 32 (June 2018): 100.

بشكل فوضوي (Anacrhy)؛ أي بشكل أفقي لغياب حكومة عالمية[314]. ويجادل بأن "الدول تعمل في سياق من الفوضى التي تملي أنواعاً معينة من الأولويات والسلوكيات ... لضمان النظام الدولي والميزة النسبية داخلها"[315].

شبه والتز النظم السياسية الدولية بالأسواق الاقتصادية، من خلال تماسك الوحدات الذاتية، وكلاهما ينشأ بشكل تلقائي، وكلا النظامين تتشكل هياكلهما عن طريق تماسك وحداتها، ويعتمد وجود الأخيرة وبقائها وتطورها؛ بناءً على جهودها الخاصة، أي من خلال مبدأ المساعدة الذاتية. فالأخيرة تنطبق على الأنظمة الاقتصادية؛ بناءً على الحدود التي تضعها الحكومة من قوانين مختلفة (مكافحة الاحتكار، الأوراق المالية وأنظمة الصرف وغيرهم)[316].

وتتكون الأنظمة الدولية من ثلاثة عناصر رئيسية: أولاً، النظام قد يكون فوضوياً أو هرمياً. ثانياً، "الوحدات" أي الدول التي تتشابه وظيفياً أو المتمايزة. ثالثاً، "توزيع القدرات"[317]. مبيناً والتز؛ بأن أول عنصرين من بنية النظام الدولي ثابتان؛ مبدأ الترتيب وهو فوضوي. ومبدأ المساعدة الذاتية، أي أن لجميع الدول وظيفية متشابهة. بينما تختلف الأنظمة الدولية في البعد الثالث، أي توزيع القدرات، هو المتغير الهيكلي الوحيد في النظام، يُفعل هذا البعد من خلال حساب عدد القوى العظمى في النظام، وعددها الإجمالي، يحدد قطبية النظام[318].

تقدم واقعية والتز صورة للفوضى تُدفع فيها الدول، والتي هي عبارة عن وحدة سياسية مستقلة ومتساوية رسمياً، إلى الاعتماد على مواردها وقدراتها للبقاء "حافز كل وحدة وضع نفسها في منزلة يمكنها من الاعتناء بنفسها، فلا يمكن الاعتماد على أي شخص آخر للقيام بذلك"[319]. لعدم وجود أي جهة مسؤولة عن حماية الدول، تصبح المساعدة الذاتية هي بالضرورة مبدأ العمل في نظام فوضوي. هذا النظام يشجع الدول على التصرف بطريقة منفردة؛ أي على الوحدات حماية نفسها بنفسها بزيادة التسلح. فهي لا تستطيع الوثوق بالآخرين للقيام

[314] Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory", p. 618.
[315] Miriam Dornan, “Realist and Constructivist Approaches to Anarchy”, E-International Relations, Published August 11, 2011, https://bit.ly/3JvpNeB.
[316] Waltz, Theory of international Politics, p.89.
[317] Ibid, p.88.
[318] Elman, “Realism”, p.13.
[319] Donnelly, Realism and International Relations, p17.

بذلك نيابةً عنها، ولا يوجد انسجام بين الدول، فغياب سلطة مركزية يمنحها حرية التصرف دون جود ما يمنعها عن القيام بذلك[320].

في الوضع الفوضوي تتفاقم المعضلة الأمنية، وتؤدي التدابير التي تعزز أمن دولة ما لتقليص أمن الدول الأخرى؛ فالدول التي تعزز قوتها سيعتبرها الأخرون تهديداً يتطلب الرد عليه وردعه، من خلال تشكيل تحالف معارض، واتباع إجراءات مضادة[321]. كل ما سبق، دفع والتز لاستنتاج بأن الطرف الذي يملك قدرات أكبر وأعظم من غيره، هو من يشكل ويتحكم في المشهد السياسي الدولي، فهو من يضع العراقيل أمام الدول الأخرى[322].

تتميز واقعية والتز بأن نظريته في السياسة الدولية ليست مشتقة من نظرية الطبيعة البشرية، ولا تستند على الصورة الأولى –الفرد– رافضاً أهمية المصادر الأنثروبولوجية على مستوى الوحدة في تفسير السياسة العالمية والحرب، إنما تصبح الأخيرة نتاج مجموعة معينة من الترتيبات الاجتماعية. واضعاً تركيزاً أساسياً على متغيرات مستوى النظام، وهنا يتوجب الانتقال لأبرز أطروحاته المتمثلة بوجود الفوضى الدولية، والتي يسميها "الصورة الثالثة" _النظام الدولي_ والتي تخلق حالة حرب دائمة في العلاقات بين الدول. مصرحاً بأن نظريته "توضح فقط المبادئ العامة للسلوكيات التي تحكم العلاقات بين الدول، في ظل وجودها في نظام دولي فوضوي، وليس سلوكيات بعينها"[323]. الفوضى هي عامل رئيس في واقعية والتز، بينما كان لها دور هامشي في نظرية مورغنثاو[324].

للتبيان، تسعى هذه المدرسة إلى تفسير السياسة الدولية من منطلق الضغوطات الهيكلية، التي تسببها الفوضى، وتعرضها للمخاطر الأمنية العالية[325]. على الرغم من أن والتز ألقى الضوء على العديد من الموضوعات المهمة في السياسة الدولية، لكن الفوضى بؤرة نظريته؛ وانعكاس لمركزية الحجج التي قدمها حولها. فهي السمة المميزة والحاسمة لمستوى النظام الذي يتآلف من الصورة الثالثة. وأنها شيء معطى في طبيعة بنية النظام

[320] Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory,", p. 618.
[321] Ibid, p. 620.
[322] أبو زيد، "كينيث والتز: خمسون عاماً"، ص106.
[323] المرجع السابق، ص102.
[324] Vasquez, “The Power of Power Politics”, p.191.
[325] Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory,", p. 618.

الدولي، وأنها من يحدد ويوجه سلوك الدول، وعليه يصبح الأمن والبقاء يعتمد على التوزيع المناسب للقوة أو توازن القوى، وقدرة الدول في الحفاظ عليه.

يوضح الشكل رقم (2) العامل المركزي في نظرية والتز

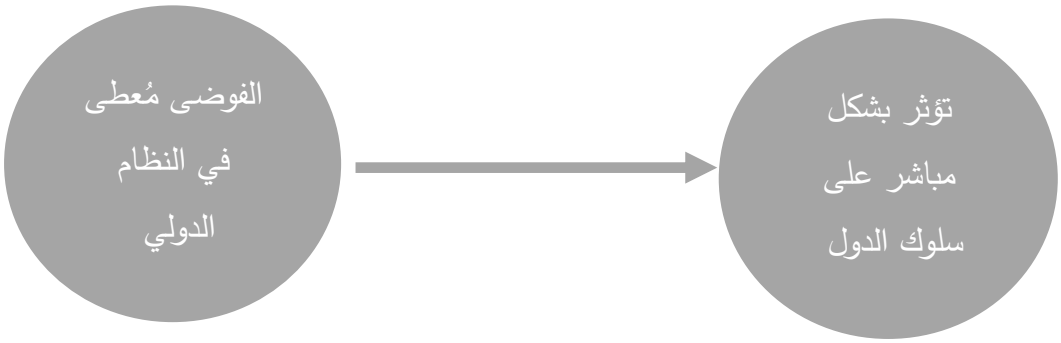

المصدر: من إعداد الطالبة

الجدول رقم (3) الفوضى في كتب ومقالات والتز قبل انتهاء الحرب الباردة

#	كتب ومقالات كينيث والتز*	Anarchy	Anarchic	Human nature	المفاهيم التي ارتبطت في مفهوم الفوضى
1	Man, the State, and War: A Theoretical Analysis, (1959)	31	1	38	**توزان القوى:** إن ميل الدول للتوازن متجذر في الفوضى الدولية، وقد تندلع الحرب في أي وقت نتيجة تخوف الدول من حدوث إي اختلال في توازن القوى. **القوة:** في الفوضى، نظراً لأن أي دولة تستخدم القوة في أي وقت، يجب أن تكون جميع الدول مستعدة دائماً إما لمواجهة القوة بالقوة أو دفع تكلفة ضعفها. **الأمن:** هو هدف الدول في ظل الفوضى.
2	Theory of International Politics, (1979)	26	36	0	**الحرب:** إن الدول قد تقرر استخدام قوتها في أي وقت، فقد تندلع الحرب بأي وقت، إذاً هناك ربط بين الفوضى والعنف. **الأمن:** إن الأمن هو أهم هدف للدولة في ظل الفوضى. **توزان القوى:** يلعب توازن القوى دوراً في استقرار النظام الدولي الفوضوي، في ظل وجود دول ترغب بالبقاء.

*هذه المقالات نشرت قبل انتهاء الحرب الباردة، إما فيما يتعلق بمنشورات كينيث والتز حول الفوضى الدولية سيتم الإشارة إليهم في الفصل الرابع.

3	The Origins of War in Neorealist Theory, (Spring, 1988)	4	7	0	**المساعدة الذاتية:** على الدول أن تؤمن أمنها الخاص في ظل الفوضى. **السلام والاستقرار:** السلام هش في النظام الفوضوي، والأنظمة متعددة الأقطاب هي الأقل استقراراً من ثنائية الأقطاب. **الحرب:** إن احتمالية الحرب في نظام فوضوي قائمة، ولكن اتباع استراتيجيات دفاعية عوضاً عن استراتيجيات هجومية تقلل من احتمالية الحرب. **المعضلة الأمنية:** ينتج عن سباق التسلح وتعظيم دولة ما لقوتها وتعزيز أمنها إلى تقليل من أمن الدول الأخرى في نظام فوضوي

المصدر: من إعداد الطالبة

من خلال المراجعة السابقة لاهتمام والتز بالفوضى، تتضح ثلاث قضايا أساسية: أولاً، الفوضى هي عامل مركزي في نظرية والتز، وذلك من خلال مقارنه كتابيه "الإنسان والدولة والحرب"، و"نظرية السياسة الدولية"، يظهر في الأول أنه استند على 3 مستويات في التحليل (الفرد–الدولة–النظام) في محاولة لتفسير السياسية، مما أدى لوجود تقارب في ذكره لمفهوم الفوضى Anarchy (31) مرة، وكلمة Anarchic مرة واحدة فقط، مع الطبيعة البشرية فأشار لهذا المفهوم (38) مرة. بينما في عمله الثاني؛ عند تطويره نظريته الواقعية الجديدة اتضحت الصورة له، قد تجاوز بعديّ الصورة الأولى والثانية، بتركيزه في نهاية السبعينيات على بعد جوهري في التحليل الواقعي، بالاستناد على الدور الحاسم لبنية السياسة الدولية، وطبيعة النظام الدولي كمدخل أساسي ومركزي لتفسير العلاقات الدولية، أي انطلق من الصورة الثالثة لتأسيس نظرية للعلاقات الدولية.

الدليل على مركزية الفوضى عنده، إشارته لمفهوم Anarchy (26)، وAnarchic (36). بينما لم يذكر الطبيعة البشرية ولو لمرة واحدة. يبدو ثباته على محورية الفوضى، ولم يُعطِ أية أهمية لعامل الطبيعة البشرية، وهذا ما تبينه مقالته المعنونة "The Origins of War in Neorealist Theory"، بينما استخدم كل من Anarchy وAnarchic (11).

ثانياً: فهمه للفوضى وتأثيراتها، لم تدفعه إلى المغالاة في ردات أفعال الدول، بينما تدفع الدول إلى اتباع سياسات تتسم بالانضباط والحفاظ على الوضع الراهن.

ثالثاً: سياسة الوضع الراهن في ظل الفوضى لا تعني عدم امتلاك القوة، وإنما السياسة العقلانية التي يجب أن تحكم العلاقات بين الدول، تتسم باتباع استراتيجية القدر المناسب من القوة، حتى لا ينتهي المطاف بالوقوع في فخ التوسع، ومحاولات الهيمنة، التي ستقضي على هدف الدولة الأساسي، وهو البقاء.

3.4.2 الفوضى في الواقعية الهجومية

"الاستراتيجية التي تسعى إلى تحقيق أقصى قدر من الأمن من خلال أقصى قدر من القوة النسبية هي الاستجابة العقلانية للفوضى"[326].

لعل أهم بيان للواقعية الهجومية هو كتاب ميرشايمر "مأساة سياسة القوى العظمى". فكان لعمله تأثير مهم، إلا أنه لم ينتشر واسعاً، على غرار نظرية السياسة الدولية لوالتز. فأثار قدراً كبيراً من النقد الأكاديمي، سواء من داخل أو خارج التقليد الواقعي. مقدماً في كتابه الافتراضات والمنطق الأساسي التي تقوم عليها نظريته[327].

سطر ميرشايمر في مقدمة كتابه نظرية واقعية تتحدى التفاؤل السائد حول العلاقات بين القوى العظمى. وشرح العوامل الرئيسة المحركة لسلوك تلك القوى، وأسباب اتسام بعض الفترات التاريخية بالدموية. زاعماً أنه من خلال كتابه يقدم نظرية "تتوفر فيها كل تلك السمات[328]. مدافعاً في نظريته عن فكرتين؛ بأن القوى العظمى تسعى إلى زيادة نصيبها من القوة العالمية، وأن النظم متعددة الأقطاب أكثر عرضةً للحرب من النظم ثنائية القطب[329]. التنافس بين القوى العظمى هو المعيار الأساسي في السياسة الدولية لما لها من تأثير كبير على المجريات السياسية. هذه القوى بطبيعتها تخشى من بعضها البعض، وهذا الخوف تفرضه بنية النظام الدولي (الصورة الثالثة)، وليس المستوى الفردي (الصورة الأولى) أو المحلي (الصورة الثانية)[330].

أشار ميرشايمر أن الدول ستستمر في تعظيم قوتها حتى تحقق الهيمنة الإقليمية كهدفٍ نهائي؛ لأنها أفضل طريقة لضمان البقاء والحفاظ على ذاتها. مؤكداً على أن الدولة العقلانية لن تتصرف بحماقة، محاولة التوسع عندما يكون النصر مستحيلاً[331]. باختصار، القوة هي أداة لتحقيق غاية أسمى وهي الأمن. بالمحصلة، سيبقى النظام الدولي ساحة من المنافسة الأمنية، وعليه، اعتبر الحروب بين الدول ستستمر، ومن المستبعد تحقيق

---

[326] Dominic D. P. Johnson and Bradley A. Thayer, "The evolution of offensive realism", Vol. 35, No. 1 (Spring 2016): 4.

[327] Colin Elman and Michael A. Jensen, **Realism Reader**, (New York: Routledge, 2014), p.177.

[328] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص، س-6.

[329] المرجع السابق.

[330] المرجع السابق، ص، ن-6.

[331] Elman and Jensen, Realism Reader, p.177.

السلام، والوسيلة الوحيدة للخروج من هذا المأزق هو تشكيل حكومة عالمية، إلا أنه يستبعد إمكانية تحقيق هذا الخيار لصعوبته[332].

تجبر البنية الدول على الخوف من بعضهم، ما يعطي ذلك دافعاً لكل منها، للتنافس على القوة، وهذا ما يقودها نحو الصدام. يزعم ميرشايمر بأن الدولة الأقوى؛ هي التي يمكن أن تثق بأنها لن تتعرض للهجوم، بالتالي، تبحث القوى العظمى بشكل مستمر عن فرصٍ لتغير ميزان القوى لصالحها، أي أنها مجبولة على العدوان. ولا يقتصر الأمر على تعظيم قوتها، إنما يتوجب على القوى العظمى إحباط أي محاولة من قبل المنافسين لزيادة قوتهم على حسابها. فعندما يطرأ أي تغيير على توازن القوى يكون لصالح القوة العظمى، وقطعاً ستدافع عنه باستماته، بينما عندما يكون التغيير لصالح دولة أخرى؛ ستحاول منع حدوث ذلك. كانت إجابة ميرشايمر على السؤال الرئيس "لماذا تتصرف القوى العظمى بهذه الطريقة؟"، بلا لبس؛ بنية النظام الدولي تجبر الدول أن تتصرف بطريقة عدوانية[333].

تفترض واقعية ميرشايمر؛ بأن الأسباب الرئيسة لسلوك الدول متجذرة في النظام الدولي، كاتباً بهذا الصدد "وأنا في ذلك أدفع بأن عوامل بنيوية مثل الفوضى وتوزيع القوة هي الأهم في تفسير السياسة الدولية، ولا تعير نظريتي انتباهاً كبيراً للأفراد أو الاعتبارات السياسية المحلية من نوع الأيديولوجيا مثلاً، وتتعامل نظريتي مع الدول على أنها صناديق سوداء أو كرات بلياردو"[334]. إذاً، تعتبر الاختلافات المحلية للدول غير مهمة نسبياً، لأن النظام الدولي يخلق قيوداً وضغوطات قوية ومباشرة، ما يضع الدول تحت أوضاعٍ مماثلة، ثم اتباع سلوكٍ مشابه، لذا لا تعي أي أهمية لخصائصها الداخلية. لفهم سبب تصرف الدولة بطريقة صحيحة، يؤكد الواقعيون الهجوميون على ضرورة دراسة بيئتها الخارجية وقدراتها النسبية، لأن هذه العوامل ستترجم سلوك الدولة وسياستها الخارجية، والطريقة الأنسب لتحقيق مصالحها[335].

مما سبق، واقعية ميرشايمر تفضل المتغيرات النظامية، لذا تنطلق نظريته من فرضيات مماثلة لنظرية والتز. يؤمن الاثنان بأن الهدف الأساسي للدول داخل النظام الدولي الفوضوي؛ هو البقاء، ومتفقان بأن هيكل النظام

---

[332] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص، ن-6.
[333] المرجع السابق، ص،4-6.
[334] المرجع السابق، ص،13-14.
[335] Gideon Rose, "Review: Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy", ***World Politics***, Vol. 51, no. 1 (Oct. 1998): 149.

الدولي هو المدخل والمفتاح الأساسي لفهم السياسة الدولية[336]. الواقعية الهجومية سعت لإعادة صياغة نظرية والتز، التي لم تفسر الأسباب المأسوية لنشوب الصراع بشكل متكرر بين القوى العظمى في النظام وسعيها نحو الهيمنة، من خلال الاستراتيجيات العدوانية التي تعد استجابة العقلانية لبنية النظام الدولي، مضيفاً دوراً مهماً لكل من القوة والجغرافيا في السياسة الدولية. توصلت الواقعية الهجومية لاستنتاجات متناقضة عن الدفاعية فيما يتعلق بالافتراضات حول كل من الفوضى، والقدرات، والنوايا، والبقاء[337].

بناءً على الفوضوية، لخص كريستوفر لاين Christopher Layne (1949) الواقعي الهجومي الافتراضات الرئيسة التي يتبناها الهجوميون لطبيعة السياسة الدولية. أولاً: الأمن نادر في النظام الدولي. ثانياً: السياسة الدولية مجال للتنافس والصراع الحتميين، وبعكس الدفاعيين لا توجد عوامل موازنة تخفف من صراع القوى العظمى على القوة والأمن. ثالثاً: يترجم الهجوميون مسألة انعدام الأمن بأن السياسة الدولية هي بمحصلتها لعبة صفرية؛ لأن اكتساب دولة ما القوة النسبية؛ هو تلقائياً فقدان القوة النسبية لجميع الدول الأخرى. رابعاً: خيارات الدول في هذه البيئة الدولية هي معدومة، فتضطر لاتباع استراتيجيات تزيد من قوتها، وتؤثر على منافسيها[338].

وبين لاين بأن الفوضى تضفي نكهة مميزة للنظام السياسي الدولي، فهو قائم على مبدأ المساعدة الذاتية، هم الدولة فيه بالمقام الأول؛ هو البقاء، وعليه يصبح الأخير أسمى هدف يمكن أن تحققه الدولة، في ظل غياب سلطة مركزية[339]. لذا، الفوضى لا تترك للدول سوى خيارات قليلة للبقاء، ونتيجة هذا التنافس، يصبح العالم مكاناً خطيراً تحارب فيه الدول بعضها. وطالما هناك رغبة مستمرة للدول للحفاظ على ذاتها، فإن موازين القوى ستتشكل، ويعاد ضبطها بصورة دائمة، لمنع تركزها بيد دولة واحدة أو مجموعة دول[340].

فوصف لاين السياسة الدولية بأنها: "نفس الأشياء اللعينة مراراً وتكراراً: الحرب، وأمن القوى العظمى، والمنافسة الاقتصادية، وصعود وسقوط القوى العظمى، وتشكل وانحلال التحالفات. يتسم السلوك السياسي الدولي

---

[336] Toft, "John Mearsheimer: an offensive realist", p.383.
[337] Ibid.
[338] Layne, "China's Role in American Grand Strategy", p.57.
[339] John J. Mearsheimer, "Why We Will soon Miss the Cold War", ***The Atlantic Monthly***, Vol. 266, no. 2 (August 1990), p.11.
[340] Labs, "Beyond Victory: Offensive realism", P.2.

بالاستمرارية والانتظام والتكرار لأن الدول مقيدة ببنية النظام الدولي غير المتغيرة (وربما غير القابلة للتغير)"[341]. سبب ذلك يعود للفوضى، فلا يوجد سلطة مركزية في النظام، قادرة على فرض القوانين على الدول، وغياب القواعد يعني أن كل دولة داخل النظام مسؤولة عن بقائها، ولها حرية تحديد مصالحها الخاصة، واستخدام مختلف الوسائل التي تحددها. بالمحصلة، السياسة الدولية هي تنافسية بالأساس[342].

كما عرف ميرشايمر الفوضى الدولية بأنها "لا توجد هيئة عليا أو سيادة تحمي الدول من بعضها البعض"[343]. وفي بيئة فوضوية؛ تعيش كل دولة مع احتمال دائم بوجد تهديد من قبل دولة أخرى، قد تستخدم قوتها لإلحاق الأذى بها أو التغلب عليها. إذ يمثل العمل العسكري الهجومي تهديداً لجميع الدول في الساحة الدولية. ينشأ عن الفوضى نتيجتان رئيسيتان؛ أولاً، غياب الثقة بين الدول. ثانياً، توفير الأمن يقع على عاتق الدول ذاتها إذا أرادات ضمان بقائها _المساعدة الذاتية_، لأنه لا توجد أي مؤسسة دولية أعلى من سلطة الدول قادرة على فرض النظام، أو معاقبة المعتدين، في حال تعرضت دولة للتهديد أو الهجوم[344].

جوهر هذا التوجه، أن الفوضى توفر حوافز قوية للتوسع، وفي هذه الظروف أفضل وسيلة على الدولة اتباعها؛ هي تعظيم قوتها مقارنة بالدول الأخرى، لأن الأقوى باستطاعته ضمان بقائه، واتباع هذا السلوك هو نتيجة منطقية للفوضى والمعضلة الأمنية.

الفوضى بحسب الواقعية الهجومية هي "هوبزية" _حرب الكل ضد الكل_ بغض النظر عن حالة القطبية الثنائية أو الردع النووي، وهي السبب الرئيس للصراع في الساحة الدولية؛ لأن الأمن نادر، تتجه الدولة العقلانية نحو تعظيم قوتها لأقصى قدر ممكن. قد تؤول هذه الاستراتيجيات لاندلاع حربٍ مع الدول الأخرى[345]. يظهر بأن النظام الدولي؛ أي الصورة الثالثة هي المدخل الأساسي، التي تستند عليه الواقعية الهجومية لتفسير السياسة الدولية، باعترافها بفوضوية النظام الدولي، والاستناد عليه كعامل مركزي في تفسير العديد من الظواهر السياسية داخل النظام؛ كالمنافسة الأمنية، والمعضلة الأمنية، والحرب، والصراع بين القوى العظمى.

---

[341] Christopher Layne, "Kant or Cant: The Myth of the Democratic Peace", **in *Perils of Anarchy: Contemporary Realism and international security***, (Cambridge: MIT Press, 1995). P. 291.
[342] Ibid.
[343] John J. Mearsheimer, "Back to the Future: Instability in Europe after the Cold War", ***International Security,*** Vol. 15, no.1 (summer, 1990): 12.
[344] Ibid.
[345] Rose, "Neoclassical Realism", p.149.

يبين الشكل رقم (3) العامل المركزي في نظرية ميرشايمر

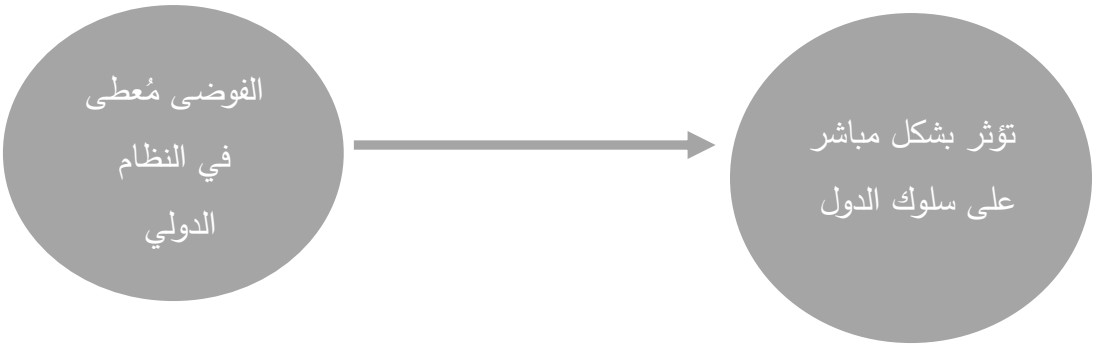

المصدر: من إعداد الطالبة

يوضح الجدول أدناه مركزية مفهوم الفوضى في كتابات ميرشايمر قبل انتهاء الحرب الباردة. في المقالة الأولى المعنونة "Back to the future: Instability in Europe after the Cold War " المنشورة عام 1990، ذكر كلمة Anarchy (12) مرة، بينما أشار لكلمة Anarchic (3) مرات، في حين لم يستحضر بتاتاً كلمة الطبيعة البشرية. أما المقالة الثانية "Why we will soon miss the Cold War"، المنشورة في ذات العام، كتب ذكر كلمة Anarchy (7) مرات، وأورد كلمة Anarchic مرتين، وفي هذه المقالة لم يذكر وجود أي دور للطبيعة البشرية لتفسير الشؤون الدولية.

الجدول رقم (4) الفوضى في كتب ومقالات ميرشايمر قبل انتهاء الحرب الباردة

#	مقالات جون ميرشايمر*	Anarchy	Anarchic	Human nature	المفاهيم التي ارتبطت في مفهوم الفوضى
1	Back to the future: Instability in Europe after the Cold War, (Summer,1990)	12	3	0	**العدوان:** ربط الفوضى بالعدوان، لأن الأولى تدفع الدولة على اتباع السلوك العدوان؛ نظراً لغياب سلطة عليا في الدولة فإن الدول تعيش في احتمال دائم بأن الآخرين سيستخدمون القوة لإلحاق الأذى بها. **عدم الثقة والمساعدة الذاتية:** في ظل الفوضى لا يوجد ثقة بين الدول، نتيجة ذلك تلجأ لتعظيم قوتها بنفسها.
2	Why we will soon Miss the Cold War, (August,1990)	7	2	0	**الحرب:** الفوضى هي السبب الرئيسي للحرب. **البقاء:** هو أهم هدف تسعى إليه الدول في ظل نظام دولي فوضوي.

المصدر: من إعداد الطالبة

* هذه المقالات نشرت قبل انتهاء الحرب الباردة، إما فيما يتعلق بمنشورات جون ميرشايمر حول الفوضى الدولية بعد الحرب الباردة سيتم الإشارة إليهم في الفصل الرابع.

يوضح الجدول السابق ثلاثة أمور أساسية: أولاً، اهتمام ميرشايمر بمفهوم الفوضى، وهذا يظهر من خلال استبدال مفهوم الطبيعة البشرية كمدخل لتفسير النظام الدولي بالفوضى. ثانياً، المفهوم مرتبط بالهدف الأساسي الذي تسعى إليه الدولة وهو البقاء، لذا بقاء الدولة في نظام فوضوي يأخذها إلى اتباع سياسات هجومية وتوسعية. ثالثاً، كل ما سبق جعل مفهوم الفوضى عند ميرشايمر مرتبط بمفاهيم يبرز فيها الاندفاع نحو القوة، والعدوان، والحرب، والمعضلة الأمنية.

3.5 الفوضى في الواقعية الهجومية – الدفاعية

"احتمالية الحرب تكون أكثر بكثير عندما يكون الغزو سهلاً، التحولات في ميزان الدفاع والهجوم لها تأثير كبير على مخاطر الحرب"[346].

طرأ تطور على الواقعية، مع ظهور نظرية الدفاع الهجوم أو "نظرية المعضلة الأمنية" في حقل العلاقات الدولية، عندما حاول كل من جورج كويستر George Quester (1936)، وجيرفس، وستيفن فان فيرا Stephen Van Evera (1948) تنظيم الادعاءات ما بين النزعتين الهجومية والدفاعية، بإحياء الجدل المتعلق بأثر التحولات في ميزان الدفاع والهجوم على احتمال نشوب الحرب والصراع في النظام الدولي[347]. هذا النقاش نابع من عدة أسئلة مركزية: هل هناك توازن بين الهجوم والدفاع في السياسة الدولية؟ إذ كان هناك توازن بين الدفاع والهجوم، هل يؤثر حدوث اختلافات فيه على احتمالية الحرب والمنافسة الأمنية الشديدة؟ وهل يعتمد قياس التوازن الدفاعي الهجومي على قدرة الدولة في التمييز بين الأسلحة الهجومية والدفاعية؟[348]

منذ أن برزت لأول مرة في أواخر السبعينيات، حظيت نظرية الدفاع الهجوم على مكانةٍ مهمة في مجال العلاقات الدولية، ولا سيّما في دراسات الأمن الدولي، ولكونها تسلط الضوء على أساب وقوع الحرب. ووظفت في تفسير عدة ظواهر دولية كالحد من التسلح، وسباق التسلح، والتحالفات. إضافةً لذلك، اسُتخدمت في تفسير الحرب العالمية الأولى، والحروب في أوروبا أبان القرن التاسع عشر، والحرب الباردة. وساهمت في الجدل المتعلق حول ما إذا كانت الدول تهدف لتحقيق مكاسب مطلقة أو نسبية في السياسة الدولية. فالدول تتأثر بتوازن الدفاع والهجوم عندما تفكر في المكاسب والخسائر النسبية. عندما يميل التوازن لصالح الهجوم، فالدول

---

[346]Stephen van Evera, "Offense, Defense and the Causes of war", ***International Security***, Vol. 2, No. 4 (spring, 1998), p.5.

[347] Karen Ruth Adams, "Attack and Conquer? International Anarchy and the Offense-Defense-Deterrence Balance", ***International Security,*** Vol. 28, No. 3 (winter, 2003/2004): 45.

[348] Sean M. Lynn-Jones, "Offense-Defens Theory and Its Critics", Center for Science and International Affairs, Harvard University, 9-1-2008, P.660.

تولي اهتماماً بالغاً بشأن المكاسب النسبية، لأن وجود ثغرة في مكاسب، يمكن ترجمتها بأنها تهديد القدرات الهجومية. عندما يتجه التوازن نحو الدفاع؛ فتخوفات الدول تقل بخصوص المكاسب النسبية[349].

تبدي هذه المقاربة وجود توازن بين الدفاع والهجوم، الذي بدروه يحدد الفعالية النسبية لاستراتيجيات الأمن الهجومية والدفاعية. ويصبح هذا التوازن المفتاح الرئيس لأسباب الصراع؛ لأن حدوث اختلال فيه _بين الميزتين الدفاعية والهجومية_ يؤثر على أنماط السياسة الدولية والسياسة الخارجية. الأهم من ذلك، تجادل هذه النظرية بأن احتمالية الحرب تكون أعلى عندما يتمتع الهجوم بميزة على حساب الدفاع، والعكس صحيح، أي تزيد احتمالية السلم والتعاون بين الدول عندما تكون لصالح الدفاع[350].

تأسست هذه النظرية على ادعائين أساسيين: أولاً، التغيرات التي تطرأ على ميزان التحولات بين الهجوم والدفاع لها تأثير كبير على احتمالية نشوب الأزمات الدولية والحروب في النظام الدولي، وهذا يحدث في ظل ظروف تسهل من العمليات الهجومية، وبتكاليف منخفضة، مقارنةً بالإجراءات الدفاعية، بالتالي هذه التحولات تعزز النزعة الهجومية، وتولد حوافز تشجع على الحروب الوقائية، وهذا مرتبط بوجود عدة ظواهر أخرى مسببة للحرب، كسباق التسلح الذي يشجع الحرب والعدوانية والتوسع، وعدم نجاع المفاوضات في تسوية النزاعات، إلى جانب ذلك كله؛ التأثيرات السلبية الناتجة عن التغييرات في التوازن بين الدفاع والهجوم، حتى بين الدول التي تكتفي بالوضع الراهن، ولا تحمل نوايا عدوانية[351].

ثانياً، تنص هذه الفرضية بأن التوازن بين الدفاع والهجوم مكمل لنظريات الحرب والسلام الأقل دقةً. يعتقد أنصار هذه النظرية؛ أنه من خلال إضافة العوامل التي تؤثر على احتمالية نجاح أو فشل الاستراتيجيات الهجومية إلى نظريات الحرب والسلام الحالية، يضيف ذلك، قدرة تفسيرية أكبر لنظرية التوازن في توقع احتمالية نشوب الحرب في النظام الدولي[352].

يوجد عدة عوامل تؤثر على التوازن بين الدفاع والهجوم بحسب منظري هذا التوجه، مع ذلك لا يوجد إجماع بينهم حول تحديد العوامل السببية التي تؤثر عليه. أقلية منهم يرتكزون على عامل التكنولوجيا والجغرافيا كمتغيرات رئيسة لقياس التوازن، بينما الأغلبية يدمجون عوامل متنوعة تؤثر بدورها عليه بين الهجوم والدفاع.

---

[349] Ibid, P.661-662.
[350] Ibid, P.660
[351] Yoav Gortzak and others, "Offense-Defense Theory an Empirical Assessment", ***Journal of Conflict Resolution,*** Vol.49 (February 2005): 69.
[352] Ibid.

مع ذلك، في أغلب الأحيان يشار لعامل التكنولوجيا العسكرية بأنه المحدد الأساسي في هذه النظرية. تفترض هذه المدرسة بأن عامل التكنولوجيا ينتج حوافز وقيوداً على مستوى النظام لجميع الجهات الفاعلة، وبدورها تؤثر على احتمالية نشوب الحرب في النظام الدولي بأكمله. فهي متغير على مستوى النظام، وعليه يجب أن يكون من الممكن نظرياً تحديد فترات الهجوم، وهيمنة الدفاع في النظام الدولي[353].

كما يلعب عامل الجغرافيا دوراً في التأثير على ميزتي الدفاع والهجوم، فموقع الدول ومساحتها، إلى جانب التحصينات الطبيعية مثل الجبال والبحار، إضافةً لذلك، مدى تمتع الدول بالموارد الطبيعية، كل ذلك؛ يمنحها الاكتفاء الذاتي، وبالتالي، يدفع نحو التوسع والحرب. أما العوامل السياسة والاجتماعية؛ كلما كانت الحكومة تحظى بتأييد شعبي من كافة فئات المجتمع؛ كلما أثر ذلك عليها بشأن قرار الدفاع والهجوم. بينما إذا كانت الحكومة غير شرعية، هنا يصبح قرار التوسع أسهل بالنسبة لها، في ظل غياب كل من التأييد الشعبي، ورغبتهم في الدفاع عن الحكومة.

وأخيراً تعلب العوامل الدبلوماسية دوراً مهماً في تعزيز ميزة النزعة الدفاعية أو الهجومية، فتكون لصالح الأولى عندما تتوفر الترتيبات الدبلوماسية من خلال المنظمات الدولية (عصبة الأمم والأمم المتحدة)، والتحالفات الدفاعية، ونظام الأمن الجماعي، من خلال تشكل تحالف موازٍ ضد العدو. بينما تكون لصالح الهجوم؛ عندما تفشل تلك الترتيبات الدبلوماسية، ما يسهل التوجه نحو الحرب[354].

تعتمد النظرية الهجومية الدفاعية على عدة متغيرات في تفسير أسباب الحرب، سواء أكانت خارجية، أو داخلية. هذا ما يقود نحو السؤال الرئيس: هل أدى استناد النظرية الواقعية الهجومية الدفاعية على التوازن بين الهجوم والدفاع كمتغير رئيس في تفسير السياسة الدولية إلى تهميش دور الفوضى كعامل مركزي داخل نظريتها؟

تشترك هذه النظرية في العديد من الافتراضات التي تتبنها النظريات الواقعية الأخرى. تبدأ بافتراض أن الدول داخل بيئة فوضوية تبتغي حقيق الأمن عبر مبدأ المساعدة الذاتية. لأنه في ظل غياب سلطة مركزية داخل النظام؛ من المرجح أن تتعرض للغزو من الدول الأخرى، ما يلزمها الاعتماد على قدراتها الذاتية، حتى تحقق أقصى قدر من الأمان[355].

---

[353] Ibid.

[354] القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"، ص331-332.

[355] Charles L. Glaser and Chaim Kaufmann, "What is the offense- Defense Balance and can we Measure it?", ***International Security,*** Vol. 22, No.4 (Spring, 1998): 47.

تتنبأ نظرية الهجوم الدفاع بأن السياسة الدولية ستتجه نحو المنافسة الأمنية، وتصبح أقل سلمية؛ عندما يطرأ أي تغيير لصالح النزعة الهجومية. في هذه الحالة تجادل بأنه في ظل عالم تهيمن عليه الميزة الهجومية، ستكون الاستراتيجيات الكبرى أكثر شيوعاً، وستتجه الدول تحو تبني عقائد عسكرية هجومية، والسياسات الخارجية ستكون أكثر حدةً، وستبرز سباقات التسلح، والدول ستكون أكثر حساسية تجاه مخاوف المكاسب النسبية، وسيتشكل التوازن بشكل أسرع وأكثر دقةً، بمختلف الوسائل، سواء داخلية أو خارجية، وستتحفظ الدول على سرية قدراتها العسكرية والاقتصادية، لإخفاء نقاط الضعف. بإيجاز، في هذه الحالة احتمالية الحرب ستكون عالية، ومن المحتمل أن تلجأ الدول لخيار الضربات الوقائية والاستباقية، بعبارة أدق، كلما طغت الميزة الهجومية؛ كلما زادت خطورة تلك العواقب[356].

على غرار النظريات النظامية تتنبأ الواقعية الهجومية الدفاعية، بأن الميزة الهجومية تجعل السياسة الدولية أكثر تنافسية، واحتمالية الحروب أعلى، وتدفع الدول لتبني استراتيجيات هجومية من أجل التوسع. الوحدات التي تتبنى هذا الخيار تميل نحو النجاح في الساحة الدولة، أما الدول التي اعتمدت استراتيجيات دفاعية؛ تميل إلى الفشل. بحكم التعريف، الاستراتيجيات الدفاعية هي طرق أكثر تكلفة للأمن عندما تكون للهجوم ميزة. في هذه الحالة يتطلب من الدول إنفاق المزيد على القدرات العسكرية، ما قد يؤدي إلى إضعافها بمرور الوقت، كما أنهم يعرضون نفسهم للهزيمة من قبل الدول التي تتبنى استراتيجيات هجومية، قد تظهر العواقب المعاكسة؛ عندما تكون هناك ميزة دفاعية كبيرة ودائمة[357].

أثار النُقاد اعتراضات مهمة على النظرية أبرزها؛ أن أسس هذه النظرية مختلفة، وتفتقر لوجود تعريف متفق عليه حول المتغير الرئيسي المتمثل بتوازن الهجوم والدفاع، حتى أن بعض النقاد ذهبوا إلى أبعد من ذلك، رافضين هذا المفهوم كمتغير رئيسي للنظرية، لأنه يقود لتطبيق ونتائج غير متآلفة. أكدوا أيضاً على وجود عيوب متأصلة، وأخطرها صعوبة قياس التوازن بين الدفاع والهجوم على اعتبار أن نتائج الحرب غير مؤكدة[358]. إضافةً لذلك، أشار بعض النقاد لصعوبة تصنيف الأسلحة سواء أكانت هجومية أم دفاعية وأن الدول لا يمكن أن تمييز بينها، وهناك بعض المنظرين زعموا بوجود متغيرات أخرى أكثر أهمية للحرب والسلام، وأن ميزان الهجوم الدفاع غالباً ما يكون لصالح الأخيرة، وبالتالي هذا المتغير لن يقدم تفسيراً كثيراً لأنه لا يتغير. أما النقد

[356] Lynn-Jones, "Offense-Defens Theory and Its Critics", p.670.
[357] Ibid, p.671.
[358] Glaser andKaufmann, "What is the offense- Defense, p. 45.

الأخير، ينطلق من إمكانية تلاعب الدول بسهولة بميزان الدفاع الهجوم لخلق نوع من المزايا التي تناسب سياساتها المختارة[359].

يبين الشكل رقم (4) العامل المركزي في النظرية الواقعية الهجومية–الدفاعية

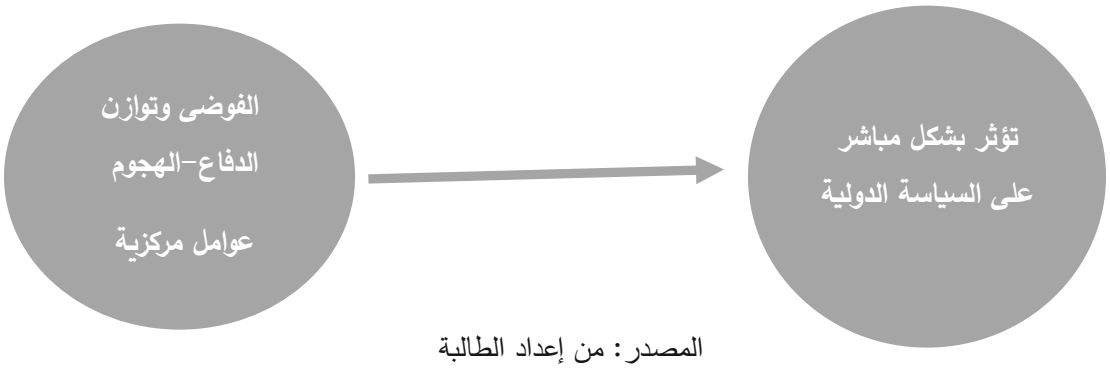

المصدر: من إعداد الطالبة

يبرز الجدول أدناه مركزية مفهوم الفوضى عند جيرفس قبل انتهاء الحرب الباردة، في مقالته التي جاءت تحت عنوان "Cooperation Under Th Security Dilemma"، المنشورة عام 1978، ذكرها فيها كلما Anarchy (7) مرات. في حين لم يستخدم كلمة Anarchic. كما أنه لم يوظف كلمة الطبيعة البشرية بالمطلق.

الجدول رقم (5) الفوضى في كتب ومقالات جيرفس قبل انتهاء الحرب الباردة

#	مقالات روبرت جيرفس*	Anarchy	Anarchic	Human nature	المفاهيم التي ارتبطت في مفهوم الفوضى
1	Robert Jervis: Cooperation Under the Security Dilemma, (Jan.,1978)	7	0	0	**الحرب:** الفوضى الدولية تشجع الحرب في ظل وجود دول غير راضية عن الوضع القائم. **المعضلة الأمنية:** تكون أكثر شدةً عندما يكون التوازن بين الدفاع والهجوم لصالح الأخيرة، وبالتالي تصبح الطريقة الوحيدة للأمن من خلال التوسع، فتتصرف دول الوضع الراهن كالمعتدين.

المصدر: من إعداد الطالبة

[359] **Lynn-Jones, "Offense-Defens Theory and Its Critics", p.662.**

* في هذا الفصل تم الاستناد على المقالات التي نشرت قبل انتهاء الحرب الباردة، وسيتم مراجعة مقالات منظري هذه المدرسة في عالم ما بعد الحرب الباردة سيتم الإشارة إليهم في الفصل الرابع.

يتضح من الجدول أعلاه عدة قضايا أساسية، أولاً، قبول الواقعية الهجومية الدفاعية افتراضات الواقعية الجديدة، بأن الفوضى هي المدخل الرئيس والعامل المركزي لتفسير السياسة الدولية. ثانياً، هناك إضافة نوعية قدمتها هذه المدرسة بإضافة متغير جديد لفهم الفوضى، تمثل بمفهوم التوازن بين المهجوم والدفاع، ولكن هذا لا ينفي مركزية المفهوم داخل هذه المقاربة. استناداً لذلك، سلوك الدول داخل نظام دولي فوضوي محكوم بالتغيرات التي تطرأ على التوازن بين الدفاع والهجوم. يمكن الاستنتاج بان الفوضى وحدها لا يمكن أن تفسر سبب اتباع الدول استراتيجيات عدوانية دون المتغير الرئيس الآخر؛ المتمثل بتوازن الهجوم والدفاع. ثالثاً، تتفق هذه النظرية مع أطروحات والتز، رغم أن الفوضى هي السمة الثابتة في النظام الدولي، إلا أن الدول لا يجب أن تبالغ في ردات فعلها، وعليها اتباع استراتيجيات دفاعية، لكي تحافظ على أمنها وبقائها.

3.6 الفوضى في الواقعية الكلاسيكية الجديدة*

"يرى الواقعي العالم مبنياً على المآسي والشّر، وأفضل ما يمكن أن يتمناه الواقعي هو أن يحدث شّر أقل، ومحاولة التعايش بأفضل طريقة ممكنة داخل عالم سيء"[360].

دفعت الواقعية بعد الحرب الباردة إلى هامش المناقشات النظرية، واعتبرها أنصار الليبرالية الجديدة نهجاً عفا عليه الزمن، ترجع لحقبة الحرب الباردة الماضية. فواجهت انتقاداتٍ شديدة، وكانت قدرتها على تفسير الواقع الدولي بعد الحرب موضوع تساؤل. إظهار هزيمة نظرية، لطالما اعتبرت الرائدة في حقل العلاقات الدولية أدخلها في أزمة عميقة، فبات تحدياً لأنصار هذا التوجه إعادة إحياء نموذجهم، فافترض بعض منظري الواقعية ضرورة الرجوع للفكر الواقعي الكلاسيكي، أي؛ "العودة إلى مورغنثاو"[361].

مسار العلاقات الدولية أظهر بأن تجاهل الواقعية كان سابقاً لأوانه، نتيجة اندلاع العديد من الحروب الدموية _رواندا ويوغوسلافيا_ بعد سنواتٍ قليلة من انتهاء الحرب، والإعلان عن انتصار القيم الليبرالية. أشار إريك جونز Erik Jons (1966) أستاذ الدراسات الأوروبية والاقتصاد السياسي الدولي؛ بإمكانية الاحتفاظ ببعض افتراضات نظرية والتز في عالم ما بعد الباردة، إلا أن إعادة "إحياء" الواقعية كنظرية سائدة، يتطلب تجاوز أطروحة البنيويين في تركيزهم الثابت والمركزي على الصورة الثالثة (النظام الدولي) فقط في تفسير المجريات الدولية، ويجب إدخال عدة مستويات من التحليل، لمتابعة التغيرات الديناميكية في السياسة الدولية المعاصرة[362].

---

* نظراً لأن هذه المدرسة برزت في عالم ما بعد الحرب الباردة، سيتم مراجعة مقالات منظريها ومفهومهم واستخدامهم للفوضى في الفصل الرابع.

[360] Randall Schweller, "Theory in Action: Realism", Somo Publishing, 2011, https://bit.ly/3wKKbkg.

[361] Ibid, p.195-196.

[362] Ibid, p. 192-195.

تمثلت إحدى محاولات إعادة إحياء النموذج الواقعي؛ بظهور تيار جديد في تسعينيات القرن الماضي. أشار جاك سنايدر Jack Snyder (1951) بأن الواقعية الكلاسيكية الجديدة "تمثل الجيل الخامس من أجيال النظرية الواقعية"[363]. وأعرب تشارلز جلاسر Charles Glaser (1954) بأن الواقعية الكلاسيكية الجديدة تمثل تطوراً طبيعياً ضمن التقاليد الواقعية[364]. ظهر مصطلح "الواقعية الكلاسيكية الجديدة" " Neo-Classical Realism"، لأول مرة في مقالة جدعون روز Gideon Rose (1964) المعنونة "Neoclassical Realism and theories of Foreign Policy" عام 1998، وفند فيها أربع نظريات للسياسة الخارجية، معلناً ولادة تيار جديد داخل الواقعية؛ وسمه بـ "الواقعية الكلاسيكية الجديدة". وتوصل لهذا الاستنتاج عبر مراجعته لكتب كل من وليم وولفورث William Wohlforth (1959) المنشور عام 1993، وتوماس كريستنسن Thomas Christensen (1948) المنشور عام 1996، وراندال شويلر Randall Schweller (1971) المنشور عام 1998، وكتاب فريد زكريا Fareed Zakaria (1964) المنشور عام 1998، وخلص بأن جميعها تشترك في "تركيز الاهتمام على دور المتغيرات المحلية الفاصلة؛ والمقاربة النسقية"[365].

اعتبر روز بأن هذه المدرسة أخذت أفضل شيء من كل مقاربة داخل التقليد الواقعي، فوظفت المتغيرات المحلية المستمدة من الواقعية الكلاسيكية، ودمجتها مع المتغيرات النظامية المتخذة من الواقعية البنيوية، في سبيل تفسير سلوك الدول داخل النظام الدولي[366]. أي على نقيض النظريات الواقعية الأخرى القائمة على فكرة الاختزالية، كالكلاسيكية التي تعتمد في تفسيرها للسياسة الخارجية على مستوى وحدة الدولة، متغاضية عامل القيد الهيكلي. والبنيوية التي تركز على التأثيرات والعوامل النظامية، متجاهلة تأثير المستوى الوطني، وهذه مساهمات رفضتها الواقعية الكلاسيكية الجديدة، لأنها غير مكتملة، وكان لابد من معالجة هذا النقص[367].

هذا التطور المنهجي الذي طرأ على الواقعية يقود نحو سؤالٍ مركزي؛ هل توظيف المتغيرات المحلية ودمجها مع المتغيرات النظامية أدى إلى إعادة اعتبار الفوضى عاملاً ثانوياً، كما هو الحال في الواقعية الكلاسيكية؟ أم أنها حافظت على مركزية هذا المفهوم، بالرغم من توظيفها للعوامل الداخلية؟

---

[363] سيد أحمد قوجيلي، **الصراع على تفسير الحرب والسلم دراسات في منطق التحقيق العلمي في العلاقات الدولية**، (بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018)، ص195.

[364] Elman and Jensen, Realism Reader, p.244.

[365] قوجيلي، الصراع على تفسير الحرب، ص158.

[366] المرجع السابق، ص159-160.

[367] Jalal Dehghani Firoozabadi & Mojtaba zare Ashkezari, "Neo-classical Realism in International Relations", ***Asian Social Science*****,** Vol. 12, no. 6 (2016): 94-95

اكتسب هذا التوجه شعبية واسعة، لقدرته على شرح عدد من السلوكيات المحيرة لأنواع البنيوية الواقعية، مثل؛ لماذا لا تستغل أحياناً الدول الفرص السهلة لزيادة قوتها، وسبب عدم استجابة الدول للتهديدات في أغلب الأحيان، ولماذا تتخذ بعض الدول مخاطر غير ضرورية وتتسم بالحماقة[368]. تبتغي الواقعية الكلاسيكية الجديدة تفسير سبب اتباع عدة دول أو حتى الدولة ذاتها في أوقاتٍ مختلفة استراتيجيات معينة في السياسة الدولية، من خلال تقديم تنبؤات احتمالية، حول كيفية استجابة الدولة للضرورات النظامية[369].

استغلت الواقعية الكلاسيكية الجديدة مجموعة متنوعة من مستويات التحليل، كونها هدفت لتأسيس نظرية تتمحور حول السياسة الخارجية _كالواقعية الكلاسيكية_ بدلاً من النظريات النظامية. جادل روز بأن "نظرية السياسة الخارجية التي تقتصر على العوامل النظامية وحدها، لا بد أن تكون غير دقيقة في كثير من الأحيان، كما يجادل الواقعيون الكلاسيكيون الجدد، وهذا هو السبب في أن الواقعية الهجومية مضللة كذلك"[370]. عدة ظواهر في السياسة الدولية قدمها منظرو هذا التوجه تعجز العوامل النظامية على تفسيرها، مثل غزو العراق عام 2003، واستراتيجية الاحتواء للولايات المتحدة، إبان الحرب الباردة، لذا تعتبر دراسة التأثير المتداخل للعوامل المحلية المساهمة الرئيسة لهذا النموذج[371]. لفهم طريقة تفسير سلوك الدول في بيئتها الخارجية واستجابتها لها، لابد من ترجمة الضغوطات المنهجية، من خلال المتغيرات المتداخلة على مستوى الوحدة مثل صانعي القرار[372].

تأكيد الواقعية الكلاسيكية الجديدة على أهمية الصورة الثانية (مستوى الدولة)، والثالثة (مستوى النظام)؛ في عملية تفسير السياسات الخارجية للدول، مؤشر على قبولها للافتراضات الأساسية السابقة للنموذج الواقعي. فتفترض بأن السياسة الدولية هي عبارة عن ساحة مستمرة من الصراع بين الدول المختلفة، من أجل القوة المادية والأمن؛ في ظل شح المصادر المحدودة، وحالة الشك وعدم اليقين الشائعة بينهم، والسبب الذي يجعل من الصراع الدولي حتمياً؛ هي الفوضى لغياب حكومة عالمية. كما لم تَحِد عن التحليل الواقعي لسياسات القوى

[368] Elman and Jensen, Realism Reader, p.244.
[369] Taliaferro, "Introduction: Neoclassical realism, p.4.
[370] Rose, "Review: Neoclassical Realism", p. 152.
[371] Taliaferro, "Introduction: Neoclassical realism, p.4.
[372] Rose, "Review: Neoclassical Realism", p. 152.

العظمى. وينبع اهتمامها بالقوة وتوزيعها، لأنها عامل مهم في تحديد السلوك الخارجي للدول، كما تخلق القوى النظامية حوافز لجميع الدول، للسعي لتحقيق قدر أكبر من الكفاءة في توفير الأمن لأنفسهم[373].

الواقعية الكلاسيكية الجديدة لم تُضحِ بالرؤية المركزية للواقعية الجديدة، التي تنص على أن البيئة الدولية التي تتفاعل فيها الوحدات؛ هي من يحدد سلوك ومصالح الدول، أي؛ النظام يفرض قيوداً عليهم. تُعطي هذه المقاربة الأولوية السببية للمتغيرات الهيكلية، ويعتبر موقع القوة النسبية للدولة في النظام الفوضوي "متغيراً مستقلاً"، لما له من دورٍ حاسم في تشكيل السياسة الخارجية للدول[374]. فيؤمن منظّروها، بأن الفوضى وتوزيع القوة أهم عاملين يقودان الدول نحو السعي وراء الأمن، فيصبح الأمن _كما يؤمن الجدد_ أهم قيمة داخل النظام الفوضوي، والدولة أهم لاعب سياسي في الساحة الدولية[375].

تدرك الواقعية الكلاسيكية الجديدة ضرورة الانطلاق من مكانة الدولة داخل النظام، لتفسير السياسات الخارجية للدول. "النسق الدولي مكان جيد للانطلاق، لأنه يمارس تأثيراً قوياً في الاستراتيجيا الكبرى لأي بلد". ضمن السياق، أعرب زكريا؛ "يجب على النظرية الجيدة للسياسة الخارجية أن تسأل أولاً عن التأثير الذي يحدثه النسق الدولي في السلوك القومي، لأن الخاصية الأقوى للدولة، والقابلة للتعميم في العلاقات الدولية هي موقعها النسبي في النسق الدولي[376].

القيود النظامية وحدها لا تقدم تفسيراً دقيقاً للسياسات الخارجية للدول، بحسب هذا التوجه. وعليه جادلت أستاذة العلوم السياسية جينيفر ستيرلينغ فولكر Jennifer Sterling-Folker (1960)، معتبرة "الفوضى لا تملي كيف يجب على الدول ترتيب عملياتها المحلية لتحقيق هذه الغاية. للدول الحرية في التجربة، أو محاكاة ممارسات بعضها البعض، أو عدم فعل أي شيء. ومع ذلك، فإن العمليات المحلية بمثابة الحكم النهائي لبقاء الدولة في البيئة الفوضوية"[377]. الفوضى عامل مركزي في الواقعية الكلاسيكية الجديدة، إلا أن تأثيرها غير مباشر على سلوك الدول، فتضع الديناميكيات الداخلية كمتغير متداخل بين قيود النظام الدولي والسياسة

---

[373] Taliaferro, "Introduction: Neoclassical realism, p 19-27.

[374] Ibid, p.16.

[375] Norrin M. Ripsman, "Neoclassical realism and domestic interest groups", in ***Neoclassical Realism, The State, and Foreign Policy,*** (New York: Cambridge University Press, 2009): 176.

[376] قوجيلي، الصراع على تفسير الحرب، ص164.

[377]Jeffrey W. Taliaferro, "Neoclassical realism and resource extraction: State building for future war**", in** ***Neoclassical Realism, The State, and Foreign Policy,*** (New York: Cambridge University Press, 2009), p.198.

الخارجية، خلاف البنيويين الذين يؤمنون بوجود علاقة وترجمة مباشرة بين مخاوف قادة الدول، والضرورات النظامية في سياستهم الخارجية[378].

تنظر هذه المدرسة لكل من القيود البنيوية والمحلية كعوامل متشابكة للسياسة الخارجية للدول، ولا تزال الأخيرة تحدد من خلال مكانتها داخل النظام، فالقيود المنهجية تحد من طموحاتها، وأهداف سياستها الخارجية. مع ذلك، يرون الدوافع والضغوطات الناتجة من النظام قد تكون غير واضحة، وقد تتفاعل الدول مع القيود الهيكلية بطرق مختلفة. وعليه، قد تتبع الدول التي تتمتع بقوة متساوية في الساحة الدولية سلوكاً مختلفاً تماماً، وتصوغ سياسات خارجية متباينة[379]. يزعم جيفري تاليفيرو Jeffrey Taliaferro (1969) على غرار أقرانه، أنه من خلال الربط بين المتغيرات الداخلية والمتغيرات النظامية؛ يمكن تقديم إجابات تفسر بشكل أفضل سبب اختلاف استجابة القوى العظمى للتهديدات المماثلة. تنطلق هذه النظرية من خمسة افتراضات أساسية[380].

أولاً، وجود جماعات بشرية، والتي تتكون نتيجة وجود عدو خارجي لكل جماعة، ما يتولد لديهم حالة من الخوف على بقائهم بسبب المنافس. ثانياً، ضرورة وجود تنافس بين الجماعات المتباينة داخل الدولة، وأهمية تأثير "التأهيل الاجتماعي" في تشكيل النظام السياسي الداخلي، وتؤدي القدرة التنافسية على بقاء النظام. ثالثاً، المتغيرات على مستوى النظام الدولي، المتمثلة بتوزيع القدرات؛ تؤثر على عملية السياسة الداخلية، والتي بدورها تنعكس على عملية صنع السياسة الخارجية، لعل هذه الفرضية هي الأهم. رابعاً، عدم وجود "محول مثالي" بين كل من التوزيع النسبي للقوة والسياسة الخارجية للدولة. هذا الحزام يمثل الديناميكيات الداخلية للدولة، ويختلف من دولة لأخرى، بناءً على قدراتها الداخلية على كافة المستويات. خامساً، هناك تباين بين الدول فيما يتعلق بقوتها، وتتمحور قوة الدولة هنا في قدرتها على استخراج الموارد والتعبئة في سبيل تحقيق سياسة خارجية ناجحة[381].

بناءً على هذه الافتراضات وضع تاليفيرو نموذجه* داخل الواقعية الكلاسيكية الجديدة لتفسير السياسات الخارجية المختلفة للدول، والذي يتكون من ثلاثة متغيرات. "المتغير النظامي المستقل" وهو عبارة عن نسبة ما تتعرض

---

[378] Huseynov, "The Nexus of Neoclasical Realism", p.25.

[379] Taliaferro, "Introduction: Neoclassical realism", p.16-24.

[380] القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"، ص333.

[381] المرجع السابق.

*هناك عدة نماذج داخل النظرية الواقعية الكلاسيكية، كنموذج راندل شويللر وتوماس كريستينسين، للمزيد أنظر مقالة علي القحطاني "النظرية الواقعية".

له دولة من تهديدات خارجية، وتكون نتاج ثلاثة عوامل رئيسة: "التوزيع النسبي للقوة في النظام الدولي، التوزان بين القدرات الهجومية والقدرات الدفاعية، والجغرافيا"[382].

إذاً، السياسة الخارجية للدول وطموحها ينبني بالدرجة الأولى من موقعها في النظام الدولي، ومن مقدار القوة النسبية التي تحظى بها، لذا هم واقعيون. المسألة ليست بهذه البساطة، فهناك تأثيرات غير مباشرة على السياسة الخارجية للدول، وهو ما أسماه بالمتغيرات "الوسيطة" التي أضيفت في عملية التحليل، والتي تشمل كل من "مؤسسات الدولة، ومستوى القوى الوطنية والانتماء للدولة، وقوة الإيديولوجية". التفاعل بين المتغيرين السابقين يؤثر ذلك على "المتغير التابع"، وبناء عليه تُحدد الاستراتيجية التي ستتبعها دول ما من أجل البقاء، وهذه الاستراتيجيات تتراوح ما بين "التقليد أو المحاكاة، ابتكار أو إبداع، والاستمرار في الاستراتيجية الحالية"[383].

الرجوع للجذور الكلاسيكية يظهر اتفاق الواقعية الكلاسيكية الجديدة مع الكلاسيكيين، بأن كل من القوة والمصلحة محددات أساسية لتفسير السياسة الخارجية للدول، بتأييدهم مفهوم مورغنثاو حول "المصلحة المعرفة كقوة". أي أنهم تبنوا بأن "القوة تقود المصالح وأن "مصالح الأمة" هي، كما يصرح زكريا "محددة بقوتها (أي مواردها المادية) نسبة إلى الأمم الأخرى"[384]. كما تُولي هذه المقاربة اهتماماً للعلاقة المعقدة بين الدولة والمجتمع المحلي. وإعادة الدولة لمركز التحليل التي عرفها الكلاسيكيون بأنها امتداد "من أعلى إلى أسفل"[385]. كتأكيدً من منظريها على أهمية مستوى الوحدة من أجل فهم دقيق للسياسة الخارجية، إلى جانب تجنب معاملة الدول على أنها "صناديق سوداء"، بإيلاء الأهمية لخصائصها الداخلية[386].

أي أن هذا النموذج لا يسعى للحفاظ على الدول من الخارج، بل ينظر لأهمية التمسك بالقوة داخل الدولة، لافتراضهم بأن الظروف المحلية قد تؤثر على السياسة الأمنية. موجز القول، يعتقد منظرو هذا التوجه، بأن الترتيبات السياسية المحلية تعمل كمتغيرات داخلية، يجري من خلالها ترجمة الضرورات النظامية إلى استجابات للسياسة الخارجية[387].

---

382 القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"، ص334.

383 المرجع السابق.

384 Huseynov, "The Nexus of Neoclasical Realism", p.24.

385 قوجيلي، الصراع على تفسير الحرب، ص 161-162.

386 Huseynov, "The Nexus of Neoclasical Realism", p.24.

387 Ripsman, "Neoclassical realism and domestic interest groups", p.176.

مما سبق، الفوضى عامل مركزي في النظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة، متفقة بذلك مع الواقعية الجديدة والواقعية الهجومية الدفاعية؛ بأنه هي شيء معطى في النظام الدولي، إلا أنها تتعامل مع الفوضى بطريقة غير مباشرة، على عكس الأطروحات الواقعية السابقة، من خلال إضافات أدوات جديدة للتعامل مع الفوضى، المتمثلة بالمتغيرات الوسيطة، لفهم سبب اختلاف السياسات الخارجية للدول، لأن الواقعية الكلاسيكية تحدد الخصائص السببية على المستوي الهيكلي والوحدة، مستخدمة الأخيرة كدليل للاستجابات الوطنية للقيود الدولية. بهذه الطريقة تقدم هذه المدرسة كيفية التعامل مع الفوضى في السياسة الدولية، وما هي الاستراتيجيات التي ستتبعها الدول في سياستها الخارجية، من أجل البقاء والفوضى.

توجد عدة نماذج نظرية داخل النظرية الواقعية الكلاسيكية، إلى جانب تاليفيرو؛ هناك نموذج شويلر وكريستينسين. جميعهم قبلوا بأن الفوضى هي مركزية وتمثل المتغير المستقل في نماذجهم، لكنهم اختلفوا في العناصر التي تمثل المتغيرات الوسيطة، والتي بناء عليها تختار الدولة الاستراتيجية الأنسب لها في السياسة الدولية. وضع تاليفيرو 3 عناصر أساسية: مؤسسات الدولة، ومستوى قوى الوطنية والانتماء للدولة، وقوة الأيديولوجيا التي تؤيدها أو تعارضها الدولة. أما المتغيرات الوسيطة لشويلر مرتبطة بدرجة تماسك النخبة، وإجماعهم على طبيعة التهديد. بينما كريستينسين؛ فالمتغير الوسيط له يعبر عن مقدار أو قيمة العوائق السياسية للتعبئة التي تواجهها الحكومة[388]

أظهر الفصل، أن الفوضى مفهوم مركزي في كل من النظرية الواقعية الجديدة؛ بشقيها الدفاعي والهجومي، وفي النظرية الواقعية الهجومية الدفاعية، والواقعية الكلاسيكية الجديدة. على الرغم من مركزية الطبيعة البشرية في الواقعية الكلاسيكية، لكن منظريها اعترفوا بوجود فوضى دولية. رغم تقاطع الواقعيين حول مركزية الفوضى، لكن تبايناً ظاهراً بينهم في العديد من القضايا المتمثلة؛ بالقوة، والخوف، والمعضلة الأمنية، وسلوك الدول في ظل الفوضى، وكيفية التعامل معها داخل النظام. وهذا ما سيُعالج في الفصل القادم.

[388] القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"، ص335-342.

4. التقارب والتباعد في مفهوم الفوضى عند منظري الواقعية، قبل وأثناء الحرب الباردة

هناك تباينات داخل النظرية الواقعية، وطريقة تعاطيها مع الفوضى والافتراضات التي قدمتها في العديد من القضايا. هذا الجدل يتطلب نقاشاً، من خلال معالجة الفوضى مع المفاهيم الأساسية التي انطلقت منها النظريات الواقعية. يسعى هذا الفصل للبحث في أهمية القوة لدى الدول في ظل النظام الدولي، وما هو المقدار الكافي من القوة المتطلبة حتى تكون بأمان، وتضمن البقاء؟، وما هو تأثير المعضلة الأمنية ودورها في سلوك الدول؟ وما هي أنسب استراتيجية على الدول انتهاجها للبقاء في ظل نظام فوضوي؟، وهل الفوضى تدفع الدول نحو خيار الحرب، وهل هي سمة حتمية في النظام؟ وكيف يمكن التعامل مع الفوضى الدولية؟ وهل يمكن تجاوزها؟

4.1 الفوضى والسعي وراء القوة

تلعب القوة دوراً مركزياً في السياسة الدولية عند الواقعيين، وتُولي الدول وخاصةً القوى العظمى اهتماماً بالغاً لمقدار القوة (العسكرية والاقتصادية) التي تتمتع بها مقارنةً فيما بينها. وفي ظل غياب سلطة مركزية في المجتمع الدولي تحافظ كل دولة على موقع قوتها وتحسينه داخل النظام، والأهم من ذلك، التأكد من عدم وجود دولة ما تسعى لتغيير ميزان القوى لصالحها، وعليه، تصبح مسألة التنافس مع الدول الأخرى لتحقيق البقاء والأمن ذات أهمية بالغة لدى الواقعيين، ويجب أن يكون السعي وراء القوة هدفاً أساسياً للدولة في العلاقات الدولية. بالرغم من اعتراف الواقعيين من مختلف التيارات بأن اقتناء القوة؛ هو المحفز الأساسي لسلوك الدول في ظل الفوضى؛ هناك اجماع في أدبيات العلاقات الدولية بوجود اختلافات جوهرية بينهم، مقدمين إجابات متباينة حول السؤال الرئيس؛ لماذا تسعى الدول نحو القوة في ظل نظام فوضوي[389].

السياسة الدولية _بحسب مورغنثاو_ مثلها مثل أي سياسية تقوم على أساس الصراع على القوة، بمنأى عن أهدافها النهائية، وعليه تصبح القوة هي الوسيلة والغاية بحد ذاتها. معرفاً القوة على أنها "القدرة على دفع الآخرين إلى سلوك باتجاه معين، باستعمال الإقناع والمساومة والضغط". كما جادل والفرز بالاتساق مع الفكر الواقعي؛ بأن القوة وسيلة بحد ذاتها لتحقيق أهداف بعيدة المنال؛ لذا، من الضروري الربط بين القوة والأهداف، حتى

[389] Mearsheimer, “Structural Realism”, p.80-81.

تُقاس في حال تحققها. لذا عرف القوة بأنها "القدرة على دفع الآخرين نحو عمل ما تريد، وتمنعهم من عمل ما لا تريد"[390]

وجدت واقعية مورغنثاو السبب الأساسي للصراع على القوة في الطبيعة البشرية، فالأفراد يتصرفون بوحشية ومدفوعون بشهوة لا تشبع للقوة والعداء. وعندما تنتقل هذه الإرادة لجماعة الدولة؛ تأخذ أبعاداً أكبر، وتولد صراعاً شاملاً من أجل البقاء[391]. تظهر إجابة الكلاسيكيين؛ بأن السياسة ما هي إلا صراع على القوة المتجذرة أساساً في الطبيعة البشرية الثابتة، وهي الصورة الأولى في تفسير مورغنثاو، معللاً بأن "تطلع الإنسان للقوة ... هو جوهر السياسة"[392]. مجادلاً بأن "كل شخص تقريباً يولد برغبة في القوة، ما يعني أن القوى العظمى يقودها أفراد عازمون على هيمنة دولتهم على الآخرين"[393]. وهناك العديد من منظري الواقعية قبلوا هذا الاستنتاج، على سبيل المثال؛ فريدريك شومان زعم بأن كل السياسات؛ هي صراع على القوة. بعبارة أخرى، تصبح المصلحة الوطنية انعكاساً للمصالح الأنانية للجماعات المهيمنة في الدولة[394].

يمكن استنباط سبب الرغبة بالقوة من خلال جملة مورغنثاو الشهيرة وهي أن "العلامة الرئيسة التي تساعد الواقعية السياسية على إيجاد طريقها، عبر مشهد السياسة الدولية؛ هي مفهوم المصلحة المحدد من حيث القوة"[395]. حجر الزاوية في نظرية مورغنثاو؛ هي القوة، وهذا ما ينص عليه افتراضه الثاني؛ بأن القادة السياسيين "يفكرون ويتصرفون من حيث المصلحة المحددة على أنها القوة". يتجاوز هانز هذه الطبيعة للمستوى الثاني من التحليل، معتبراً الدولة انعكاساً لشهوة القادة السياسيين لتحصيل القوة، والتي بدورها تمارس دوافعها داخل المسرح الدولي، إذاً، الصراع على القوة نابع بشكل رئيس من الطبيعة البشرية، والدولة هي الوكيل الذي يسعى نحو القوة في الشؤون الدولية[396].

كذلك هناك دور للصورة الثالثة _النظام الدولي_ في نظرية مورغنثاو، وذلك في وصفه لسبب صراع الدول على القوة. ليست الفوضى وحدها السبب الأساس الذي يدفع الدول للتنافس على القوة، فغياب حكومة دولية تعادل

---

390 سيف الهرموني، **مقتربات القوة الذكية الأمريكية كآلية من آليات التغيير الدولي الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)، ص36.

391 Glenn H. Snyder, “Mearsheimer's World-Offensive Realism and the Struggle for Security: A Review Essay”, ***International Security***, Vol. 27, no. 1 (summer, 2002): 151-152.

392 Elman, “Realism”, p. 12.

393 Ibid.

394 Donnelly, Realism and International Relations, p.48.

395 Arash Heydarian Pashakhanlou, “Comparing and Contrasting Classical Realism and Neorealism”, E-International Relations, July 23, 2009, https://bit.ly/32xkI4p.

396 Ibid.

حكومة الدولة؛ تعزز من شهية الأفراد الفطرية نحو حرية السيطرة، وينعكس ذلك على سلوك الدولة للسيطرة على الآخرين، دون أي قيودٍ تمنعهم من ذلك[397]. الرغبة الفطرية في السيطرة على الآخرين، والتي هي القوة الدافعة لسلوك الدول، سيستمر حدوثها لطالما ظل النظام فوضوياً. فتنخرط الدول بصراعٍ مستمر لزيادة قدرتها، وتظهر عقلانية الدولة بتحديد مصالحها الوطنية من حيث القوة. لذا تعد كل من القوة وتوازن القوى من الأدوات التحليلية، التي يرتكز عليها الكلاسيكيون في فهمهم للسياسة الدولية، ووسيلة القادة لمعرفة المجريات على الصعيد الدولي، لإنجاح الحكم[398].

مما سبق، الدولة مدفوعة نحو التنافس على القوة بسبب الطبيعة البشرية، فهي بحاجة استمرارها قوة فعلية (قوة عسكرية)، أو قوة محتملة (جوانب أخرى تدعم القوة العسكرية مثل القوة الاقتصادية والبشرية)، من أجل البقاء في سياق فوضوي[399]. محاطة بدول تمثل خطورة عليها وهي عدوانية وبالتالي تخشى منها[400]. الطبيعة البشرية هي المفهوم المركزي الذي ينطلق منه الكلاسيكيون، والمصدر الأساسي للتنافس والنزاع على القوة بين الأفراد والدولة. على الرغم من اعترافهم بغياب سلطة مركزية في النظام، إلا أن تأثير البيئة الفوضوية بالنسبة لهم عامل ثانوي.

بتناقض جذري مع الكلاسيكيين، ترفض النظرية البنيوية وجود أية اعتبارات للأنثروبولوجيا، وعلى مستوى الوحدة في السياسة الدولية. ويركزون أساسا على المتغيرات في مستوى النظام (الصورة الثالثة). وعليه، تضحي فوضى النظام الدولي، وتوزيعات القوة؛ اليد الخفية في دفع الدول نحو تعظيم قوتها، بالرغم من الاختلافات المحلية على مستوى الوحدة[401]. وهذا النظام يتميز بوجود توزيع محدد للقوة، وبناء عليه يتحدد شكل وطبيعة النظام الدولي، وهذا الأخير يفرض سلوكاً محدداً على الدول، وهو مبدأ المساعدة الذاتية من أجل البقاء[402]. البنيويون يتجاهلون الاختلافات الداخلية بين الدول، ونوع الأنظمة، سواء أكانت ديمقراطية، أم استبدادية، ومن المسؤول عن إدارة السياسة الخارجية للدول. يرجع سبب ذلك إلى أن النظام الدولي يخلق حوافز أساسية مماثلة لجميع

---

[397] Ibid.

[398] Elman, "Realism", p. 12.

[399] Niruka Sanjeewani, "Introduction to classical and neo realist, Idealist and Constructivists views on Anarchy", Oct. 2016, p.3, https://bit.ly/3E90Mlu.

[400] Mearsheimer, "Kissing Cousins: Nationalism and realism", p.5-6.

[401] Steven Lobell, "Structural Realism/Offensive and Defensive Realism, International studies, Published December 12, 2017, https://bit.ly/2USrG02.

[402] حسين، الاتحاد الأوروبي والمنطقة العربية، ص136.

القوى العظمى[403]. فرفض كل من والتز وميرشايمر مصدر السببية المتمثلة بالطبيعة البشرية، مقدمين سبباً آخر؛ منبعه الفوضى[404].

تحاول الواقعية الجديدة الابتعاد عن العوامل الداخلية باستثناء قدرات الدولة. فالدول بمثابة صندوق أسود متشابهون باستثناء قدراتهم[405]. "الوحدات لها الحرية في فعل أي شيء أحمق تهتم به، ولكن من المرجح أن تُكافأ على السلوك الذي يستجيب للضغوط الهيكلية والمعاقبة على السلوك غير المناسب"[406]. أو كما عبر ميرشايمر، "في التحليل النهائي، يجبر النظام الدول على التصرف وفقاً لما تمليه الواقعية، أو خطر التدمير"[407].

البنية الفوضوية تدفع الدول نحو الحصول على القوة بمختلف اشكالها، لأنه في ظل غياب سلطة مركزية أعلى من سلطة القوى العظمى يكون لديها القدرة على إنفاذ القوانين، وضمان عدم مهاجمة الدول لبعضها، يصبح من البديهي أن تمتلك كل دولة قوة كافية لتحمي نفسها من اعتداءات الأخرين. بإيجاز، القوى العظمى محبوسة في "قفص حديد"، لا خيار أمامها سوى التنافس على القوة للحفاظ على ذاتها[408]. البنية الفوضوية هي من تحدد خيارات وتوجهات الدول، لذا تطمح الدول للحفاظ على أمنها، وهذا يجبرها للسعي وراء القوة، وهكذا تتشكل معظم النتائج الدولية[409].

أكد والتز عند تطوير نظرية السياسة الدولية، باحتفاظ الواقعية البنيوية على المبادئ الرئيسة للواقعية، إلا أنه ينظر للوسائل والأهداف بطرق مختلفة كالأسباب والآثار. فبخلاف مورغنثاو _الذي زعم بأن القوة هي غاية بحد ذاتها، لذا يجب السعي لتراكمها قدر الإمكان_ والتز افترض بأن القوة المفرطة قد تعرض الدولة للخطر، وتدفع الدول الأخرى نحو زياد التسلح، وحشد قوتها العسكرية ضد الدولة المهيمنة، كاتباً بهذا الصدد: "لأن القوة ربما تكون وسيلة مفيدة، يحاول رجال الدولة العقلاء الحصول على المقدار المناسب منها. لكن في المواقف الحاسمة، لا يكون الشاغل للدول هو القوة بل الأمن"[410].

---

[403] John J. Mearsheimer, “Structural Realism”, in ***International Relations Theories Discipline and Diversity 3rd ed.***, Tim Dunne, Milja Kurki & Steve Smith, (United Kingdom: Oxford University press: 2013), p.78.

[404] Snyder, “Mearsheimer's World-Offensive Realism”, p.151-152.

[405] Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory", p. 616.

[406] John J. Mearsheimer, “Structural Realismp.80-81.

[407] Ibid.

[408] Ibid, p.77-78.

[409] عديلة، "تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية "، ص216

[410] Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory”, p. 616.

يستقي والتز سلوك الدول داخل النظام الدولي من الطريقة التي يؤثر بها السوق على الشركات. بحسب الاقتصاديين؛ تجبر بيئة المساعدة الذاتية الشركات نحو "تعظيم الربح"، وهناك استراتيجيتان لتحقيق ذلك؛ الأولى، قد تختار الدول اتباع استراتيجية ذات مخاطر عالية، وقصيرة الأجل، وذات فوائد وربح مرتفع. أما الثانية، في اتباع استراتيجية معتدلة، وأكثر حذراً وطويلة الأجل، وتحقق مكاسب فورية أقل. بالطريقة ذاتها يؤثر النظام الدولي على الوحدات السياسية، بالرغم من أن الأخيرة تتصرف بأشكالٍ مختلفة، فهناك من يتبع سياسية حذرة والبعض الأخر يتسم بالجرأة، لكن يجب البدء بالافتراض النظري المتمثل بأن البنية الفوضوية تجعل الدول تعتمد باستمرار على المساعدة الذاتية[411].

بناءً على افتراضاته المستقاة من "السوق"، والتي تنص على أن الدول في ظل الفوضى ترغب بالبقاء، كتب والتز "إذا ضُمن البقاء على قيد الحياة، يمكن للدول أن تسعى بأمان إلى أهداف أخرى، مثل؛ الهدوء والربح والقوة". إذن، البقاء "غير مضمون" أبداً في ظل الفوضى، وعلى الدول أن تتصرف وفق تعظيم قوتها من أجل تعظيم أمنها، وبهذه الحالة يمكنها ضمان بقائها، من خلال مبدأ المساعدة الذاتية[412].

تحاجج الواقعية الدفاعية _وتحديداً نظرية توزان القوى لوالتز_ بأن ميزان القوة هو النتيجة الطبيعية لسعي الدول إلى القوة، مدفوعاً بالخاصية الفوضوية للنظام الدولي[413]. وعليه تضع نظرية توازن القوى افتراضين رئيسين: أولاً، الدول هي اللاعب الرئيس في الساحة الدولية التي تعمل في بيئة فوضوية، وهي جهات فاعلة وحدوية. ثانياً، الهدف الأساسي للدول هو البقاء، وعليها أن تحمي سيادتها. وعليه ستولي الدول اهتماماً بالغاً لميزان القوى، بالتالي سيسعون إلى أن يصبحوا أكثر قوةً من منافسيهم المحتملين، لأن هذه الطريقة ستزيد من فرص بقائهم[414].

مستنتجاً والتز بأن الدول عليها أن تولي اهتماماً بالغاً في موقفها من ميزان القوى، ويصبح الأخير "قانوناً حديدياً" يُمكن للدول فقط من خلاله ضمان بقائها، والتأكد من عدم نمو قوة منافسيها أكثر من اللازم. يصبح ميزان القوى "الجزء الديناميكي" للنموذج النظري لوالتز، لأن عدد القوى العظمى التي تمتلك أكبر القدرات؛ هي

[411] Labs, “Beyond Victory: Offensive realism”, P.14.
[412] Ibid.
[413] Ito, Realism, P4.
[414]John J. Mearsheimer, “Reckless States and Realism”, p.242.

من يحدد طبيعة النظام الدولي، سواء من خلال تشكل ميزان، أو أقطاب النظام الدولي[415]. البنية الفوضوية تقود قطعاً نحو مبدأ المساعدة الذاتية وسياسة القوة. وتتنافس الدول على القوة لأن النظام الدولي يفرض عليها ذلك إذ أرادت البقاء في ظل عالم لا يوجد فيه اللفياثان يوفر الحماية والأمن للدول. نتيجة الفوضى؛ تسعى القوى العظمى للحصول على القوة وهي الوسيلة لتحقيق الغاية الأسمى المتمثلة بالبقاء والأمن.

ينظر ميرشايمر للقوى العظمى بأنها تعيش في عالم تسوده الفوضى، وهمها الأول هو الحفاظ على بقائها متفقاً بذلك مع والتز، لذا سرعان ما تدرك بأن القوة هي أساس بقائها. هناك ارتباط وثيق بين الفوضى والقوة بحسب الهجوميين. خصص ميرشايمر في كتابه فصلاً كاملاً بعنوان "الفوضى والصراع على القوة"، مناقشاً فيه سؤالاً؛ "لماذا تسعى الدول وراء القوة؟" مؤكداً على الربط بين الفوضى، وسعي الدول لتعظيم قوتها من الحصة العالمية لأقصى حد ممكن، وعليها ألا تتوقف عن ذلك[416].

ففي إجابته؛ زعم بوجود منطق قوي وتفسير بنيوي يدفع القوى العظمى للتنافس للوصول لذروة القوة مع الهيمنة كهدف نهائي، وعليه علل لماذا العلاقات بين هذه القوى هي محفوفة بالمخاطر، مستنتجاً بأن "الأسباب الرئيسة موجودة في بنية النظام الدولي. الأمر الأكثر أهميةً هو عدد القوى العظمى ومقدار القوة التي تتحكم بها كل [قوة عظمى]" [417] وهذا مؤشر حول مركزية الفوضى بنظريته، مشتقاً هذا الاستنتاج من خمسة افتراضات أساسية حول طبيعة النظام الدولي[418].

أولاً: النظام الدولي يتسم بالفوضوية؛ لأن ميرشايمر يفهم الفوضى على أنها مبدأ تنظيمي؛ توجد دول مستقلة لا يوجد فوقها سلطة مركزية، وبعبارة أخرى "السيادة تكمن في الدول، لأنه لا يوجد هيئة حكومية أعلى في النظام الدولي، ولا توجد "حكومة فوق الحكومات"". ثانياً: لدى القوى العظمى قدرة عسكرية هجومية تُمكنها من إيذاء بعضها البعض وربما تدمرها. ثالثاً: تسود حالة الشك والخوف بين الدول لعدم إمكانية التأكد أو امتلاك معلومات كافية حول نوايا بعضها البعض، فهذه النوايا قد تتغير بشكل مفاجئ من حميدة لخبيثة، بالتالي لن تكون أي دولة متأكدة من أن الدول الأخرى لن تستخدم القوة ضدها [419].

---

[415] Arash Heydarian Pashakhanlou, “The Past, Present and Future of Realism”, in ***Realism in Practice*****,** ed. Davide Orsi, J.R. Avgustin & Max Nurnus, (Bristil: E-International Relations Publishing, 2018), p.32.

[416] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص 38-40.

[417] Elman, “Realism”, p.19.

[418] Ibid.

[419] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص 38-39.

رابعاً: الهدف الأساسي والنهائي للدول العظمى هو البقاء، وهذا الهدف يهمين على باقي الأهداف التي تسعى لها الدولة، لأنه بمجرد حدوث غزو تنتهي فرصتها في تحقيق أهدافٍ أخرى. خامساً: القوى العظمى فواعل عقلانية، لأنه عندما يتعلق الأمر بالسياسات الدولية، فإنها تنظر في كيفية تأثير سلوكها على سلوك الآخرين والعكس صحيح، وعليها أن تفكر استراتيجياً في أوضاعها الخارجية، واختيار الاستراتيجية الأنسب لتحقيق هدفها الأسمى، وهو البقاء[420].

يفترض ميرشايمر بعدم إمكانية تقديم أي تفسير حول سبب سعي الدول للقوة، واتباعها سلوكٍ تنافسي وعدواني في حال وجود أي من الافتراضات بشكل منفرد، ومع ذلك الافتراض الوحيد الذي يتعامل مع دافع محدد مشترك بين جميع الدول ينص على أن الدولة تهدف للبقاء وهذا هدف دفاعي. ولكن عندما تندمج هذه الافتراضات معاً يُعطي الدول مبرراً للتفكير والتصرف بعدوانية في بعض الأوقات، لأن الفوضى تخلق حوافز قوية لتعظيم قوتها النسبية بدلاً من السعي لقدر مناسب من القوة، كما في واقعية والتز[421]. وهذا ما ينتج عنه "ثلاثة أنماط من السلوك: "الخوف، والاعتماد على الذات، وتعظيم القوة"[422].

انطلق جيرفس وفان افير منظرا الواقعية الدفاعية_ الهجومية من المفهوم البنيوي؛ وهو التوازن بين الدفاع والهجوم. مفترضين بأن القوة العسكرية قد يتأرجح تصنيفها عبر الزمن، التي قد تكون لصالح الهجوم أو الدفاع. إذا تفوقت ميزة الدفاع لن يكون هناك أي دافع للدول لانتهاج سياسة عدوانية، ولن تلجأ للقوة لزيادة قوتها، ويصبح هدف الدولة هو الحفاظ على القوة التي تقتنيها، وفي هذه الحالة تكون مهمة صَون القوة سهلة نسبياً. على النقيض، عندما تُرجح كفة الهجوم، هذا يعطي الدول حوافزٍ نحو التوسع والعدوان، ثم ازدياد الحروب داخل النظام. إلا أن أنهم يتفقون مع واقعية والتز الدفاعية، بأن التوازن عادةً يميل نحو الدفاع. باختصار، "التوازن الفعال" مرتبط بوجود مزايا للدفاع على حساب الهجوم، الذي بدوره يردع الدول عن اتباع استراتيجيات عدوانية إنما اتخاذ "موقف دفاعي"[423].

بينما تفترض الواقعية الكلاسيكية الجديدة، بأن نجاح الدولة في التصدي للتهديدات الخارجية؛ يعتمد على القوة التي بيدها. السؤال الرئيس الذي شغل تالفيرو عند دراساته للتهديدات الخارجية التي تعرضت لها القوى العظمى

---

[420] المرجع السابق، ص 39-40.

[421] Mearsheimer, “Structural Realism”, p.78.

[422] Mearsheimer, “The False Promise of International Institutions”, p.10-11.

[423] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص 26-27.

على مدار 300 سنة الماضية مثل الصين، والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وغيرهم؛ هو لماذا نجحت دول في تجاوز هذه التهديدات، بينما فشلت أخرى في ذلك؟، الأمر الذي تسبب في انهيار بعض الدول[424]. تبرز علاقة وثيقة بين القوة والبقاء، في ظل غياب سلطة مركزية في النظام الدولي داخل هذا المنظور.

قوة الدولة بحسب تالفيرو تعتمد على قدرتها في استخراج وتعبئة المصادر، مفترضاً بوجود تماسك داخل الدولة. أي، أنها لا تعاني من أزمة شرعية على المستويين؛ النخبة والمجتمع. لذا، هذا النموذج ينجح في الدول المتقدمة، لأنها لا تعاني من أزمة في الشرعية بعكس الدول النامية. وعليه افترض بأن الدول تتراوح في قدراتها في التعاطي مع التهديدات الخارجية، بناءً على الاختلاف في مستوى القوة الذي تصله، وهذا ما أكده في إحدى فرضياته، والتي تؤكد على أن "قوة الدولة تختلف من دولة إلى أخرى، والمقصود بقوة الدولة هو القدرة النسبية للدولة على استخراج المصادر والتعبئة لتحقيق سياسة خارجية ناجحة"[425]. يُستنتج؛ كلما كانت الدولة قوية؛ كلما نجحت في التصدي للتهديدات الخارجية، وعليه سعي الدولة للقوة واهتمامها بتوزيع القوة داخل النظام، يساعدها في اختيار الاستراتيجية الأنسب لها التي تمكنها من البقاء.

واضح أن الواقعيين الكلاسيكيين الجدد اتفقوا مع الكلاسيكيين في تشديدهم على الدور المركزي لكل من القوة والمصلحة القومية، في تفسير السياسات الخارجية للدول. فأغلب منظري هذا التيار يعترف بمفهوم مورغنثاو المتعلقة بـ "المصلحة المعرفة كقوة"[426].

4.2 الفوضى ومقدار القوة

توصل الواقعيون لاستنتاجاتٍ مختلفة حول مقدار القوة الذي يجب أن تحصل عليه الدولة في ظل بيئة فوضوية. البعض أكد تحقيق أقصى قدر ممكن من القوة، وآخرون آمنوا بضرورة الاكتفاء بقدر مناسب من القوة. قدم كل تيار حججه حول مقدار القوة اللازمة للدول ظل ظروف الفوضى[427]. إذاً ما هو المقدار المناسب الذي يجب أن تسعى إليه الدولة، حتى تكون بأمان، ثم تحقق هدفها بالبقاء؟

---

424 القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"، ص333.
425 المرجع السابق، ص334.
426 قوجيلي، الصراع على تفسير الحرب، ص161.
427 Mearsheimer, “Structural Realism”, p.77.

تعتقد واقعية مورغنثاو بأن رجل الدولة "العقلاني" يطمح دائماً لمراكمة المزيد من القوة، لأنها غاية في حد ذاتها[428]. كما أشار ولفرز بأن النظرية الواقعية تقوم على افتراض جوهري؛ الدول تسعى إلى تعزيز قوتها. فاعتبر الدول ذات السيادة؛ هي الفاعل الوحيد في السياسة الدولية، التي شبهها بمجموعة كرات البلياردو أو الشطرنج، أي أن جميع الوحدات السياسية داخل النظام الدولي تتصرف بنفس الطريقة، هدفهم تعزيز قوتهم إن لم يكن تعظيمها. هناك تنافس مستمر بينهم على القوة، وصراع مستمر لا مناص منه، من أجل البقاء. هذا ما يجعلهم بحسب قوله: "أعداء محتملين إن لم يكن أعداء فعليين؛ لا يمكن أن يكون هناك صداقة بينهما، إلا إذا كان هناك تحالف ضد عدو مشترك"[429].

بالرغم من إيمان البنيويين بأن القيود النظامية تدفع الدول للسعي لتحقيق أكبر قدر من الكفاءة لتحقيق الأمن، وينتج الأخير بسبب طبيعة المساعدة الذاتية التي لا مَحيد عنها في النظام. إلا أنهم قدموا إجابات متباينة حول مقدار القوة الذي يجب أن تسعى إليه الدول[430].

بدايةً، يجادل التيار الدفاعي المتمثل بوالتز، بأن القوى العظمى لا عليها أن تحاول تعظيم حصتها من القوة العالمية، لأن القوى الأخرى سوف تنضم لتحالف متوازن لإيقافها، وعليه كتب "في السياسة الدولية النجاح يقود إلى الفشل. إن التراكم المفرط للقوة من قبل دولة أو تحالف من الدول يثير معارضة الآخرين. لذلك، نادراً ما تستطيع الدول أن تجعل تعظيم القوة هدفها". و"الدولة الذكية" هي التي تطمح لاكتساب فقط "القدر المناسب من القوة"[431]. صحيح أنه أكد على أن الدول داخل نظام فوضوي يجب أن تسعى لزيادة قوتها من أجل البقاء، إلا أن الدول لديها هدف أكثر أهميةً من زيادة قوتها؛ وهو منع الدول الأخرى من تعظيم قوتها على حسابها، "لأن القوة ربما تكون وسيلة مفيدة، يحاول رجال الدولة العقلاء الحصول على المقدار المناسب منها. لكن في المواقف الحاسمة، لا يكون الشاغل النهائي للدول هو القوة بل الأمن"[432].

شدد والتز؛ بأن الشاغل الأول للدول هو الحفاظ على موقعها في النظام، والاستنتاج المركزي الذي توصل إليه هو "توازن القوى"، وتفترض هذه النظرية بأن نمطاً متكرراً من التوازن سيحدث عندما تحاول دولة ما زيادة قوتها

[428] Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory", p. 616.
[429] Wolfers, “The Pole of Power and the Pole of Indifference”, p.62-63.
[430] Mearsheimer, “Structural Realism”, p.77.
[431] Mearsheimer, “Reckless States and Realism”, p.243.
[432] Waltz, “The Origins of War in Neorealist Theory”, p. 616.

من الحصة العالمية، فسيتشكل تحالف مضاد لكبحها في بيئة فوضوية[433]. تلعب "ديناميكية الموازنة" دوراً مهماً في أن يصبح سلوك تعظيم القوة لا فائدة منه؛ لتخوف الدفاعيين من أن تؤدي القوة المفرطة لدولة ما في دفع الدول الأخرى نحو تشكيل تحالف متوازن، قد يؤدي إلى تدمير الدول الطموحة، أو على الأقل جعلها أقل أماناً. الدول بنظر والتز تسعى لتعزيز أمنها وليس قوتها، وامتلاك الدول القوة الكافية سيرضيها، ولن تذهب نحو مراكمة المزيد من القوة[434].

مما سبق، هدف الدولة في المنظور الدفاعي؛ هو تعظيم أمنها النسبي، وليس قوتها النسبية، الاستراتيجيات العدوانية هي الاستثناء، وليست القاعدة في النظام الدولي الفوضوي، ويمكن للدول تحقيق الأمن من خلال اتباع سياسات خارجية معتدلة وحذرة[435]. إذاً، الفوضى بحسب والتز تملي على الدول اتباع سلوكٍ حذر، وهذا دليلٌ بأن الفوضى هي سمة أساسية ومركزية في نظرية والتز لتفسير العلاقات الدولية.

أيد والتز في طرحه عدد من المنظرين فناقش جوزيف غريكو Joseph Grieco (1953)، بأن همّ الدولة التي وصفها بـ "Defensive positionalists" هو صون مكانتها في النظام؛ لأن الدول غير مهتمة بتعظيم قوتها النسبية بقدر ما تسعى لمنع الدول الأخرى من تعظيم قوتها، للحفاظ على توازن القوى القائم والوضع الراهن باتباعها استراتيجيات دفاعية[436]. بالمثل حاور جلاسر، بأن القوى العظمى تكون آمنة عندما تكف عن تعظيم قوتها، وتسعى للدفاع عن الوضع القائم[437].

كذلك جادل سنايدر في كتابه "أسطورة الإمبريالية"، بأن الفوضى تخلق حوافز للدولة لتحصيل قوة كافية، لضمان أمنها الإقليمي وبقائها، وأن توسع الإمبراطورية هي مسألة غير مبررة، لأن "الفوضى في حد ذاتها ليست كافية للتنبؤ باستراتيجية أمنية توسيعية. يجادل منظري الواقعية بأن الاستجابة الطبيعية للتهديد هي تشكيل تحالف متوازن. لذلك يجب على الدول توقع أن هذا التوسع سيقلل من أمنهم بقدر ما يهدد الدول الأخرى، ويثير تحالفاً معارضاً"[438].

---

[433] Sverrir Steinsson, "John Mearsheimer's Theory of Offensive Realism and the Rise of China", E-International Relations, published March 16, 2014, https://bit.ly/3p9LlVy.
[434] Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory", p.616.
[435] Jeffrey W. Taliaferro, "Security Seeking under Anarchy Defensive Realism Revisited", ***International Security***, Vol. 25 (Jan., 2001):159.
[436] Eric J. Labs, "Beyond Victory: Offensive realism", P.9.
[437] Walt, "The Progressive Power of Realism", p.932.
[438] John Mearshimer, "The Theory of International Politics", p. 17.

بحسب الدفاعيين؛ حتى تكون القوى العظمى أكثر أمناً داخل البيئة الفوضوية، عليها أن تتغاضى عن تعظيم قوته إنما يصبح هدفها الرئيس؛ هو الحفاظ على القوة، والحفاظ على توازن القوى القائم، أي الوضع الراهن. والسعي نحو الهيمنة هو أمر غير عقلاني. إنما حفاظ الدولة على ذاتها، وتمتعها بمقدار كافٍ من القوة؛ هو هدف عقلاني[439].

بينما مبدأ التوازن بين الدفاع والهجوم بحسب منظري الواقعية الدفاعية _الهجومية، هو الذي يحدد إذ ما كانت الدول ستتجه نحو مراكمة قوتها، أو ستكتفي بالقدر المطلوب، وذلك بالاستناد على مدى سهولة، أو صعوبة غزو الدول الأخرى. فعندما تكون الميزة للهجوم ستتجه الدول نحو التوسع، أما إذا كانت للدفاع، فتستبعد هذا الخيار. مع ذلك، يفترض أنصار هذا التوجه بأن توازن الدفاع–الهجوم عادةً ما يكون مرجحاً بشكل كبير لصالح الأولى، وعليه عندما تحاول أي دولة الحصول على أكبر قدر ممكن من القوة، من المرجح أن ينتهي بها المطاف نحو خوض سلسلة من الحروب الخاسرة. وعليه تدرك الدول بعدم جدوى الهجوم، لذا الفائدة الأكبر هو الحفاظ على موقعها في ميزان القوى القائم[440].

كما أكدوا على أن الحالات التي يحدث فيها غزو، فإن التكاليف تفوق الفوائد؛ بسبب عامل القومية لأنه في بعض الحالات يكون من المستحيل والصعب إخضاع المحتل. فالأيديولوجية القومية تلعب دوراً في مسألة تقرير المصير، ما يعطي ذلك حافزاً للثورة على المحتل. عدا عن صعوبة استغلال الاقتصادات الصناعية الحديثة، ويرجع ذلك أساساً إلى أن تكنولوجيا المعلومات تتطلب الانفتاح والحرية[441].

بنقيض ذلك، تنص واقعية ميرشايمر؛ بأن القوى العظمى تزيد من قوتها النسبية، وهذا ما يجعله قريباً لمورغنثاو الذي اشتهر بدافعه عن فكرة أن الدول تدخل في صراع مستمر من أجل القوة، إلا أن افتراض دافع الأمن والسببية الهيكلية يجعل ميرشايمر أقرب لوالتز. بالرغم من ذلك، رفض الهجوميون الحجج السابقة للدفاعيين بابتعادهم عن نظرية توازن القوى لوالتز. يعطي ميرشايمر اهتماماً أقل لفعالية الموازنة، بناءً على افتراضه بأن الدول لا يمكن أن تتأكد من مقدار القوة الكافي، لكي تكون بأمان في الوقت الراهن والمستقبل، نتيجة حالة عدم اليقين النابعة من غياب سلطة مركزية[442].

---

[439] دان، نظريات العلاقات، ص214.

[440] Mearsheimer, “Structural Realism”, p.81.

[441] Ibid.

[442] Snyder, “Mearsheimer's World-Offensive Realism”, p.151-152.

ويرى ميرشايمر بأن النظام الدولي لا يضم دولاً من نوع "قوى الوضع الراهن" "Status quo powers"، إلا فقط الدولة المهيمنة في الوقت الراهن، والتي تهدف للحفاظ على هذه المكانة، مقارنة بالمنافسين المحتملين. القوى العظمى تمتلك دائماً نوايا تعديلية* Revisionist intentions مستخدمة قوتها لتعديل توزان القوة؛ نظراً لرفضها لتوزيع القوة القائم، ما يدفعها نحو رغبة تغييره لصالحها[443]. لذا قد يعتقد البعض بأن حالة السلام تسود حين ترضى الدول الكبرى بالوضع الراهن عن توزيع القوة، إلا أن هذا نادر الحدوث. والمشكلة الحقيقة تكمن في صعوبة التنبؤ بالنوايا المستقبلية للدول، أو تقييم قدراتهم العسكرية والاقتصادية بشكل دقيق وصحيح، فقد تبدو دول مجاورة بأنها قوة وضع راهن إلا أنها في الحقيقة دولة تعديلية[444].

وعليه، يجادل إيريك لابس Eric Labs (1969) وميرشايمر بأن الدول ستستمر في حشد القوة لأنها لا تعلم أين ومتى سيظهر التهديد القادم. كما تبدي إحدى فرضيات ميرشايمر، بأن جميع الدول لديها قدرة هجومية لإيذاء بعضها البعض، فهي تعمل على تكديس أكبر قدر ممكن من القوة لتكون آمنة من أي هجوم[445]. غياب حكم نهائي في النظام، لا يترك للدولة سوى خيار افتراض الأسوأ، فيما يتعلق بنوايا الدول الأخرى، والتنافس معها على القوة، وهذا ما يُسميه ميرشايمر "مأساة سياسات القوى العظمى"[446].

زعم ميرشايمر بأنه من الصعب معرفة حجم القوة التي على الدول تحقيقها، مفترضاً "تصبح مسألة تحديد مقدار القوة الكافي أشد تعقيداً حين تفكر القوى العظمى في توزيع القوة فيما بينها بعد عشرة أو عشرين عاماً، حيث تختلف قدرات الدول الفردية مع الوقت، وبدرجات ملحوظة أحياناً، ويصعب الكثير التنبؤ باتجاه ومدى التغير في توازن القوة"[447]. ستسمر القوى العظمى في البحث عن فرصٍ لتغيير ميزان القوى لصالحها، أو على الأقل ضمان عدم تفوق قوة دولة أخرى على حسابها، وكل دولة في النظام تفهم هذه المعادلة، وبالتالي، من المقدر أن يكون النظام الدولي ساحة للمنافسة الأمنية بين القوى العظمى؛ طالما ظل النظام فوضوياً، حتى الدول الراضية عن الوضع القائم ستجبرها الفوضى على اتباع السلوك ذاته[448].

---

* "التعديلية أو النزعة التعديلية: نزوع لدى القوى العظمى، والدول عموماً نحو تغيير او تعديل توزان القوة لصالحها سلماً أو حرباً، لأن القوة النسبية للدولة في مقابل الدول الأخرى عي الضمانة الأولى لبقاء الدول. ولذلك تقف القوى التعديلية على طرف النقيض من قوى الوضع الراهن التي تسعى للحفاظ على توزان القوة الحالي، بالطبع لأنه في صالحها".

[443] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص3.

[444] المرجع السابق، ص 38-44.

[445] Steven E. Lobell, and others, Neoclassical Realism, The State, and Foreign Policy, p.4.

[446] Mearsheimer, "Structural Realism", p.80.

[447] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص 38-44.

[448] Mearsheimer, "Structural Realism", p.80.

إن حققت دولة ما ميزة عسكرية ستستمر في زيادة نصيبها من القوة بمختلف الوسائل الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية، لأن الدول العظمى لا تسعى أن تكون متساوية، بل أن تكون الأقوى بينهم ثم مهيمنة؛ لأنها أفضل طريقة لضمان البقاء[449]، وتتنافس فيما بينها لزيادة حصتها من "القوة العالمية" لتصبح أكثر أماناً في عالم تسوده الفوضى، لذا من المستحيل أن تقبل الدولة بامتلاك قوة "كافية" لضمان أمنها[450].

ومع ذلك لا يمكن لجميع الدول تعظيم قوتها النسبية في وقتٍ واحد. أما الدولة التي لا تراكم قوتها في ظل الفوضى؛ هي التي توهم نفسها بامتلاكها قدراً مناسباً من القوة، وتفوت الفرصة لتكون القوة المهيمنة الإقليمية في النظام[451]. مستخلصاً بأن الدول تحقق الهيمنة بأسلوبين: الأولى هي مباشرة من خلال اكتساب قوة نسبية، والثانية غير مباشرة بمنع الدول المعتدية الأخرى من تحقيق المكاسب[452].

بينما لا يفترض منظرو الواقعية الكلاسيكية الجديدة بأن الدول تسعى لتعظيم قوتها أو تعظيم أمنها _كما يفترض الكلاسيكيون والبنيويون_ بل يقدمون أطروحات بديلة، ومجادلاً روز بأن "الواقعيين الكلاسيكيين يعتقدون أن الدول تستجيب لشكوك الفوضى الدولية، من خلال السعي للسيطرة على بيئتها الخارجية وتشكيلها"[453].

4.3 الفوضى ومأزق المعضلة الأمنية

صاغ هيرز* مفهوم المعضلة الأمنية لأول مرة عام 1950، بعد نقاشه حول الطبيعة الفوضوية للسياسة الدولية. كتب "أينما وجد مثل هذا المجتمع الفوضوي _وكان موجوداً في معظم فترات التاريخ على مستوى ما_ فقد نشأ ما يمكن أن يسمى المعضلة الأمنية للرجال أو الجماعات أو قادتهم". نتيجة ذلك، سيشعر الأفراد أو الجماعات في هذا العالم بالقلق على أمنهم من التعرض للهجوم، أو الإبادة أو السيطرة عليهم من قبل الآخرين. لكي يحظى الافراد بالأمان من قبل الآخرين، عليهم اكتساب ما يمكن من القوة لحماية نفسهم من أي هجوم، إلا أن ذلك سيقود الآخرين بالشعور بأمانٍ أقل، وفي هذه الحالة عليهم توقع الأسوأ، ولأن إمكانية الشعور بأمانٍ تام

---

[449] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص-43-45.

[450] Layne, "China's Role in American Grand Strategy", p.58-59.

[451] جون ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، (الرياض: النشر العملي والمطابع-جامعة الملك سعود، 2012)، ص-43-45.

[452] Toft, "John Mearsheimer: an offensive realist", p.384.

[453] Rose, "Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy", p.152.

* أكتسب جون هيرز شهرة واسعة في مجال العلاقات الدولية، بعد صياغته مفهوم المعضلة الأمنية، والذي تم تصنيفه إلى جانب الواقعيين الكلاسيكيين في منتصف القرن العشرين.

شبه مستحيلة، فان الدول ستعيش حالة مستمرة من التنافس على القوة، وتبدأ معها دوامة مفرغة من الأمن، وتراكم القوة[454].

تواجه الدول التي تعيش حالة من الفوضى الدولية وانعدام الثقة، معضلة أمنية عميقة ومستمرة. ينطلق هذا المفهوم من فرضية أساسية مفادها بأن الدول تعيش في حلقة مستمرة من التنافس لتحقيق الأمن. ففي بيئة فوضوية تعتمد الدول على قدراتها الخاصة لتأمين نفسها من الآخرين، نتيجة غياب سلطة مركزية، قادرة على إنفاذ القوانين في المجتمع الدولي. فتلجأ الدول نحو خيار تعظيم قوتها لحماية نفسها من خلال مبدأ المساعدة الذاتية، هذا بدوره سيخلق شعور للآخرين بعدم الأمان نتيجة نمو قوة دول ما، وهذا قد يبدو لطرفٍ آخر على أنه تهديدٌ حتمي، وسيتم الشروع في اتخاذ خطوات عسكرية مضادة[455].

بناءً على الصورة القاتمة للسياسة الدولية، طرح جيرفس سؤالاً "لماذا لسنا جميعاً أمواتاً؟"[456]. إذاً لماذا لا تتجه الدول نحو خيار التعاون لتفادي النتائج غير المرغوبة؛ كالتوسع، وسباقات التسلح، والانخراط في السياسات التنافسية؟. يجادل كل من كيوهان وأكسلرود بأن معضلة السجين ونظرية اللعبة، تقدم تفسيراً حول تعرض العلاقات الدولية للخطر المتبدي في "السعي وراء الاهتمام بالذات، يمكن أن يكون كارثياً" واحتمال أن "كلا الجانبين يمكنهم الاستفادة من التعاون، إذا كان بإمكانهم تحقيقه فقط"[457].

تعتبر نظرية اللعبة _بحسب الواقعيين_ وثيقة الصلة لفهم العلاقات الدولية والمعضلة الأمنية، بسبب تركيزهم على ظروف الفوضى وتوزيع القوة بين الدول. تندرج معضلة السجين في إطار نظرية اللعبة، ولكن قبل التطرق للأولى لابد من توضيح مبدأ الثانية. تعتبر نظرية اللعبة نهجاً رياضياً لتحديد الاختيار العقلاني أو الاستراتيجية المثلى في موقف تنافسي. في هذه الحالة يسعى كل لاعب لتعظيم المكاسب، أو تقليل الخسائر، في ظل انعدام اليقين، وغياب المعلومات الكافية، ولكن في ظل شروط عقلانية؛ الأمر الذي يحتاج من كل طرف تقدير الاحتمالات، ومحاولة التنبؤ ما سيفعله الاعب الآخر[458].

---

[454] John H. Herz, "Idealist Internationalism and the Security Dilemma", ***World Politics,*** Vol. 2, No.2 (Jan.,1950): 157.

[455] غريفيش وأوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ص343.

[456] Ibid, p.170.

[457] Joseph M. Grieco, "Anarchy and the limits if cooperation: A Realist Critique of the newest liberal institutionalism**",** ***International Organization,*** Vol.42, (Jan. 1988): p.11.

[458] Mark V. Kauppi and Paul R. Viotti, **International Relations Theory, sixth edition**, (Lanham: Rowman & Littlefield: 2020), p.35-36.

وقياساً، فاللاعبون قد يكونوا أفراد أو مجموعات كالدول، لدى كل طرف قيمة محددة مرتبطة بالنتيجة المحتملة، ويجري تحديد القواعد التي تقوم عليها اللعبة، بهدف حساب الربح والاستراتيجيات الأمثل، التي هي بمثابة مجموعة خطوات ترشد اللاعب بالتحركات المطلوبة، ومصممة لتلائم التحركات المحتملة للأطراف الأخرى[459]. وقد تكون اللعبة الصفرية، هي التي يفوز بها طرف على حساب الآخر الذي يخسر. أما اللعبة غير الصفرية يكسب فيها الطرفان، ولكن ليس بالضرورة أن تكون المكاسب أو الخسائر متساوية[460].

تتمثل معضلة السجين بوجود سجينين متهمين بقضية، ولا توجد أدلة تثبت إدانتهما، لعدم اعترافهما بارتكاب الجريمة، ثم يفصلان في زنزانتين للتحقيق معهما منفردين. ويمنعان من التواصل. ويقدم لكل سجين ثلاثة خيارات: أولاً، عدم اعترافهما، يخرجهما من السجن. ثانياً، اعتراف الطرفين بالجريمة، يُسجنان لفترة متساوية وقصيرة. ثالثاً، اعتراف طرف أحدهما على صاحبه، مع إعطاء دليل عليه، فيُفك وثاقه، بينما يلبث الآخر فترة طويلة في السجن[461].

يبدو خيار الاعتراف هو الأنسب بالنسبة لهما، لأنه قد يسجن لفترة قصيرة، أو الأفضل يكافئ بالخروج من السجن. غياب التعاون بين الطرفين يجعل خيار اعتراف كليهما هو المنطقي. ولو كان يسمح لهما بالتعاون داخل السجن، سيذهبان نحو عدم تقديم أي اعتراف. هذا ما يمكن تطبيقه على مجال العلاقات الدولية، فيصبح التعاون صعبا بين الدول، في ظل غياب التواصل بينهم، وعدم وجود طريقة لتنفيذ المعاهدات والاتفاقيات[462].

قياساً على نظرية اللعبة ومعضلة السجين؛ يمكن تفسير المعضلة الأمنية. ويكمن جوهر الإجابة لماذا لا تتعاون الدول، لأن الدول غير متأكدة من دوافع خصومها، وتفتقر إلى الثقة في الآخرين. حالة عدم اليقين بشأن الدوافع يعني؛ أن الدول لا تثق في أنها ضمن نظرية اللعبة، حتى لو كانت كذلك. ما يجعل خيار المنافسة والتسلح هو الأنسب للدول[463].

إن الدول بحسب واقعية مورغنثاو بسبب الطبيعة البشرية تسعى باستمرار لمراكمة القوة؛ من أجل ضمان بقائها وأمنها. ولأن الدولة في نظره تسعى لزيادة قوتها، حتى تحافظ على أمنها وبقائها، هذا تلقائياً سيشكل تهديداً

---

459 غريفيش وأوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ص392.

460 Kauppi and Viotti, International Relations Theory, p.35-36.

461 غريفيش وأوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ص392-393.

462 المرجع السابق.

463 Glaser, "The Security Dilemma Revisited", p.184.

للدول الأخرى، ويدفعها للدخول في سباقات تسلح. لذلك، تدخل الدول في معضلة أمنية يصبح الخلاص منها أمراً مستحيلاً[464].

المعضلة الأمنية هي مأساة الفوضى بحسب الدفاعيين، لأن احتمال اللجوء للقوة لتسوية النزاعات يعني أن الدول لا تستطيع الهروب من المعضلة الأمنية. يتفق والتز مع هيرز؛ بأن البنية الفوضوية تقود الدول نحو خيار تعزيز أمنها، هذا السلوك يستفز الدول الأخرى، ويأخذها لزيادة قوتها، لشعورها بالتهديد[465]. المعضلة الأمنية تبرز كديناميكية تفسر حالة الخوف المتبادل بين الدول الساعية إلى الوضع الراهن؛ بحسب المنظور الدفاعي[466].

تنبثق الواقعية الجديدة من افتراضين أساسيين: مركزية الدولة، والفوضى، وتصبح السياسية الدولية تحدث في مجال المساعدة الذاتية، ويجب على الدول الاعتماد على مواردها للبقاء، سواء أكانوا راغبين في الأمان أو التوسع. نتيجة ذلك، يجادل البنيويون، عادة ما تهتم الدولة بالمزايا النسبية عوضاً عن اهتمامهم بالمكاسب المطلقة. فالمكاسب غير المتكافئة التي تعطي ميزة لطرف على حساب الآخر؛ تجعل التعاون الدولي صعب المنال. تقوم المقاربة الواقعية الجديدة على الأساس المتين بين الفوضى والأمن والمكاسب النسبية[467].

تتفق الواقعية الهجومية مع الدفاعية؛ بأن عدم اليقين هي سمة ثابتة في النظام الدولي، وهذا يضع قيوداً على الدول، ويؤثر على سلوكها بشكل حاسم، مسبباً الصراع. فالقوى العظمى لا تستطيع أن تتنبأ بنوايا الآخرين في الراهن أو المستقبل. وهذا ما يؤكده ميرشايمر معتبراً بأن التنبؤ بالنوايا مع يقين بنسبة 100 مئة هو أمر محال. فالفوضى في النظام الدولي تجبر الدول على تأمين أمنها معتمدة على نفسها، فتعمل على تعظيم قوتها النسبية كلما أمكنها ذلك. فصانعو القرار يقومون بمراقبة القوة الاجمالية للخصوم، ويعملون على تحديد قوتهم، في محاولة معرفة نواياهم ودوافعهم. ففي ظل وجود قوة هجومية عند كل الدول؛ هذا يؤدي إلى عدم استبعاد إمكانية التعرض للهجوم من أية دولة في أي وقت[468].

---

464 Ito, Realism, P4.

465 Dornan, "Realist and Constructivist Approaches to Anarchy".

466 Elman and Jensen, Realism Reader, p.177.

467 Randall L. Schweller, "Neorealism's status-quo bias: What security dilemma?", ***Security Studies,*** Vol. 5 (March, 1996): 101.

468 Evan Braden Montgomery, "Breaking Out of the Security Dilemma: Realism, Reassurance, and the Problem of Uncertainty", ***International Security,*** Vol. 31(Oct.2006): 155.

بالمحصلة؛ البحث عن الأمن يؤدي إلى فقدان الأمن، وهذا ما ينعكس بمفهوم المعضلة الأمنية؛ ما يعني تحسين دولة ما موقعها في ميزان القوى العالمي، لزاما، يكون على حساب الآخرين. ستبقى المعضلة الأمنية شديدة[469]. ومأساة سياسات القوى العظمى، هي أن الدول مجبرة على الانخراط في منافسة أمنية على الرغم من أن كل ما تريده هو البقاء. أفضل طريقة للخروج من هذه المعضلة هي القضاء على المنافسين، من خلال تحولها لقوة مهيمنة، أي أن "السعي وراء القوة لا يتوقف إلا عند تحقيق الهيمنة"[470].

رفض التيار الدفاعي الهجومي الادعاءات التي يعتنقها الهجوميون بالابتعاد عن التركيز الصارم على توزيع القوة، بالرغم من تشديدهم _من أمثال جيرفس_ على أن جوهر المعضلة الأمنية مرتبط بالسياق الفوضوي. فالتوازن بين الهجوم والدفاع يؤثر بشكل كبير على شدة انعدام الأمن التي تواجهها الدول[471]. هذا قاد جيرفس إلى تطوير اقتراحاته الخاصة بالمعضلة الأمنية: أولاً، الوسائل التي تحاول الدولة من خلالها زيادة أمنها، تؤدي إلى تقويض أمن الآخرين[472].

ثانياً، حجم وطبيعة المعضلة الأمنية يعتمدان على متغيرين: وجود توازن بين الدفاع والهجوم. والتمييز بين الأسلحة الدفاعية والأسلحة الهجومية، نظراً لوجود اختلاف في مهام كل من القوات الدفاعية والقوات الهجومية. الافتراض الأساسي مع ازدياد ميزة النزعة الهجومية على حساب الدفاعية تصبح كل من المعضلة الأمنية، وسباقات التسلح؛ أكثر حدةً، وتزداد معهم احتمالية الحرب[473]. قد تختلف المعضلة الأمنية بالرغم من أن الدول تقطن داخل نظام فوضوي، عبر المكان والزمان. نتيجة التمايز الكبير في جاذبية الوسائل التنافسية أو التعاونية، واحتمالية تحقيق مستوى عالٍ من الأمن، ونشوب الحرب[474].

استناداً إلى ذلك، عندما يحدث اختلاف بين الأسلحة الدفاعية الهجومية، لصالح النزعة الهجومية، يمسي الغزو أمراً سهلاً نسبياً، وتزيد احتمالية السلوك العدواني، بالتالي، زيادة حدة المعضلة الأمنية بين الدول. على النقيض، عندما تتفوق النزعة الدفاعية؛ يصبح التوسع والغزو أكثر صعوبةً، وتغدو الدول أكثر أماناً، ويمكن لقوى الوضع الراهن أن تتمتع بمستوى عالٍ من الأمن[475].

---

[469] Mearsheimer, “Structural Realism”, p.78.
[470] Layne, “China’s Role in American Grand Strategy”, p.57-58.
[471] Glaser and =Kaufmann, “What is the offense- Defense Balance”, p. 47.
[472] Charles L. Glaser, “The Security Dilemma Revisited”, ***World Politics,*** Vol. 50, issue 01, (Oct.1997): 171.
[473]Glaser and =Kaufmann, “What is the offense- Defense Balance”, p. 47.
[474] Glaser, “The Security Dilemma Revisited”, p.171.
[475] Robert Jervis, “Cooperation under the Security Dilemma”, ***World Politics,*** Vol. 30, No. 2 (Jan. 1978): 186-187.

تُحدد السياسات الأمنية للدولة من خلال مراقبة الدول لبعضها. فعندما يكون للهجوم ميزة، تعتقد الدول أن الآخرين هم أكثر عرضة للهجوم، حينما يتمتع الدفاع بميزة، تدرك الدول بأن احتمالية قيام الدول بهجوم تكون أقل. وعلية المعضلة الأمنية قد تتفاقم أو تُقلل حدتها. في ضوء غياب المعرفة بالدوافع الأساسية للدول؛ يلعب التوزان بين الهجوم والدفاع دوراً في عملية إدراك الدول لمنافسيها[476].

المعضلة الأمنية بحسب منظري الواقعية الدفاعية_ الهجومية أكثر شدةً، والنظام الدولي أقل استقراراً. عندما تعلو النزعة الهجومية بميزة عن النزعة الدفاعية؛ تكون الوسيلة الوحيدة للأمن هي التوسع، وبهذه الحالة على دول الوضع الراهن التصرف كالمعتدين. عكس السابق، عندما يكون الدفاع أكثر قوةً تجد قوى الوضع الراهن من الأسهل اعتماد سياسات أمنية متوافقة، دون تعريض الآخرين للخطر، بهذه الطريقة سيكون العدوان شبه مستحيل بين الدول الراضية، وحتى المعضلة الأمنية لن تقف عائقاً في تحقيق التعاون، بذلك يمكن التقليل من الآثار الضارة للفوضى الدولية إلى حدٍ كبير، وتبيت غير مهمة نسبياً[477].

يؤثر التوازن بين الدفاع والهجوم على المعضلة الأمنية بعدة طرق، أولاً، التأثير الأكبر يكون على سباقات التسلح. فإذا كانت الميزة للدفاع، إلى جانب وجود متطلبات أمنية مقبولة لدى قوى الوضع الراهن، فمن المرجح تجنب الدخول في سباق تسلح. قيام طرف بزيادة أسلحته، يجعل للطرف الآخر إعادة الأمن لمستواه السابق، من خلال إضافة قدر أكبر لقواته، وهكذا تصل الأطراف لتوازن مستقر[478].

ثانياً، عندما يتمتع الهجوم بميزة؛ يزيد من شدة المعضلة الأمنية، لأن ردة فعل الدولة على التوتر الدولي، سيزيد من فرص الحرب. وهذا ما يعززه وجود حوافز للهجوم، عادة في هذه الحالة يكون النصر سريعاً وحاسماً ومربحاً، مع إضعاف الجانب الآخر، إلى جانب ذلك يكون الغزو ممكناً وجذاباً، بالإضافة إلى وجود قدرات لدى الدولتين على شن الضربة الأولى، فهناك حوافز لشن حرب استباقية و"الخوف المتبادل من هجوم مفاجئ". لا سبيل للدولة لزيادة أمنها، دون تهديد، أو حتى مهاجمة الآخر[479].

الحجة الرئيسة تتمظهر في أن الفوضى تعيق الدول من التعاون بحسب الواقعيين. يعزز غياب سلطة مركزية حالتي الصراع والمنافسة بين الدول، ما يحجزهم ذلك عن التعاون، حتى لو كان بينهم مصالح مشتركة. تدافع

---

[476]Evan Braden Montgomery, "Breaking Out of the Security Dilemma: Realism, Reassurance, and the Problem of Uncertainty, ***International Security*** (Oct.2006): 156-157.

[477] Jervis, "Cooperation under the Security Dilemma", p.186-187.

[478] Ibid, p.188.

[479] Ibid.

هذه المدرسة بأن المؤسسات الدولية غير قادرة على تخفيف تأثيرات الفوضى المقيدة على التعاون بين الدول. استناداً لذلك، تجادل الواقعية بأن رفاهية الفرد ليست هدف الدولة الرئيس، إنما الأخيرة وجدت حتى تبقى، وهذا غرضها الأساسي[480].

بصدد دافع البقاء، تكون الدول حساسة للغاية لأي تآكل في قدرتها النسبية، التي تترجم بالمحصلة لأمنها واستقلالها، في سياق فوضوي يقوم على المساعدة الذاتية. فلا يرتبط هدف الدولة الأساسي بتحقيق أعلى مكاسب أو عائد فردي ممكن. عوضاً عن ذلك؛ هو منع الآخرين من زيادة قدراتهم النسبية على حسابهم. يُشار بأن الدولة قد تذهب لخيار عدم زيادة قدراتها المطلقة، في حال كان ذلك يصب في هدف منع الآخرين من تحقيق مكاسب أكبر نسبياً[481].

إمكانية تحقيق التعاون بين الدول في نظام فوضوي مستبعد بحسب الواقعيين، وينظرون في إمكانية الصراع، مبررين استمرارية التهديد بالعنف، بإضافة عنصر الخوف إلى جانب الفوضى. مع ذلك، تنقسم الواقعية الجديدة لرؤيتين فيما يتعلق بشأن المؤسسات الدولية والمنفعة المتبادلة؛ السياسة الدولية _بحسب الدفاعيين، وعلى رأسهم والتز_ هو المكان الذي يقطنه الخوف، أي؛ الدول تعيش في خوف دائم من نوايا بعضها في مجتمع فوضوي[482].

ويستمر مجادلاً، بأن الفوضى والحاجة للبقاء تدفع الدول بعيداً عن التعاون، والسعي نحو المصالح المتبادلة، فالدولة حساسة لكيفية تأثير التعاون على قدراتها النسبية في الوقت الراهن والمستقبلي، فتجبر الدول على التخلي عن التعاون، لأنه في أغلب الأحيان يكون ذلك مستحيلاً، وخاصة في المجال الأمني. بينما يذهب الهجوميون _يتقدمهم ميرشايمر_ لافتراض أبعد من ذلك، معتبرين التعاون مظنة الخطر على بقاء الدولة. يناقش ميرشايمر بأن الفوضى لا تترك مجالاً للثقة، لأن "الدولة قد تكون غير قادرة على التعافي إذا حصل خيانة ثقتها"[483].

جلاسر _أحد دعاة التيار الدفاعي_ قام بنقد الرؤية الهجومية، ولاسيمّا ميرشايمر، الذي جادل بأن تخوف الدول المتنافسة من نوايا بعضها، في ظل الفوضى الدولية، قد تدفع حتى دولتين ترغبان في تحقيق الأمن عن التعاون فيما بينهم. ومشككاً في قوة الروابط بين الفوضى وعدم اليقين والتعاون. فبحث دولتين عن الأمن لا يجب أن

---

480 Grieco, "Anarchy and the limits if cooperation", p.1-9.
481 Ibid, p.11.
482 Dornan, "Realist and Constructivist Approaches to Anarchy".
483 Taliaferro, "Security Seeking under Anarchy", p.138.

يشكل عائقاً في تحقيق التعاون بينهما، في حال اعترفت كلتاهما بأنهما تسعيان لتحقيق الأمن. أما فيما يتعلق بمسألة عدم اليقين من نوايا الدول الأخرى التي من الممكن أن تعقد الأمور، فهذا لا يشكل سبباً كافياً وحده للتنبؤ بهجوم[484]. وهذا فعلياً خروج صريح عن واقعية والتز.

وعليه، فالمعضلة الأمنية مستمرة وشديدة ما دام النظام الدولي يتسم بالفوضوية. فبحسب اعتقاد هيرز؛ البنية الفوضوية للنظام الدولي تدفع الدول نحو تعزيز أمنها، وينتج عنه شعور الدول الأخرى بالتهديد، وبأمانٍ أقل، بالتالي استفزازها لزيادة قوتها. يبدو من المستحيل الهروب من المعضلة الأمنية، أو التخفيف من حدتها، طالما تعمل الدول في نظام فوضوي.[485] هذا ما أكده أوي بأن المعضلة الأمنية الناتجة عن الفوضى لا يمكن التغلب عليها، طالما استمر غياب "حكومة عالمية"، ويجبر النظام الفوضوي الدول على الدخول في "منافسة أمنية متكررة"[486].

تتفق الواقعية الكلاسيكية مع النظريات الواقعية السابقة بأن المعضلة الأمنية تحدث نتيجة تنافس الدول على القوة وحالة انعدام الثقة واليقين بينهم في ظل نظام دولي فوضوي. إلا أن الواقعية الكلاسيكية حتى تفهم المعضلة الأمنية تدمج بين كل من المتغيرات المستقلة المتمثلة بالفوضى والمتغيرات الوسيطة، والتي هي متنوعة بحسب كل نموذج نظري قدم داخل الواقعية الكلاسيكية الجديدة.

4.4 استراتيجيات الدول في ظل الفوضى الدولية؛ ما بين التوسع والوضع الراهن

تعيش القوى العظمى في مأساة سعيها المستمر للقوة، فلا غرابة اصطدامها ببعضها نتيجة هذا الدافع. وقد عبر ميرشايمر عن ذلك بقوله: "وهذا الموقف المأساوي لا مناص منه، إلا إذا اتفقت الدول التي تؤلف النظام على تشكيل حكومة عالمية. لكن هذا التحول الضخم لا يزال بعيد المنال، ولذلك ستظل النزاعات والحروب حتماً السمات الكبرى والباقية للسياسة العالمية"[487]. إذاً في ظل صعوبة تشكيل سلطة مركزية، يقود هذا لسؤالين رئيسين: كيف يمكن التعامل مع الفوضى الدولية؟ وما هي الأداة الرئيسة التي قدمتها كل مقاربة داخل الواقعية

[484] Jervis, "Cooperation under the Security Dilemma", p.183.

[485] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص45.

[486] Sanjeewani, "Introduction to classical and neo realist", p.4.

[487] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص، ن.

للتعامل مع الفوضى داخل النظام الدولي لتحقيق استقراره؟ هذه الاسئلة تسلط الضوء على الاختلافات العميقة بين المدارس الواقعية، حول سلوك واستراتيجيات الدول في ظل الفوضى.

أجاب أغلب منظري الواقعية بأن التوازن في القوة؛ هو أنسب طريقة، والكافل الوحيد الذي يمكن من خلاله ضبط السلوك العدواني للدول، في ظل صعوبة إقامة حكومة دولية. فالتفاوت في القوة هو الذي يقودها لردع نواياهم الهجومية في ظل الفوضى[488]. لذا يعد توزان القوى أحد المفاهيم التي جرى دراسته مكثفاً في حقل العلاقات الدولية، لاعتقاد المفكرين والمنظرين لعقود طويلة، بأنه المدخل الرئيس لفهم الأنماط المتكررة لسلوك الدول، داخل النظام الفوضوي[489].

وفقاً لمورغنثاو، الدول التي يقودها أفراد لديهم غريزة ثابتة بالفطرة في السعي للقوة، فتراكمها الدول بنهم. وعليه، تستغل الدول كلما سنحت لها الفرصة القيام بالهجوم والغزو. للإيضاح، كل دولة داخل النظام تمتلك "روح عدوانية نحو الهيمنة"، أي أنها عدوانية بطبيعتها، منطقي إذن، اختفاء سياسة الوضع الراهن[490].

ويكمل، بأن كل عمل سياسي يهدف للحفاظ على القوة، أو زيادتها، أو إظهارها. وهذه الأنماط الثلاثة تتوافق مع ثلاث سياسات على المستوى الدولي: "الوضع الراهن، والإمبريالية، والهيبة". في حالة الوضع الراهن تميل الدول نحو الحفاظ على توزيع القوة القائم بدلاً من تغييره. أما في حالة الإمبريالية تسعى الدول إلى اكتساب المزيد من القوة من خلال عكس علاقات القوة القائمة. بينما في الحالة الأخيرة المتمثلة بسياسة الهيبة تتمثل بإظهار القوة، لغرض الحفاظ عليها أو زيادتها[491].

الدولة ذات السيادة عند مورغنثاو تسعى للحفاظ على ذاتها داخل نظام فوضوي، بهدف تحقيق مصالحها القومية. ولتحقيق الأهداف في ظل الفوضى ينبغي عليها إيلاء الاهتمام لاستراتيجية توزان القوى، حتى تعظيم قوتها العسكرية وإقامة التحالفات، هذا بدوره سيقود نحو تحقيق استقرار الدولة ذاتها، وإضافة لذلك، سيعمل التوازن كآليه لتحقيق استقرار المجتمع الدولي. لأن توزان القوى سيكون الأداة التي تعمل على ضبط سلوك الدول في البيئة الدولية[492]. هناك أنواع مختلفة من توازنات القوى التي أشار لها، مثل؛ "مبدأ فرق تسد، سياسة

---

488 الجرباوي وحبش، **"النظرية الواقعية"**، ص32.

489 مايكل شيهان، **توازن القوى التاريخ والنظرية**، أحمد مصطفى مترجم، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى 2015)، ص11.

490 ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص24-25.

491 القحطاني، **"النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"**، ص314-315.

492 حسين، الاتحاد الأوروبي والمنطقة العربية، ص134-135.

التعويضات، وسياسات التسليح ونظام الأحلاف. إذاً تقوم فكرته حول توزان القوى بأنها: "ظاهرة طبيعية في حياة الدول، فالسياسة الدولية ليست سوى صراع من أجل القوة، وتوزان القوة هو نتيجة حتمية للصراع"[493].

كما أشير سابقاً، تركز الواقعية الجديدة على بينة النظام الدولي لتفسير السلوك الدول الذي هو في أغلب الأحيان متعارض. لأن البنيوية تعطي تركيزاً للقوى العظمى للعبها دوراً حاسماً في توازن القوى في النظام، والتي تؤثر على آفاق السلام، وتحدد هيكل النظام الدولي، من جهة القطبية الأحادية، أو التعددية القطبية. وأي تحولات في القوة الناتجة يمكن أن تزيد أو تقلل من احتمال نشوب صراع دولي في هذه الحالة، تشير الواقعية البنيوية إلى أن الفوضى لا تزال "السبب الجائز للحرب"، ولكن يمكن التغلب على عناصر الفوضى من خلال هيكلة ميزان القوى، بطريقة تقلل من فرصة الصراع.

نظرية توازن القوى وفقاً للبنيوية تؤكد؛ في حالة الفوضى تمنح نفوراً قوياً من القوة غير المتوازنة. كونها تفترض بأن الدول الأضعف داخل النظام لا تملك أي ضمان بعدم قيام الدول الأقوى منها باستخدام قدراتها المتفوقة ضدها، فتسعى لإيجاد طرق للحد من حرية تصرف الأقوياء. عندما تشعر الدول الضعيفة بأن خطراً قريب الوقوع من قبل الدول القوية، فمن المحتمل أن تزيد الأولى من قوتها العسكرية، وتشكل تحالفات دفاعية، وتضع خططاً عسكرية مشتركة مع حلفائها، أو أن تذهب أبعد من ذلك، بدخولها الحرب في محاولة منهم لتغيير ميزان القوى لصالحهم[494].

هناك اختلافات جذرية داخل الواقعية الجديدة بين الدفاعية والهجومية، حول السلوك والاستراتيجيات الواجب تبنيها في الفوضى. ينطلق الدفاعيون من افتراضٍ أساسي؛ بأن النظام يوفر حوافز للتوسع فقط في ظروفٍ معينة، عند تعرضها للتهديد أو في حال شعورها بعدم الأمان، ونادراً ما يشجع الدول على التوسع من أجل زيادة أمنها؛ لأنه في حالة الفوضى؛ فأي وسيلة تستخدمها الدولة لزيادة أمنها تقلل من أمن الدول الأخرى. تنتهج الوحدات في أغلب الأحيان سياسات توسعية؛ لأن بعض القادة قد يعتقدون خطأً بأن التوسع والعدوان

---

[493] إبراهيم أبو خزام، **الحروب وتوزان القوى دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقاتها الجدلية بالحرب والسلام**، (عمان: الأهلية، 1999)، ص73

[494] Stephen M. Walt, “Keeping the World Off Balance: Self Restraint and U.S Foreign Policy”, Oct. 2000, p.6-7, https://bit.ly/3x5x7JA.

أفضل الطرق لجعل دولهم آمنة[495]. في الحقيقية طموح الدول نحو الهيمنة هي مسألة تهور بحسب والتز، من شأنه أن يرقى نحو التوسع المفرط، وهذا سيأتي بأسوأ النتائج[496].

والتز يدرك بأن الدول ستحاول اكتساب القوة على حساب المنافسين، إلا أنه يشدد على أن القوى العظمى لا ينبغي أن تسعى نحو الهيمنة، سواء إقليمياً، أو عالمياً. و"الدولة الذكية" بحسب تعبيره؛ هي التي لا تُفرط في طموحها نحو التوسع. وعليه يصبح التوازن الأداة والاستراتيجية الرئيسة التي تلجأ لها الدول عندما تتخذ دولة منافسة خطوات لزيادة حصتها من القوة العالمية. الدولة التي تشعر بالتهديد من الممكن أن تبني قدراتها الخاصة، إما من خلال الموازنة الداخلية، أو الموازنة الخارجية؛ أي؛ تشكيل تحالف مضاد، أكد أيضاً بأن موازين القوى تتشكل بشكل متكرر، أي أن الدولة المنافسة عليها التوقع بأنها ستكبح من قبل الدول المهددة، بالتوازن ضدها[497].

منطقياً في عالم والتز، الحرب ليست الاستراتيجية المناسبة لتحقيق القوة، وتلقائياً التوسع والهيمنة من الاستراتيجيات المحكومة عليها بالفشل. إذاً النظام الدولي الفوضوي لا يضعف السلوك العدواني وحسب، بل يدفع الدول نحو الحفاظ على مكانتها في ميزان القوى. يذهب شويلر لوصف نظرية والتز بأنها "تحيز للوضع الراهن"[498].

إن بنية النظام الدولي تدفع الدول نحو اتباع سلوكٍ منضبط واستراتيجيات معتدلة، باعتبارها أفضل استراتيجية للأمن والبقاء. والدول الأقوى في النظام عليها اتباع سياسات تعتمد على ضبط النفس. تقوم هذه المقاربة على منطق أساسي يتمثل في أن الدول لديها القليل من الاهتمام الجوهري بالهيمنة أو الغزو؛ لأن ذلك نادراً ما يكون مربحاً لأن التكاليف تفوق الفوائد. فالنظام الدولي الفوضوي لا يعطي الدول الكثير من الحوافز لاتباع سلوك عدواني، لكن تتوسع الدول فقط عندما تجبرها بيئتها على ذلك، أو في حال حدوث أي تغيير في القدرة النسبية، أو عندما تشعر بالتهديد لانعدام الأمن أو من قبل الدول ذات التوجهات العدوانية[499].

---

[495] Taliaferro, "Security Seeking under Anarchy", p.128-129.
[496] Mearsheimer, "Structural Realism", p.80-81.
[497]John J. Mearsheimer, "Reckless States and Realism", p.242-244.
[498]Ibid.
[499] Steven E. Lobell, "Threat assessment, the state, and foreign policy: a neoclassical realist model**", in *Neoclassical Realism, The State, and Foreign Policy*,** (New York: Cambridge University Press, 2009):47.

بناءً على افتراض والتز بأن الدول لا تتصرف بعقلانية دائماً، فالقوى العظمى تاريخياً قد اتبعت استراتيجيات قائمة على التوسع، متجاهلة المعلومات. كاتباً بهذا الصدد: "تاريخيًا"، "لقد تصرفت القوى المهيمنة بشكل سيئ". وبالتالي، فإنها "تعيش حياة مضطربة". وعندما تتصرف الدول بطريقة غير استراتيجية في أغلب الأحيان تدفع ثمناً باهظاً جراء ذلك؛ لأن النظام الدولي نفسه يميل إلى التصرف بطرق يمكن التنبؤ بها ولديه طريقة لمعاقبة السلوك الأحمق[500].

الواقعية الدفاعية تعرضت لانتقاداتٍ داخلية من قبل زملائهم الهجوميين باعتبارها عاجزةً عن تفسير سبب توسع الدول، لافتراضها بعدم وجود حوافز هيكلية تشجع الدول لاتباع السلوك العدواني، وأنهم بالغوا في افتراضهم بأن النظام الدولي يفرض على الدول الكبرى اتباع سياسة ضبط النفس. جوهر الواقعية الهجومية هو أن أفضل دفاع هو الهجوم، فمن خلال السياسات الخارجية التوسعية يمكن للقوى العظمى ضمان بقائها، حتى الدول التي ترغب في أن تكون آمنة، ويجبرها النظام الدولي على التصرف بقوة. وعليه قدم لابس نقداً لاذعاً للدفاعيين، معتبرا التيار الهجومي لديه قدرة تفسيرية أفضل لسلوك الدول عن الدفاعية، كاتباً:

> أتحدى هذا التفسير لما تعنيه الفوضى والحوافز التي يخلقها النظام الدولي لسلوك الدولة. أنا أزعم أن الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي تقود الدول إلى محاولة تحقيق أقصى قدر من الأمن وأن أفضل طريقة لتحقيق أقصى قدر من الأمن هي تحقيق أقصى قدر من القوة النسبية. على وجه التحديد، ستستغل الدول الفرص لتوسيع قوتها، بغض النظر عن الوضع الراهن أو إذا كانت تواجه تهديداً معيناً[501].

هذا اتفاق صريح مع حجج ميرشايمر الذي أكد بأن "الصراع شائع بين الدول لأن النظام الدولي يخلق حوافز قوية للعدوان والسبب الجذري للمشكلة هو الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي"[502]. فالدولة حين تتعرض لتهديد معين تلقائياً ستتجه نحو زيادة قوتها النسبية أما من خلال التوسع أو سباق التسلح، ومع ذلك لدى الدولة هدفٍ مستمر لزيادة قوتها ونفوذها لو لم تكن في حالة تهديد، لأن الدولة لا تعلم متى أو أين سيظهر الخطر التالي[503].

---

[500] Mearsheimer, “Reckless States and Realism”, p.244-245.
[501] Labs, “Beyond Victory: Offensive realism”, P.11.
[502] Mearsheimer, “Back to the Future”, p.12.
[503] Labs, “Beyond Victory: Offensive realism”, P.11.

الهجوميون يفترضون بأن بنية النظام تدفع الدول نحو التوسع، فالفوضى بنظرهم هي "بيئة هوبزية لا يمكن أن يحيا فيها إلا الدولة الأقوى"، أي أن الدول تعظم حصتها من القوة العالمية من أجل جعل نفسها أكثر أماناً[504]. نتيجة ذلك، تصبح القوى العظمى "مهيأة للهجوم" بتبنيها استراتيجيات خاصة بالهجوم كالابتزاز والموازنة والحرب تحديداً، والدول تتجه نحو هذا الخيار، كونها تمتلك القدرة الأكبر من الموارد، وهذه استجابة عقلانية للفوضى[505].

بخلاف والتز يؤمن منظروّ الواقعية الهجومية بأن الدولة عقلانية؛ بمعنى أنها تدرك بيئتها الخارجية، وتفكر بذكاء في احتمالات تعظيم بقائها. من خلال دراستها لتأثير سلوكها على تصرفات الآخرين، وكيف يمكن أن تتأثر استراتيجيتها الخاصة جراء سلوك الدول الأخرى. لذا عندما تحدد الدول الاستراتيجية الأنسب أخذةً بعين الاعتبار تقييم احتمالية النجاح والتكاليف والفوائد لكل منها. إضافةً لذلك، تولي الدول اهتماماً للعواقب طويلة المدى، وليس فقط العواقب المباشرة على أفعالها[506]. لذا تتعامل الدولة بطريقة عقلانية مع الفوضى، فلا تتوسع دون حساب التكاليف والفوائد، وتتعلم متى وأين يجب أن تقوم بذلك، فإذا فاقت التكاليف المتوقعة المكاسب المحتملة من غير المرجح أن تحاول الدولة التوسع، ولكن عندما تتاح الفرصة للدولة لتزيد من قوتها بتكلفة أقل، وبسهولة حسما ستقوم باستغلالها[507].

السياسات التوسعية لا تتبعها سوى الدول القوية؛ لأن مخاطرها وتكاليفها عالية والقيود هائلة[508]. لنستشهد بلابس "من المرجح أن تسعى الدول الأقوى إلى التوسع أكثر من الدول الضعيفة لأنها مع تساوي جميع الأنظمة الأخرى، تكون أكثر قدرة على القيام بذلك"[509]، أي أن الدول الضعيفة من المستبعد اتخاذها استراتيجية توسعية في عالم تسوده الدول القوية، على الرغم من أنهم الأضعف، وبحسب افتراض الهجومين، هم من يحتاجون للتوسع لضمان بقائهم أكثر من القوى العظمى[510]. يظهرُ الإجماع بين الهجوميون؛ بأن الدول عقلانية ولا تتوسع بدون حسابات منطقية، تحسباً للخطر الحقيقي الذي قد يهدد بقاءها داخل بيئة فوضوية.

اتفق ميرشايمر مع والتز بأن الدول تعمل في نظام "المساعدة الذاتية"، لأن كل دولة تميل لرؤية نفسها على أنها ضعيفة ووحيدة، وعليها التصرف بشكل أناني، وألا تعتمد على غيرها لتحقيق أمنها. رغم من أن الساحة

---

[504] Taliaferro, “Security Seeking under Anarchy”, p.128.
[505] Adams, “Attack and Conquer?”, p. 63.
[506]. Mearsheimer, “Reckless States and Realism”, p.244.
[507] Labs, “Beyond Victory: Offensive realism”, P. 13.
[508] Taliaferro, “Security Seeking under Anarchy”, p.152-159.
[509] Labs, “Beyond Victory: Offensive realism”, P. 12-13.
[510] Ibid.

الدولية هي أساساً نظام للمساعدة الذاتية، لكن هذا لا يمنع الدول من تشكيل التحالفات الدولية. هذه التحالفات بنظر ميرشايمر "عبارة عن زيجات مصالح مؤقتة، فقد يتحول حليف اليوم إلى عدو الغد، وعدو اليوم إلى حليف الغد"[511]. فعلى الدول أن تتصرف بما يتناسب مصالحها الخاصة، لأن الدول ليست على استعدادٍ لإخضاع مصالحها للمجتمع الدولي، لذا يصبح الهدف النهائي للدولة؛ هو أن تصبح أقوى قوة في النظام الدولي، أي قوة مهيمنة*، وبهذه الطريقة ستشعر الدولة بالأمان عندما تهيمن على النظام[512].

أفضل حال تكون فيه القوى العظمى بأمان بحسب ميرشايمر، هي من خلال القضاء على منافسيها، والهيمنة على النظام بأكمله. فاعتقد بأن الوصول إلى الهيمنة العالمية هي أفضل الطرق كي تكون الدولة بسلامة مطلقة، إلا أنه كان على دراية بصعوبة تحقيق ذلك، عندما قدم الشرط القائل بأن الهيمنة العالمية مستحيلة، كونها تتطلب تحقيق احتكار نووي صعب المنال، وإبراز قوة هائلة عبر محيطات العالم، وهنا يستند ميرشايمر على عامل الجغرافيا والتي أسماها "قوة إيقاف المياه"، مؤكداً "لم تكن هناك مطلقاً قوة مهيمنة عالمية، وليس من المحتمل أن تكون هناك قوة في أي وقت قريب"[513].

فأفضل ما يمكن أن تحققه أي قوة عظمى هي أن تصبح قوة مهيمنة إقليمية*، وتصبح الأخيرة الهدف الاستراتيجي للدولة[514]. في هذه الحالة تهمين القوى العظمى بشكل منفرد على المنطقة التي تتواجد فيها، ومن الممكن أن تتحكم في بعض المناطق المجاورة لها. ستصبح القوة الإقليمية قوة هائلة، وستكون أساساً قوة الوضع الراهن، وستعمل كموازن خارجي في بقية العالم، بمنعها القوى الأخرى أن تصبح نداً لها في المناطق الأخرى، أو أن تكرر إنجازها، وستبقى كذلك ما لم يتعرض موقعها للتهديد من قبل قوة مهيمنة محتملة طموحة[515]. الجدير بالذكر، بأن ظهور منافس للقوة المهيمنة الإقليمية، تتوقف الأخيرة بأن تكون قوة وضع راهن وتذهب نحو

---

[511] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص-41-43.

*الدولة المهيمنة: "دولة بلغت من القوة ما يمكنها من السيطرة على كل الدول الأخرى في النظام. ولا تمتلك دولة أخرى الموارد العسكرية اللازمة لخوض حرب كبرى ضدها. والدولة المهيمنة تكون فعلياً القوى العظمى الوحيدة في النظام".

[512] المرجع السابق.

[513] المرجع السابق، ص 45-53.

* الولايات المتحدة الأمريكية هي القوى الوحيدة التي تمكنت من تحقيق هيمنة إقليمية في التاريخ الحديث عندما أصبحت القوى العظمة الوحيدة في نصف الكرة الغربي في عام 1900، وفقاً لميرشايمر.

[514] Toft, "John Mearsheimer: an offensive realist", 384.

[515] Elman, "Realism", p.19.

إضعاف منافسها وتدميره[516]، لذا تفضل الهيمنة الإقليمية وجود قوتين عظميين على الأقل في المناطق الإقليمية الأخرى، من أجل التحقق من قوة كل منهما[517].

رغم تأكيد ميرشايمر على ضرورة وجود قوة مهيمنة إقليمية، إلا أنه عالج مسألة التوازن ولم يهمله، فالدول التي تسعى لتحقيق الهيمنة عليها أن تواجه التوازن من قبل منافسيها، ففي بعض الأحيان قد تنجح الموازنة وتفشل الهيمنة[518]. يُستخلص؛ يمكن ضبط السلوك العدواني في عالم ميرشايمر كما يعتقد والتز؛ لوجود دوافع للمزيد من الهيمنة بحسب الأول، وهي أفضل طريقة لبقاء القوى العظمى[519].

يناقش التيار الدفاعي الهجومي بأن للدول خيارين استراتيجين فقط في السياسة الدولية لتحقيق أقصى قدر من الأمن: أولاً: استراتيجية دفاعية، وتحاول الدول من خلالها الدفاع عن الأراضي والموارد التي تسيطر عليها، ومنع أي محاولات لغزوها أو تدميرها، بالوقت ذاته لا تسعى الدولة نحو التوسع أو غزو أراضي الدول المنافسة. ثانياً: استراتيجية هجومية، تبني الدولة استراتيجيتها على أساس التوسع والغزو العسكري لتعزيز مواردها وقدراتها العسكرية، لإحراز موقف دفاعي أكثر صرامةً، أو لغزو أو ترهيب الدول الأخرى التي تهددها[520].

يشير جيرفس عندما تكون هناك ميزة لصالح النزعة الهجومية في التكنولوجيا العسكرية والاستراتيجيات، تصبح الطريقة الوحيدة لتحقيق الأمن هي من خلال التوسع. أي أنه "يجب أن تتصرف قوى الوضع الراهن مثل المعتدين؛ حقيقة أنهم سيوافقون بكل سرور على التخلي عن فرصة التوسع مقابل ضمانات لأمنهم. ليس له أي آثار على سلوكهم". حينما يكون التوازن لصالح النزعة الدفاعية، تستطيع دول الوضع الراهن أن تحظى بأمان أكثر، دون تعريض الدول الأخرى للخطر. هذا ما يجعل الفوضى غير مهمة نسبياً. على الرغم من افتقار النظام لسلطة مشتركة، إلا أنه لم يعد بجبر الدول على تكريس اهتمامها بالبقاء. إذا لم تكن القوة قابلة للاستخدام، فستكون هناك قيود أقل على استخدام الأدوات غير العسكرية، إلا أنها نادراً ما تكون قوية بما يكفي، لتهديد المصالح الحيوية لدولة كبرى[521].

---

[516] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص 53.

[517] Toft, "John Mearsheimer: an offensive realist", 384.

[518] Elman and Jensen, Realism Reader, p.177.

[519] Steinsson, "John Mearsheimer's Theory of Offensive Realism".

[520] Lynn-Jones, "Offense-Defense Theory and Its Critics", P.665-665.

[521] Jervis, "Cooperation under the Security Dilemma", p.187-188.

تدمج الواقعية الكلاسيكية الجديدة بين المتغيرات النظامية والمتغيرات على مستوى الدولة، لشرح أنواع الاستراتيجيات الموازنة التي من المحتمل أن تتبعها الدول لمواجهة أي تهديد خارجي. وأشار تالفيرو عندما صمم نموذجه؛ بأن التفاعل بين المتغير المستقل والمتغير الوسيط؛ يؤثر على المتغير التابع، والأخير هو بمثابة نوع الاستراتيجية التي ستتبناها الدول من أجل البقاء. وللدول ثلاثة خيارات استراتيجية" أولاً: "الاستمرار في الاستراتيجيات السياسية والعسكرية القائمة والممارسات التكنولوجية". ثانياً: الانخراط في المحاكاة. ثالثاً: الانخراط في الابتكار.

الاستراتيجية الأولى، يدرك كبار المسؤولين أو يتوقعون وجود بيئة استراتيجية مهددة بشكل متزايد، ولكنهم يدركون أن استمرار أو ربما تصعيد السياسات الدبلوماسية والعسكرية الحالية أو الممارسات التكنولوجية من المرجح أن يخفف من هذا التهديد. ومع ذلك، فإن الاستراتيجيتين الأخيرتين تستلزمان التخلي عن المؤسسات أو التقنيات أو الممارسات الحاكمة القائمة لصالح أخرى جديدة[522].

استراتيجية المحاكاة؛ وهي التقليد الواعي الهادف من قبل دولة لدولة أخرى بشكل كلي أو جزئي، وتقوم بذلك طواعية واستجابةً لبيئتها. وتسعى من خلالها لتنظيم المؤسسات السياسية والعسكرية، بدلاً من القيام بتعديلات أو إصلاحات طفيفة. بعكس ذلك، تقوم الاستراتيجية الثالثة المتمثلة بالابتكار بجهد واع وهادف من قبل دولة للتفوق على قوة دولة، من خلال إنشاء مؤسسات أو تقنيات أو ممارسات حاكمة جديدة[523].الجدير بالذكر، أن الاستراتيجيات الثلاثة السابقة تتطلب استخراج وتعبئة الموارد داخل المجتمع. كما يحتم عليها إنشاء مؤسسات أو هياكل اجتماعية جديدة تحل محل القديمة. وتعد استراتيجية الابتكار الأكثر تكلفةً، وتأخذ وقتاً أطول من بقية الاستراتيجيات[524].

ناقش كريستينسين في نموذجه النظري داخل الواقعية الكلاسيكية الجديدة، بأن مصلحة الدولة تؤثر بشكل كبير في سلوك الدول في النظام الدولي، موضحاً كيف يلعب العامل الداخلي دوراً في تحديد السياسات المنتهجة من قبل الدولة. مؤكداً بأنه عندما تواجه الدول تهديدٌ سيؤثر على أمنها وبقائها، وعلى النخبة الحاكمة أو الحكومة أن تقوم بتعبئة المصادر الداخلية لمواجهة هذه التهديد، ويمكن أن تقوم بالتحالف مع الدول الأخرى، لو كان هناك تباين فيما بنيهم في الأيدولوجيات.

---

[522] Taliaferro, “Neoclassical realism and resource”, p. 200.
[523] Ibid.
[524] Ibid.

عدم اتخاذ النخبة أي تصرف لمواجهة التهديد، يعزوه المحللون تلك لوجود خلل على المستوى الداخلي الذي قد يكون في الأيدولوجيا المتبناة في الدول، أو في صانع القرار نفسه، الذي يبدي مصلحته الشخصية على المصلحة الوطنية. كما جادل كريستينسين، هناك بعد الحالات التي اتبعها الحكام في سياساتهم الخارجية وصفت من قبل محللي العلاقات الدولية بـ "المتهورة أو الغريبة"، مع أن هذه السياسيات التي قد تبدو هوجاء أو طائشة، إلا أن صانع القرار يلجأ إليها، وبطريقة عقلانية للحصول على تأييد المواطنين، في سبيل تحقيق الأمن القومي[525].

يربط كريستينسين بين المتغيرات النظامية والمتغيرات الداخلية، لتفسير السياسة الخارجية للدولة. وناقش بهذا الصدد؛ عندما يطرأ أي تغير على الصعيد الدولي يؤثر بشكل مباشر على الدولة، ويجبرها على إحداث تغير في سياساتها الخارجية، وتبني سياسة جديدة حتى لو كانت تكاليفها عالية، بالتالي، ستواجه النخبة صعوبة في تنفيذها لأسباب واعتبارات داخلية. في هذه الحالة حتى تنفذ السياسة الخارجية قد يضطر صناع القرار لعدة طريق لتنفيذها، إما اللجوء لسياسات خارجية عدوانية، أو تبني إيديولوجيا غير مفضلة لهم، إلا أنها تحقق لهم تأمين الدعم الشعبي الكافي لتغيير السياسة الخارجية للدولة[526].

بإيجاز، يشترك جميع الواقعيين الذين يصفون أنفسهم في الاقتناع بأن الفوضى هي حالة مستمرة لا يمكن تجاوزها. لذا يعتبر ميزان القوى أداة التحليل الرئيسة لدى الواقعيين، معتبرينه الضامن لاستقرار الأنظمة الدولية. على الرغم من اختلاف التقليدين والجدد حول الشكل الأمثل للنظام الدولي، يرى كل من كينيث والتز وميرشايمر بالأنظمة ثنائية القطبية أكثر استقراراً، مقابل الأنظمة متعددة الأقطاب التي يؤيدها مورغنثاو وكيسنجر[527]. أما تفرد دولة عظمى على النظام؛ يهدد استقرار النظام الدولي بحسب الواقعيين فوصف "منذ أيام ثيوسيديدس، فالنظرية الواقعية لا تؤمن بإمكانية "تقعيد" النظام الدولي على "رِجلٍ" واحدة، بل لحاجته إلى "أرجل" عدّة (اثنين أو أكثر) ليتحقق له الارتكاز"[528].

---

[525] القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية"، 393-340.

[526] المرجع السابق.

[527] Walt, "The Progressive Power of Realism", p. 932-933.

[528] الجرباوي وحبش، "النظرية الواقعية"، ص32.

4.5 الفوضى والحرب*

كانت القضية المركزية للسياسة الدولية منذ ثيوسيديدس؛ هي أسباب الحرب والسلام في النظام الدولي. النظرية واقعية تسعى لتفسير سبب اندلاع الحروب بين الدول الكبرى داخل النظام الدولي، وهذا ما يقود للتساؤل؛ لماذا تحدث الحروب؟، وهل الفوضى هي السبب الأساسي لاندلاعها؟، وهل يؤدي سلوك الدول لتحصيل القوة في نظام المساعدة الذاتية، في ظل الفوضى لاندلاع الحروب؟

تؤمن الواقعية الكلاسيكية والجديدة بأن الحرب مرتبطة بفوضوية النظام الدولي، مع ذلك هناك خلاف داخلي بينهم، حول الكيفية التي تودي بها الفوضى لاندلاع الحرب[529]. وفقاً للكلاسيكيين، تحدث الحرب لأن هناك رغبة متجذرة في الطبيعة البشرية للحصول على المزيد من القوة، وليس بسبب النظام الفوضوي، فتدخل الدول بصراعٍ مستمر من أجل زيادة قوتها وقدراتها. قد تندلع الحروب بسبب القادة العدوانيين؛ فهم من يصنعون السياسة الخارجية للدول، وهم في أغلب الأحيان سيئون، أو بسبب الأنظمة السياسية المحلية التي تسمح للجماعات الضيقة باتباع سياسة خارجية توسعية بما يخدم مصالحها الخاصة، فتصبح السياسية الدولية ساحة للصراع تسعى كل دولة لزيادة قوتها، وعليه يصف الكلاسيكيون السياسة الدولية بالشر؛ "تحدث الأشياء السيئة لأن الأشخاص الذين يصنعون السياسة الخارجية سيئون أحياناً"[530].

ترجع الواقعية الجديدة أسباب الحرب للفوضى، مؤكدةً بأن الحرب تقع عند البحث على الأمن في ظل غياب سلطة مركزية[531]. لذا لا تفسر سبب خوض حروب معينة، إلا أنها "تفسر تكرار الحرب الكئيبة عبر آلاف السنين"[532]. الفوضى تعد سبباً كافياً لتفسير سبب اندلاع الحروب بين الدول[533]. لا يعني بحسب الواقعين الجدد بأن الحرب تحدث باستمرار، ولكن عندما تقرر دولة ما في حال ستلجأ لاستخدام قوتها أم لا، لذا قد تندلع الحرب في أي وقت[534].

---

* الحرب: تعني "استخدام القوات المسلحة في نزاع ما، وبخاصة بين البلدان".

[529] Dornan, “Realist and Constructivist Approaches to Anarchy”.

[530] Elman, “Realism”, p.12.

[531] Dornan, “Realist and Constructivist Approaches to Anarchy”.

[532]. Waltz, "The Origins of War in Neorealist Theory," p. 619-620.

[533] Ibid, p. 618.

[534] Waltz, Theory of International Politics, p.102.

صحيح أن الدول ليست في حالة حرب دائمة، إلا أن الفوضى تعني أن الدول يجب أن تخشى من بعضها البعض باستمرار. لأن أي خطأ في تقييم نوايا الأخرين سيأتي بنتائج كارثية، لأن صديق اليوم قد يكون عدو الغد[535]. يتضح من ذلك، بأن البنيويين يفسرون مسألتي الحرب والصراع في البنية الفوضوية بإضافة مفهوم الخوف. فالدول هي الجهات الوحيدة في السياسة الدولية، ولا يوجد فوقها سلطة مركزية لضبطها وتنظيمها[536].

أدراك والتز بأن الدول تسعى لاكتساب القوة على حساب منافسيها، إلا أنه لم يذكر في أي عمل من أعماله بأن الحرب هي أذكى طريقة لتحقيق ذلك، وبيّن أن: "القوة أكثر فائدة من أي وقت مضى لدعم الوضع الراهن، وإن لم يكن لتغييره"[537]. استراتيجية الحرب لتحقق الدولة أهدافها بالوصول للقوة أمر غير مستحب، لوجود قيودٍ حقيقة على المنافسة الأمنية في عالم والتز، ولهذا السبب يصنف بالواقعي الدفاعي[538].

إضافة إلى ذلك ناقش والتز، بأن مبدأ المساعدة الذاتية الذي تعتمد عليه الدول؛ يجبرها على التوازن ضد بعضها البعض، وتجنب الحرب عندما يكون ذلك ممكناً، وسبب ذلك يعود لتكاليفها المرتفعة. وعليه تصبح الاستراتيجية الدفاعية والمكاسب النسبية التي يؤمنها ميزان القوى؛ هي التي تضمن استقرار النظام الدولي[539]. قصارى القول، "الدول متوازنة القوة لا يحارب بعضها البعض"[540].

يزعم والتز بأن المنافسة بين القوى العظمى في القطبية الثنائية تكون أكثر حذراً، مؤكداً "بأن وضع الدول في النظام الدولي يفسر قدراً كبيراً من سلوكها"، مضيفاً "بأن الخلط بين السلام والاستقرار أمر شائع للغاية"، ففي أحايين كثيرة تحدث الحروب الكبرى في الأنظمة غير المستقرة، رغم ذلك، الأنظمة التي نجت من تلك الحروب هي التي يظهر فيها الاستقرار، فمن وجهة نظر والتز القطبية التعددية التي شهدها العالم كانت مستقرة جداً، إلا أنها أكثر عرضة للحرب، في حين عندما تحول العالم للقطبية الثنائية مسالماً أكثر، إلا أنه أقل استقراراً من سابقه[541].

---

[535] Schweller, “Neorealism's status-quo bias”, p. 101.

[536] Sanjeewani, “Introduction to classical and neo realist”, p.4.

[537] Mearsheimer, “Reckless States and Realism”, p.242.

[538] Mearsheimer, “Structural Realism”, p.82.

[539] Prichard, “Anarchy, Anarchism, and International Relations”, p. 100.

[540] الجرباوي وحبش، **"**النظرية الواقعية**"**، ص32.

[541] Kenneth N. Waltz, “The Emerging Structure of International Politics”, ***International Security,*** Vol. 18, no.2 (Autumn, 1993): 45.

يعتبر ميرشايمر عامل الخوف له تأثير حاسم على شدة المنافسة الأمنية بين القوى العظمى، واحتمالية اندلاع الحروب. هناك علاقة طردية بين الخوف والحرب، فكلما زاد الخوف احتدت معه المنافسة الأمنية، وتزداد احتمالية حدوث الحرب. كذلك تنافس الدول على القوة يجعل العالم مكاناً خطِراً، لأنه يجبرهم للذهاب للحرب والصراع[542]. تخشى القوى العظمى من بعضها البعض، وكل واحدة عدو محتمل للأخرى، "وكلما تعمق الخوف، زادت حدة التنافس الأمني ورُجحت كفة الحرب"[543].

لذا يتوقعون الخطر، وهناك ثقة ضئيلة بينهم، رغم اختلاف مستوى الخوف عبر الزمان والمكان، ولكن لا يمكن الاستهانة به، فالخوف قوة مؤثرة في السياسة الدولية، أساسه هذا عند ميرشايمر؛ امتلاك كل قوة عظمى القدرة على مهاجمة غيرها من الدول، وتزداد احتمالية الخوف في حال رافق ذلك دافع لاستخدام تلك القدرة والقيام بضربة هجومية، يضاف لذلك غياب سلطة عليا أو كما يطلق عليها رقم النجدة الدولية 911 تلجأ لها الدولة المهددة عند تعرضها لهجوم يعطيها حافز أكبر للخوف، علاوةً على ذلك، غياب أي آلية لردع المعتدين، يُعطي مبرراً كافياً للدول لعدم الوثوق ببعضها والاستعداد للحرب[544].

حالة الخوف التي تعيشها الدول في عالم يسوده الشك وصعوبة التنبؤ بنوايا الآخرين، تدفع الدول نحو هدف أساسي وهو ضمان بقائها. لأن الدول الأخرى تشكل تهديداً محتملاً ولا يوجد سلطة عليها يمكن انقاذها عندما ينشأ الخطر، بالتالي يرتفع مستوى الخوف بينهم. مؤكداً ميرشايمر بأن "الفوضى وصعوبة معرفة نوايا الدول حقائق ثابتة في الحياة"[545]. سرعان ما تدرك الدول بأن أفضل طريقة للبقاء هي الاعتماد على ذاتها لتحقيق أمنها، بتعظيم قوتها النسبية وهذه أفضل استراتيجية لضمان بقائها[546].

كما يتفق ميرشايمر مع والتز، بأن بنية وشكل النظام الدولي تحفز الحروب. صنف ميرشايمر أنواع الأنظمة بناء على توزيع القوة: ثنائية القطب، ومتعددة القطبية متوازنة، ومتعددة قطبية غير متوازنة. متفقاً مع والتز بأن نظام ثنائي القطبية أكثر استقراراً والأقرب للسلام، بعكس القطبية المتعددة غير المتوازنة التي قد تكون للحرب أقرب، بينما الأخيرة الأنظمة المتعددة غير متوازنة تأتي كحل وسط بين الأنظمة السابقة[547].

---

[542] Mearsheimer, “Structural Realism”, p.77.

[543] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص-40-41.

[544] المرجع السابق.

[545] المرجع السابق، ص-41-43.

[546] المرجع السابق.

[547] لمرجع السابق، ص419-420.

تقل احتمالية الحروب بين القوى العظمى في حالة القطبية الثنائية، فلا يحتوي النظام إلا على قوتين عظميين، فاحتمالية اختلال موازين القوى تصبح أقل، وحسابات الخطأ التي تؤدي إلى فشل الردع أقل شيوعاً. على عكس التعددية القطبية الأكثر عرضة للحرب مقارنة من القطبية الثنائية؛ نتيجة تعدد القوى العظمى فيه، ولا سيما عندما تكون القوى العظمى غير متوازنة، ويكون هناك اختلاف واضح في قدرات الدولة داخل النظام، وتمتلك الدولة الأقوى وسائل المنافسة على الهيمنة[548]. تبدو الواقعية الهجومية لميرشايمر تتوقع الصراع والحرب أكثر بكثير مما تتنبأ واقعية والتز الدفاعية. الدول غير راضية عن توزيع القوة القائم، وستستمر لديهم الرغبة في مراكمة المزيد من القوة، وحافز القوة متعارض بينهم دون شك[549].

بينما يجادل منظر الواقعية الهجومية ميرشايمر بأن الحرب هي الوسيلة الأساسية لاكتساب القوة، التي قد تكون مكلفة في أغلب الأحيان. مع ذلك الدولة العقلانية في منظوره هي التي تدخل حرباً تكون على يقين من هذا الخيار، عندما تفوق الفوائد التكاليف. والحرب الناجحة هي التي تهزم الخصم، وهذا ما يجعل المعتدي أكثر أماناً. وبعيداً عن الحرب، يعد الابتزاز خياراً آخر يوفر للدول إمكانية تحقيق مكاسب نسبية من خلال تهديد أو إجبار المنافسين على تقديم تنازلات. بالرغم من ذلك، يعتبر الابتزاز طريقة فعالة فقط عندما يُستخدم ضد الدول الأضعف، لأن الدول القوية قادرة على التصدي. أما الطريقة الأخيرة التي قد توظفها الدولة لكسب القوة عبر استراتيجيتي "الإغراء وإراقة الدماء"؛ أي بإبقاء أو خداع الخصوم في صراعات طويلة الأمد، مما يمكّن الدولة الأولى من أن تصبح أقوى نسبياً على الهامش، بينما تقاتل الدول الأخرى. هناك محاذير على هذه الطريقة نتيجة صعوبة القيام بذلك، فالدولة تخاطر بالتعرض لمنافس رابح، أو مواجهته، لو انتصر بشكل غير متوقع[550].

تفاعل نزعتي الهجوم والدفاع؛ هو موضوع نوقش كثيراً في تحليل الحرب. بالاستناد على التوازن بين الدفاع والهجوم طرح منظرو هذا التوجه عدة أسئلة مركزية؛ هل يؤدي التفوق النسبي للقدرات العسكرية الهجومية على حساب التدابير الدفاعية في احتمالية نشوب الحرب؟ وما إذ كانت هناك عوامل تزيد من سهولة العمليات الهجومية _كالابتكارات التكنولوجية العسكرية_ ما يجعل الحرب أكثر احتمالية؟، وهل يمكن تحقيق السلام بتعزيز القدرات الدفاعية؟، وما هي الأسباب التي تسهم بتعزيز القدرات الهجومية للدول؟[551]

---

[548] Elman, “Realism”, p.19.

[549] Snyder, “Mearsheimer's World-Offensive Realism”, p. 151-152.

[550] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص152-153.

[551] Gortzak, “Offense-Defense Theory", p.67.

تتنبأ نظرية الدفاع الهجوم بأن السياسة الدولية تميل نحو المنافسة، وتصبح أقل سلمية عندما يطرأ تغيير في ميزان الدفاع الهجوم لصالح الأخير. ففي عالم تهيمن فيه النزعة الهجومية؛ من غير المرجح تمتع الدول المتساوية بالحجم بمستوى عالي من الأمن في ذات الوقت؛ ستكون الاستراتيجيات الكبرى التوسيعية أكثر شيوعاً، وستتبنى الدول عقائد عسكرية هجومية، فتدخل هذه الدول في سباقاتٍ تسلح شديدة، لأنه عندما تضيف دولة ما قوات إضافية لقدراتها العسكرية، سيتعين على منافسيها إجراء إضافة أكبر، لاستعادة قدرتها على الدفاع. بهذه الطريقة تصبح الحرب أكثر جاذبية للدول الطامعة؛ لأن الشعور بانعدام الأمن يعطي ميزة وقيمة أكبر للتوسع والهجوم، بالتالي تصاعد الأزمات والحروب من خلال الهجمات الوقائية والاستباقية في السياسة الدولية. باختصار، كلما زادت الميزة الهجومية زادت خطورة هذه العواقب [552].

كما ناقش فان افيرا بأن التغيير في ميزان الهجوم والدفاع ليس مجرد مؤشر قوي على احتمالية وقوع الحرب؛ إنما هو أقوى تفسير متاح لحدوث الصراع في النظام الدولي. واضعاً افتراضاته لأسباب تفوق النزعة الهجومية. أولاً، ستكون الحرب أكثر شيوعًا في الفترات التي يكون فيها الغزو سهلًا أو يعتقد أنه سهل، وأقل شيوعاً عندما يكون الغزو صعباً أو يعتقد أنه صعب. ثانياً، إن الدول التي لديها أو تعتقد أن لديها فرص هجومية كبيرة، أو نقاط ضعف دفاعية؛ ستبدأ حروبا وتقاتل أكثر من الدول الأخرى. ثالثاً، ستبدأ الدولة وتخوض المزيد من الحروب في الفترات التي تمتلك فيها، أو تعتقد أن لديها فرص هجومية، وقدرات دفاعية أكبر.

يجادل كويستر بأن التحولات في القدرات التكنولوجية العسكرية يعطي حوافز للدول لشن الهجوم "احتمالات الحرب موجودة... تتأثر بشكل واضح بمدى فعالية السلاح الهجومي، مقارنةً بالسلاح الدفاعي، ومدى استثمار الدول المتنافسة في كل منهما"، افتراضه يقوم على أساس أن التحولات في التكنلوجيا العسكرية تؤثر على الحوافز والقدرات لشن الهجوم[553]. الواقعية البنيوية؛ بشقيها الهجومي والدفاعي لا تجري أي نوع من هذا النقاش، لأن احتمالية الغزو والهجوم أمر وارد دوماً، بسبب غياب سلطة مركزية. جميع الدول معرضة للغزو داخل النظام الدولي الفوضوي بحسب الواقعيين الجدد، مع ذلك، تعد الدول الكبرى الأكثر قدرة وقوةً، وأقل عرضة للخطر من غيرها[554].

---

[552] Glaser and Kaufmann, “What is the offense- Defense Balance”, p. 47-48.
[553] Gortzak, “Offense-Defense Theory”, p. 68-70.
[554] Adams, “Attack and Conquer?” p. 62.

تدخل الدول العظمى في حرب وتنتهج سياسات توسعية بحسب سنايدر نتيجة وجود مجموعات إمبريالية تسعى للسيطرة على موارد الدول، وهي مجموعات زبائينة تسيطر داخل الدولة، وقائمة على وجود علاقة مصلحة فيما بينهم، حيث يستفيد كل طرف من الآخر. تبدأ هذه المجموعة بالترويج لسياسة "أسطورة التوسع" بهدف أنها ترغب بتحقيق الأمن داخل مجتمعها، وهذا بدوره ينعكس ايجابياً لها كونه يعزز مصالحها ونفوذها والحفاظ على مكانتها في السلطة، وهذه المجموعات الزبائنية لا تستطيع التخلي عن السياسيات التوسعية لأن هذا سيتعارض مع مصالح المجموعات الأخرى داخل الدولة[555].

بناءً على ذلك، يفسر سنايدر سبب اتباع بعض الدول سياسات توسيعية والتي هي بنظره فاشلة؛ لأنها تؤدي في نهاية المطاف نحو زعزعة أمن وبقاء الدولة. لذا يؤكد على ضرورة الدمج بين العوامل الداخلية والخارجية لفهم سلوك الدول وخياراتها نحو الحرب والتوسع، وعدم التعاطي مع الدول بأنها كرات بلياردو أو صناديق سوداء، عوضاً عن ذلك، يجب الاهتمام بالعوامل الداخلية ايضاً مثل السياسة، والأيديولوجية، لأنه لا يمكن فهم السياسة الخارجية لدولة ما بمعزل عن فهم نظامها الداخلي[556].

اتفق الواقعيون بأن مفهوم الفوضى مرتبط ارتباطاً وثيقاً من الناحية النظرية مع مفاهيم أساسية داخل النظرية الواقعية، استخدمها ووظفها جميعهم في تفسيراتهم وتحليلاتهم للشؤون الدولية. هذا التشابك النظري بين المفاهيم؛ انعكس على الممارسة الفعلية وتطبيقها على الواقع، فبعد مراجعة المفهوم تبيّن أن لها تأثيرات جوهرية على العلاقات بين الدول، ولا يمكن فهم أو تفسير ظاهرة سياسية بمعزل عنها، فهناك علاقة طردية بين الفوضى؛ وكل من المعضلة الأمنية، والقوة والمساعدة الذاتية، والحرب، وهذه المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها الواقعية.

بإيجاز، يمكن الاستنتاج بأن الواقعيين _على اختلاف فروعهم_ يعترفون بأن السياسية الدولية تعيش في حالة من الفوضى، لغياب حكومة مركزية في النظام، قادرة على فرض الاتفاقيات المبرمة بين الدول القومية، أو لحفظ السلام بينهم. هذا يجبر الدول في نهاية المطاف؛ نحو الاعتماد على ذاتها، لضمان بقائها.

---

[555] القحطاني، "النظرية الواقعية وتطورها"، ص339.
[556] المرجع السابق.

5. التجديد والاستمرارية في مفهوم الفوضى، بعد الحرب الباردة

زعم بعض الكُتاب في حقل العلاقات الدولية بأن نهاية الحرب الباردة سرعت من وتيرة تدهور النظرية الواقعية. شكلت هذه الحرب اختباراً صارماً لنظرية سعت طيلة الوقت للدفاع وتفسير التوازنات داخل النظام الدولي؛ بشكليه الثنائي والمتعدد الأقطاب، وعدم استمرارية نظام أحادي القطبية[557]. وخاصة، بعد عجز النظرية في التنبؤ بتغيير شكل النظام الدولي، إلى القطب الواحد منذ عام 1991[558]. فتعرضت الواقعية الجديدة لنقاش جدلي في مطلع تسعينيات القرن الماضي، لما أصابها من ارتباك نظري؛ تراوحت الآراء بين مؤيد وناقد حول قدرتها على تفسير الشؤون الدولية في عالم ما بعد الباردة[559]، ولا سيّما واقعية والتز الدفاعية الذي لم يصب تنبؤه عام 1988، بأن الحرب الباردة ستسمر على اعتبار أنها "متجذرة بقوة في هيكل السياسات الدولية بعد الحرب (العالمية الثانية)، وستبقى ما دامت البنية الدولية مستمرة"[560]، وحتى واقعية ميرشايمر الهجومية؛ لم تسلم من النقد.

هذا التحول المفاجئ أحدث منعطفاً تاريخياً في النظام، فتربعت الولايات المتحدة الأمريكية على قمة هرم النظام الدولي، كقوة رائدة في ظل غياب أي موازن لها، فيما يعرف بالقطبية الأحادية. اعتبرت النظريتان _الواقعية الدفاعية والهجومية_غير مهيأتين لتفسير العلاقات بين الدول في نظام القطب الواحد؛ وخاصةً غياب قوة موازنة، علاوةً على ذلك، تراجع الضغوط الهيكلية الرئيسة التي تستند عليها نظريات الواقعية، الجديدة في ظل وجود قوة مهيمنة[561].

يعتبر كل من ليغرو وموارفسيك، أبرز الناقدين للمدرسة الواقعية، بأنها لم تسع لإجراء أي تغيرات في برنامجها البحثي، بل اكتفت بنقد الافتراضات التي قدمته النظرية الليبرالية الجديدة والبنائية، حول دور كل من الاعتمادية المتبادلة والديمقراطية والمؤسسات الدولية وغيرهم[562]. كما انتقد جون فاسكويز John Vasquez (1945) أستاذ العلوم السياسية، النموذج الواقعي حاكماً عليها بالهزيمة، وقصورها عن تفسير المجريات الدولية، من

---

[557] Lebow, “Classical Realism”, p.59.

[558] Więcławski, “Neoclassical Realis", p. 192-195.

[559] Arash Heydarian Pashakhanlou, “‘Waltz, Mearsheimer and the post-Cold War world: The rise of America and the fall of structural realism”, p. 295-297.

[560] الجرباوي وحبش، "النظرية الواقعية"، ص451.

[561] Pashakhanlou, “‘Waltz, Mearsheimer and the post-Cold”, p. 295-297.

[562] حسين، الاتحاد الأوروبي والمنطقة العربية، ص140.

خلال اعتماده على منهجية برامج البحث العلمي لإمري لاكاوتس Imre Lakatos (1922–1974) أحد فلاسفة العلوم الطبيعية[563].

ولبيان البرنامج البحثي، فهو بحسب لاكاوتس يضم بداخله "سلسلة من النظريات التي ترتبط بمجموعة من الافتراضات الإرشادية والتأسيسية". ويحتوي على أربعة عناصر أساسية: أهمها "النواة الصلبة" (Hard core) كونها تتسم بالثبات؛ نظراً لاحتوائها على افتراضات غير قابلة للتكذيب. و"الحزام الواقي" (protective belt)، وبعكس النواة فهو أكثر عرضةً للتغير، فتتمثل وظيفته بحماية والدفاع عن النواة الصلبة. إضافةً لذلك، يضم كل برنامج قواعد منهجية تتمثل "بالموجه الإيجابي" الذي يرتبط بالحزام الواقي (Positive heuristic)، بينما "الموجه السلبي" (Negative heuristic) مرتبط بالنواة الصلبة[564].

تقوم منهجية لاكاوتس على أساس تقييم البرامج البحثية التي قد تكون تقدمية (Progressive)، أو انتكاسية (Degeneration)، تحدث الأخيرة عندما تصبح النواة الصلبة غير قادرة على التعامل مع الحقائق الجديدة، وتدحض افتراضها، لأن حدوث أي تغير في النواة يعني انهيار البرنامج بأكمله، وينتج عن ذلك بروز برنامج بحثي جديد. عند إدخال تعديلات على افتراضات الحزام الواقي، هنا تُحمى النواة الصلبة، ويتحصن البرنامج البحثي القائم، وهنا يعتبر البرنامج تقدميا، لقدرته على التعامل مع الحالات الشاذة والأدلة الجديدة[565]. على ضوء ذلك، زعم فاسكويز؛ بأن البرنامج البحثي الواقعي في عالم ما بعد الحرب الباردة أصابته انتكاسة، وأوصى بضرورة قيام النظرية الواقعية _بشقيها؛ الكلاسيكي والجديدة_ تعديل افتراضاتهم للرد والقدرة على التعاطي مع المتغيرات الجديدة، التي طرأت على النظام الدولي[566].

فانصرف الاهتمام الأكاديمي لمعالجة قضايا وإشكاليات جديدة في السياسة الدولية، التي لا تمت للواقعية بصلة[567]. رافق ذلك تراجع أهمية المفاهيم الواقعية؛ كالفوضى، والقوة، والمساعدة الذاتية، وتوازن القوى، وبروز مفاهيم ليبرالية جديدة مثل العولمة والديمقراطية، والاعتمادية المتبادلة وغيرها[568]. على ضوء الانتقادات التي

---

[563] أحمد قاسم حسين، "نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع"، ***سياسات عربية***، العدد 20 (أيار/ مايو 2016): ص127.

[564] حياة مشاط، "الظاهرة العلمية في فلسفة ايمري لاكاتوس"، ***مجلة قطاع الدراسات الإنسانية***، المجلد 25، العدد 1 (2020)، ص 245.

[565] Imre Lakatos, "Criticism and the Methodology of Scientific Research Programmes", ***Proceedings of the Aristotelian Society,*** *New Series,* Vol. 69 (1968-1969), p. 168-169.

[566] حسين، الاتحاد الأوروبي والمنطقة العربية، ص142.

[567] Lebow, "Classical Realism", p.59.

[568] حسين، "نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع"، ص127.

وجهت للنظرية الواقعية ومفاهيمها بأنه أصبح نموذجاً بحثي انتكاسياً، كما يزعم النقاد، وفقدانها لقدرتها التفسيرية، مما يطرح تساؤلاً؛ ما تأثير عالم ما بعد الحرب الباردة على مفهوم لفوضى؟ وهل ظل مفهوم الفوضى مركزياً داخل النظريات الواقعية الجديدة، والواقعية الهجومية الدفاعية، والواقعية الكلاسيكية الجديدة؟، هل تغير مفهومهم للفوضى؟ وكيف جرى التعامل مع الفوضى في نظام أحادي القطبية؟

الإبقاء على مفهوم الفوضى يمكن تتبعه من خلال مسارين: الأول بدفاع الواقعيين عن حتمية عودة توازن القوة التقليدي. والثاني، نحت الواقعيين أنواعا جديدة من التوازنات.

5.1 دفاع الواقعيين عن استمرارية فوضوية النظام

جادل منظرو الواقعية البنيوية؛ بأن بنية الأحادية القطبية هي الأقل استقراراً واستدامةً ومحفوفة بالمخاطر؛ ذاك ينبع من افتراضهم بأن تركز قوة بيد دولة واحد سيشكل تهديداً للدولة الأخرى، وسيدفعها لاتباع سياسة الموازنة[569]. فيضع والتز سببين لذلك، أولاً، عندما تتولى القوة المهيمنة مهامٍ كثيرة خارج حدودها، ذلك سيؤدي إلى إضعافها على المدى الطويل. ثانياً، البنية الفوضوية للنظام الدولي، تضع الدول في حالة نفور قوية من القوة غير المتوازنة لأن "الطبيعة تمقت الفراغ، فإن السياسة الدولية تمقت القوة غير المتوازنة. في مواجهة القوة غير المتوازنة، تحاول بعض الدول زيادة قوتها، أو تتحالف مع دول أخرى، لتحقيق التوازن في التوزيع الدولي للقوة"[570].

وفي معرض الدفاع عن أطروحات الواقعية أمام سيل الانتقادات التي طالتها، أوضح والتز؛ بأن حالة الأحادية القطبية ستكون حالة مؤقتة، معللاً ذلك بطبيعة النظام الفوضوي، واستند على سوابق تاريخية تفيد بحتمية تغير شكل النظام الدولي. والتز وغيره من رواد النظرية الواقعية يستندون في ذلك إلى افتراض فوضوية النظام الدولي، التي تحكم تصرفات الدول، مدفوعة بمخاوفها، وغياب اليقين، وانعدام الثقة؛ التي ستولد المعضلة الأمنية عاجلاً أم آجلاً، لتجعل من التوازن الدولي إياباً لا مناص منه، خاضعة لتوزيع القوى الذي تسعى لتحقيقه الدول العظمى[571].

---

[569] وليم وولفورث، **استقرار عالم القطب الواحد**، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001)، ص7

[570] Kenneth Waltz, “Structural Realism after the Cold War”, p.27-28.

[571] الجرباوي وحبش، **"النظرية الواقعية"**، ص33-34.

في البداية لم يعترف والتز بأن هيكل النظام الدولي قد طرأ عليه تغيرات جذرية بعد الحرب. رافضاً حقيقة أن الولايات المتحدة برزت كقوة مهيمنة في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي، ويصر على أن النظام الدولي، لا يزال ثنائي القطبية، ولم يتغير للقطبية الأحادية، مبرراً ذلك؛ بأن روسيا لا تزال قادرة على الدفاع عن أمنها العسكري، ولم تظهر بعد أي قوى عظمى أخرى، مشيراً لذلك "أن القطبية الثنائية تبقى، ولكن في حالة متغيرة"، ويرجع سبب استمراريتها، لمقدرة روسيا على الاعتناء بنفسها عسكرياً، عدا عن عدم بروز أي قوى عظمى بعد[572].

أفكاره حول القطبية الثنائية تبددت عام 1993 في العديد من منشوراته. واعترف بأن النظام الدولي يشهد لحظة أحادية القطبية مع أمريكا، باعتبارها القوة المهيمنة، وكتب "بعد زوال الاتحاد السوفيتي، أصبح النظام السياسي أحادي القطبية"[573]. مع ذلك، أصر بأن لحظة القطب الواحد ستكون قصيرة، وفي نهاية المطاف سيتجه العالم نحو التعددية القطبية في المستقبل[574]. إيمانه بذلك، ينبع من افتراضٍ أساسي لنظريته؛ بأن الدول ستتوازن ضد القوة المهيمنة، بغض النظر عن مدى كون هذه القوة حميدة، سيكبح جماح القوة الأمريكية، من خلال تشكيل تحالف موازٍ ضدها، سيمنعها من ترسيخ هيمنتها، رغم محاولاتها لمنع ذلك[575].

مقيماً والتز دفاعه على افتراضين أساسيين الأول، بأن السياسة الدولية هي انعكاس لتوزيع القدرات الوطنية، والثاني ينص على أن توازنات القوى تحدث بشكل متكرر. مؤكداً على أن "التوازنات المضطربة ستستعاد يوماً ما" بعد نهاية الحرب الباردة، إلا أن النظرية الواقعية لا يمكنها التنبؤ متى سيحدث ذلك[576]. مقراً بأن مبدأ توازن القوى الذي تقوم عليه نظريته؛ سيغير النظام نحو التعددية. واضعاً عدة احتمالات حول من سيقود هذا التوازن مثل الاتحاد الأوروبي، أو تحالف بقيادة الصين، أو اليابان، أو ألمانيا، وروسيا الأثقل كفة لتوازن الولايات المتحدة[577].

تعيش الدول في عالم والتز في حالة الفوضى، فالأمن والبقاء يعتمدان على توزيع القوة، أو توزان القوى وقدرة الدول الحفاظ عليه. ومؤكداً على مركزية نظرية التوازن، لأنها تنظر للدول على أنها تركيزات للقوى، تتنافس

---

[572] Waltz, “The Emerging Structure”, p.52-53.
[573] Robert Powell, “Guns, Butter, and Anarchy”, “The American Political Science Review”, in ***American Political Science Review,*** Vol.87, and no.1 (Mar. 1993): 132.
[574] Ibid.
[575] Kenneth Waltz, “Structural Realism after the Cold War”, p.27.
[576] Ibid.
[577] Pashakhanlou, “The Past, Present and Future of Realism”, p.32.

في بيئة فوضوية، فتوازن القوى يسود عندما تتعايش دولتان أو أكثر[578]. إذاً، الفوضى هي سمة ثابتة في النظام الدولي، وبقيت مركزية في عالم ما بعد الحرب الباردة بحسب والتز ورواد الواقعية الدفاعية، مدللين على ذلك بالإبقاء على استخدام مفهوم الفوضى في كتاباتهم، مع عدم إدخال تعديلات تجديدية على هذا المفهوم، كما هو موضح في الجدول أدناه.

الجدول رقم (6) الفوضى في كتب ومقالات الواقعيين الدفاعيين بعد الحرب الباردة

#	مقالات وكتب الواقعين الدفاعيين	Anarchy	Anarchic	تعريف الفوضى
.1	Kenneth N. Waltz (2002), Structural Realism after Cold War	9	5	"في غياب سلطة خارجية، لا يمكن لدولة أن تكون متأكدة من أن صديق اليوم لن يكون عدو الغد"[579].
.2	Charles L. Glaser (1997), The Security Dilemma Revisited	10	2	ملاحظة: لقد استخدم جلاسر مفهوم الفوضى، إلا أنه لم يقدم تعريف لها في مقالته[580].
.3	Stephen M. Walt (1998), International Relations: One World, Many Theories	8	1	"لأن النظام فوضوي (أي لا توجد سلطة مركزية لحماية الدول من بعضها البعض)، يجب على كل دولة أن تعيش بمفردها"[581].
.4	Charles L. Glaser (2010), Rational Theory of International Politics: The Logic of Competition and Cooperation	36	9	"الفوضى هي وصف دقيق للبيئة الدولية"[582]. "تعيش الدول في بيئة دولية تتسم بالفوضى - عدم وجود مؤسسة أو سلطة دولية يمكنها منع دولة من استخدام القوة العسكرية ضد دولة أخرى، أو يمكنها فرض القوانين والاتفاقيات الدولية"[583].
.5	Stephen M. Walt (2018), US grand strategy after the Cold War: Can	6	0	"الواقعية تسلط الضوء على دور الفوضى الدولية - أي عدم وجود سلطة مركزية يمكنها حماية الدول من بعضها البعض. يؤدي عدم وجود سلطة مركزية إلى جعل جميع الدول أقل أمنًا (لأنهم لا

[578] Jack Donnelly, Realism and International Relations, p17.
[579] Kenneth Waltz, "Structural Realism after the Cold War", p.10.
[580] Glaser, "The Security Dilemma Revisited".
[581] Walt, "International Relations: One World, Many Theories", p.31.
[582] Charles L. Glaser, **Rational Theory of International Politics the Logic of Competition and Cooperation**, (Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 2010), p. 20.
[583] Ibid, p.29.

	realism explain it? Should realism guide it?			يستطيعون الاعتماد على عدم التعرض للهجوم) كما يجعل التعاون أكثر هشاشة بسبب عدم وجود وكالة لفرض الاتفاقيات أو معاقبة الدول التي تغش"[584].
.6	Charles L. Glaser (2019), A Flawed Framework: Why the Liberal International Order Concept Id Misguided.	11	2	" الفوضى -أي عدم وجود مؤسسة دولية أو دولة يمكنها منع استخدام القوة العسكرية وفرض الاتفاقيات الدولية"[585].

المصدر: من إعداد الطالبة

استناداً على كل ما سبق، يمكن القول إن والتز وباقي منظري الواقعية الدفاعية أبقوا على مفهوم الفوضى دون إجراء تعديل جوهري. تميز والتز عنهم بأنه ظلّ مصراً بأن طريقة التعامل مع الفوضى في النظام الدولي تكون من خلال التوازن التقليدي، فاعتبر حتمية عودة التوازن، دون تحديد موعد لحدوث ذلك. ناظراً للبيئة الفوضوية التي يعيشها النظام الدولي، بأنها لا تختلف عن تلك التي كانت موجودة منذ وستفاليا.

لم يقتصر الدفاع عن الواقعية على والتز، وإنما شاطره ميرشايمر، معتبرين أن نظرياتهم لا زالت صالحة لعالم ما بعد الحرب الباردة[586]. دافع ميرشايمر؛ بأن بعض المنظرين والمفكرين المتفائلين زعموا بأن العالم دخل مرحلة "السلام الدائم"، بعد انتهاء الحرب الباردة، وأضحى التعاون نعتاً سائداً للسياسة الدولية، مفترضين بأن حالتي التنافس والحرب بين القوى العظمى تلاشت، وهذا بدوره سيدخل القوى في علاقة جديدة قائمة على التعاون بدل الصراع، وهذا ما سيخلق معه عالم يتسم بالازدهار والسلام[587]، ولكن هذا مجافٍ للصواب.

واستدل ميرشايمر بأن النظام الدولي سيستمر بصيغته التشاؤمية، مشيراً "إن ادعاء المتفائلين بأن التنافس الأمني والحرب بين القوى العظمى قد غادرا النظام بلا رجعة ادعاء خاطئ. فلا تزال كل الدول الكبرى حول العالم يهمين عليها منطق توازن القوة، ولا تزال عازمة على التنافس على القوة فيما بينها في المستقبل المنظور"، مشدداً على أن النظرية الواقعية لا تزال صالحة لفهم السياسة الدولية أي "لايزال العالم الواقعي عالم النظرية

[584] Walt, "US grand strategy after the Cold War", p.7.
[585] Charles L. Glaser, "A Flawed Framework: Why the Liberal International Order Concept Id Misguided", ***International Security***, Vol. 43 (2019): 60.
[586] Powell, "Guns, Butter, and Anarchy", p. 132.
[587] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص 451.

الواقعية"[588]. فالدول في عالم ما بعد الحرب الباردة، لا تزال تخاف من بعضها البعض، فتهدف إلى مراكمة القوة؛ فالفوضى الدولية التي مشكل لسلوك الدول، ولم تتبدل مع نهاية الحرب. فتبقى الدول اللاعب الرئيس في النظام، ما لم تتشكل حكومة عالمية قادرة على ضبط سلوك الدول، وإنفاذ القوانين[589].

يتجلى استمرار مركزية مفهوم الفوضى في فكر ميرشايمر في عنوان فرعي؛ "الفوضى الدائمة" في الفصل العاشر؛ "سياسة القوى العظمى في القرن الحادي والعشرين" من كتابه مأساة سياسة القوى العظمى، وأشار فيه بأن بنية النظام الدولي في هذا القرن، لم يطرأ عليها أي تغيير، ولا تزال الدول تعيش في بيئة تتسم بالفوضوية[590].

وعليه، صرح ميرشايمر بأن الولايات المتحدة ليست قوة مهيمنة عالمية، إنما تهيمن على النصف الغربي من الكرة الأرضية؛ وبذلك، النظام الدولي ليس أحادي القطبية. ورغم تفوق واشنطن بهامش قوة في كافة المجالات؛ الاقتصادية والعسكرية، لكن هناك قوى أخرى عظمى بالنظام، وهما؛ الصين وروسيا، لامتلاكهما القوة النووية التي تمكنهما من ردع أي عدوان أمريكي على أرضهما. إضافة بأنه لا مؤشر من واشنطن؛ بأنها تسعى لتحقيق الهيمنة العالمية بسبب "قوة إيقاف المياه"، أو أن تلجأ لاستخدام قدراتها الهجومية في كل من شرق أسيا أو أوروبا. غياب وجود أي نية لها في السعي للسيطرة خارج نصف الكرة الغربية، يفسر سبب عدم توجه الدول تحو تشكيل تحالف موازٍ لها[591]. إذاً لم تتغير البنية الأساسية للنظام منذ عام 1990 فلا يزال الخطر قائماً، من أن تودي المنافسة الأمنية إلى حرب، ولم يرحل أي منهما، مع اختفاء الاتحاد السوفياتي[592].

زعم لاين ايضاً في مقالته "The Unipolar Illusion: Why New Great Powers Will Rise"، المنشورة عام 1993 مشاركاً والتز الرأي في ذات العام، بأن لحظة أحادية القطبية هي مجرد فاصل جيوسياسي، وأن النظام سينتقل نحو التعددية القطبية بين عامي 2000–2010. متفقاً بذلك مع أطروحة والتز، "في السياسة الدولية، تتنافر القوة المهيمنة وتقود الدول الأخرى إلى التوازن ضدها"[593]. مؤسساً فكره على افتراضين رئيسين: أولاً، نظام أحادي القطبية يحتوي بذور فنائه، لأن القوة المهيمنة غير المتوازنة تخلق بيئة مواتية لظهور قوى

---

[588] المرجع السابق، ص 452.
[589] المرجع السابق.
[590] المرجع السابق، ص 478.
[591] المرجع السابق، ص 451.
[592] John. J. Mearsheimer, "Realism, The Real World, and The Academy", in Mi***chael Brecher and Frank P. Harvey, eds***., Realism and Institutionalism in International Studies (Ann Arbor: The University of Michigan Press, 2002) p.26.
[593] Christopher Layne, "The Unipolar Illusion: Why New Great Powers Will Rise", ***International Security,*** Vol. 17, No. 4 (spring, 1993): 7.

عظمى جديدة. ثانياً، ظهور قوى عظمى جديدة في النظام الدولي يعني تقلص القوة النسبية للقوة المهيمنة، ثم تراجع تفوقها على رأس النظام[594].

أعاد لاين التأكيد على فكرته بعد عشرين عام تقريباً في مقالته " This Time It's Real: The End Of Unipolarity and the Pax Americna"، مشيراً أن قلة من المنظرين_ من اهمهم هو ووالتز_ اتفقوا أنه في أعقاب انتهاء الحرب الباردة، بأن القطبية الأحادية ستكون مرحلة انتقالية قصيرة نحو الثنائية والتعددية القطبية. مفترضين بأن الأحادية ستحفز الدول الكبرى على موازنة الهيمنة الأمريكية. وتأكيده هذا منبعه الركود العالمي الاقتصادي في خريف 2007، فقبل هذا العام أكد غالبية منظري الدراسات الأمنية الأمريكية، بأن الهيمنة الأمريكية والقطبية الأحادية ستبقى الصبغة الدائمة للسياسة الدولية، وبسبب الركود تحورت التنبؤات باتجاه الانحدار الأمريكي والتحول الجيوسياسي، وأن توزيع القوة في النظام الدولي، لم يعد يُحتكر بيد القوة المهيمنة[595].

تنبأ لاين؛ على الرغم من أن الولايات المتحدة لا تزال متفوقة في القوة العسكرية، ستكون محصلته تراجع الولايات المتحدة خلال خمسة عشر عاما، فالأزمة الاقتصادية سيتسمر تأثيرها، وستُجبر على تقليص حجم الانفاق الاستراتيجي، مؤكداً على نهاية واشنطن كقوة عسكرية، مازالت تلوح في الأفق. فالقوة المهيمنة من المفترض أن تقوم بإصلاح الأزمات الاقتصادية، وليس التسبب فيها. كما يوجد العديد من المؤشرات حول تراجع القطبية الأحادية، لأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين القوة العسكرية والاقتصادية والقوة الناعمة؛ كقواعد مهمة لأي قوى عظمى، للحفاظ على مكانتها المتفوقة، إلى جانب الصعود الصيني خلال العقدين الماضيين[596].

بناءً عليه، وضع لاين خلاصاته حول القطبية الأحادية، مدعماً طرح الواقعيين حول عودة توازن القوى، مع ظهور قوى عظمى جديدة _الصين_ لتكون بمثابة موازن للقوة الأمريكية، إلى جانب وجود دول أخرى تسعى لتحقيق ذات الهدف. وفي خضم الجدل مع أنصار الأحادية القطبية، أكد أن حساباتهم خاطئة؛ فالقوة الصينية لم تعد قوة ناشئة، نظراً لأن توزيع القوة في النظام الدولي يتغير كثيراً. مع بداية العقد الثاني من القرن 21، بدأت التعددية في القطبية في الرجوع. مع ذلك، يرى لاين بأن العالم سيعيش حالة من الاضطرابات الجيوسياسية

---

[594] Ibid.
[595] Christopher Layne, "This Time It's Real: The End of Unipolarity and the Pax Americna", ***International Studies Quarterly,*** Vol.56 (2012): 1-2.
[596] Ibid, P.8.

أكثر مما كان في عهد القوة الأمريكية. تدهور أمريكا في ظل الصعود الصيني، وقبول حقيقة انتهاء الأحادية، ستكون محور تركيز واشنطن خلال العشر إلى الخمس عشرة سنة القادمة[597].

الجدول رقم (7) الفوضى في كتب ومقالات الواقعيين الهجوميين بعد الحرب الباردة

#	كتب ومقالات الواقعيين الهجوميين	Anarchy	Anarchic	تعريف الفوضى
.1	Christopher Layen (Spring 1993), The Unipolar Illusion: Why New Great Powers Will Rise	4	5	" في نظام المساعدة الذاتية الفوضوي، يجب أن تكون الدول دائمًا قلقة من أن الآخرين سيستخدمون إمكانات نسبية متزايدة ضدهم. من خلال تعزيز القدرات النسبية الخاصة بها أو تقليل قدرات الخصم، تحصل الدول على مردود مزدوج: مزيد من الأمن ونطاق أوسع من الخيارات الاستراتيجية"598.
.2	John M. Mearsheimer (Winter, 1994-1995), The False Promise of International Institutions	12	6	السيادة تكمن في الدول، لأنه لا توجد هيئة حاكمة أعلى في النظام الدولي. لا توجد "حكومة فوق الحكومات"599.
.3	John M. Mearsheimer (2001), The tragedy of great power politics	28	21	"أن النظام الدولي فوضوي، لكن ذلك لا يعني أنه مشوش أو يمزقه الاضطراب. ومن السهل التوصل إلى ذلك الاستنتاج، حيث تصوّر الواقعية عالماً يتسم بالتنافس الأمني والحروب. لكن الفكرة الواقعية عن الفوضى في ذاتها لا علاقة لها بالنزاع، فهي مبدأ تنظيمي يقول إن النظام يتألف من دول مستقلة لا توجد سلطة مركزية أعلى منها. معنى ذلك أن السيادة متأصلة في الدول لعدم وجود كيان حاكم أعلى في النظام الدولي، إذ لا توجد "حكومة فوق الحكومات"600. النسخة العربية.
.4	Christopher Layen (2004), China's Role in American Grand Strategy:	4	4	" عندما يتحدث الواقعيون عن السياسة الدولية كونها فوضوية، فإنهم يشيرون إلى هذا الافتقار إلى سلطة حاكمة"601.

[597] Ibid, P.11.

[598] Layne, "The Unipolar Illusion", p. 12.

[599] Mearsheimer, "The False Promise", p.10.

[600] ميرشايمر، مأساة سياسة القوى العظمى، ص 38.

[601] Layne, "China's Role in American?", p. 56.

			Prtner Regional Power, or Great Power Rival?	
"الافتراض الأول هو أن القوى العظمى هي الجهات الفاعلة الرئيسية في السياسة العالمية وتعمل في ظل نظام فوضوي. هذا لا يعني أن النظام يتسم بالاضطراب أو اللانظام. الفوضى مبدأ تنظيمي. إنه يعني ببساطة أنه لا توجد سلطة مركزية أو حكم نهائي يقف فوق الدول. إن عكس الفوضى هو التسلسل الهرمي، وهو المبدأ المنظم للسياسات الداخلية"602.	5	7	John M. Mearsheimer (2013), Structural Realism in International Relations Theories Discipline and Diversity.	**.5**

المصدر: من إعداد الطالبة

اتكاءً على الجدول الآنف، يظهر اتفاق الواقعيين الهجوميين مع الواقعيين الدفاعيين في المنافحة عن مركزية الفوضى، وإن اختلف ميرشايمر عن والتز في الاستراتيجيات، والتي ستظهر لاحقاً في مفهومه للتوازن خارج المجال. أما لاين بقيَ متمترساً مثل والتز حول عودة التوازن التقليدي؛ باعتباره الأداة للتعامل مع الفوضى.

عند مراجعة أدبيات منظري الواقعية الدفاعية الهجومية، يتضح أنهم حافظوا كذلك على محورية المفهوم في كتاباتهم ما بعد انتهاء الحرب الباردة، ويدلل على ذلك كتاباتهم الموضحة في الجدول أدناه.

الجدول رقم (8) الفوضى في كتب ومقالات الواقعيين الهجوميين–الدفاعيين بعد الحرب الباردة

#	كتب ومقالات الواقعيين الهجوميين-الدفاعيين	Anarchy	Anarchic	تعريف الفوضى
.1	Stephen Van Evera (1994), Hypotheses on Nationalisms and War	4	1	ملاحظة: لقد استخدم جلاسر مفهوم الفوضى، إلا أنه لم يقدم تعريف لها في مقالته[603].
.2	Robert Jervis (Sep.1997), System Effects Complexity in	1	7	" أن النظام الدولي يفتقر إلى السيادة"[604].

602 John J. Mearsheimer, "Structural Realism", p. 79.

603 Stephen van Evera, "Hypotheses on Nationalism and War", ***International Security,*** Vol.18, no.4 (Spring, 1994).

604 Robert Jervis, **System Effects Complexity in Political and Social Life**, (Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 1997), p.108.

			Political and Social Life	
.3	Robert Jervis (Sep.1999), Realism, Neoliberalism, and Cooperation: Understanding the Debate	7	0	" غياب سلطة سيادية يمكنها أن تضع وتنفذ اتفاقيات ملزمة يخلق فرصًا للدول لتعزيز مصالحها من جانب واحد ويجعل من المهم والصعب على الدول أن تتعاون مع بعضها البعض[605]".

المصدر: من إعداد الطالبة

تبلورت النظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة للدفاع عن استمرارية المدرسة الواقعية، بعد الحكم عليها بالفشل في التعاطي مع المتغيرات الجديدة. فأكد منظروها باستحالة الاستناد على العامل المستقل _الفوضى وتوزيع القوة_ فقط لتفسير السياسة الدولية في ظل القطبية الأحادية، إلا من خلال إضافة المتغيرات الوسيطة _الإيديولوجيا، والنخبة وغيرهم_ التي من شأنها تقديم تفسير أفضل لسلوك واستراتيجيات الدول. وهذه هي التعديلات التي أدخلت على النظرية الواقعية؛ الدمج بين المستويين الدولي والمحلي، لتفسير استمرار القطب الواحد، وبجمعهم لمستويات التحليل؛ جادلوا بأنهم تجاوزوا بعض الانتقادات التي وجهت للواقعية الجديدة[606].

إبقاء منظري الواقعية الكلاسيكية الجديدة من أمثال روز، وتالفيرو، وشويللر على افتراض مفهوم الفوضى، معتبرينه عاملاً مستقلاً لتفسير تأثيراتها على السياسة الخارجية للدول، على الرغم من إدخالهم عوامل وسيطة، دليل على أهمية ومركزية هذا المفهوم. كما هو موضح في الجدول أدناه.

الجدول رقم (9) الفوضى في كتب ومقالات الواقعيين الكلاسيكيين الجدد بعد الحرب الباردة

#	كتب ومقالات الواقعيين الكلاسيكيون الجدد	Anarchy	Anarchic	تعريف الفوضى
.1	Gideon Rose (Oct. 1998), Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy	9	0	"يحتل الواقعيون الكلاسيكيون الجدد أرضية وسطية بين المنظرين البنيويين البحتين والبنائيين. الأول يقبل بصدق وجود صلة واضحة ومباشرة بين القيود النظامية والسلوك على مستوى الوحدة؛ ينكر الأخير وجود أي قيود منهجية موضوعية على الإطلاق، ويجادل بدلاً

[605] Robert Jervis, "Realism, Neoliberalism, and Cooperation: Understanding the Debate", ***International Security,*** Vol. 24, no. 1 (Summer, 1999):47.

[606] محمود الرنتيسي، **العلاقات التركية القطرية في توازنات القوة الإقليمية**، (إسطنبول، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية "سيتا"، 2022)، ص39-40.

من ذلك بأن الواقع الدولي مبني اجتماعياً وأن "الفوضى هي ما تصنعه الدول[607]."				
"لا توجد "قوة أعلى" لفرض الاتفاقات المبرمة بين الدول القومية أو للحفاظ على السلام فيما بينها. وبالتالي، يجب على الدول في نهاية المطاف الاعتماد على نفسها لضمان بقائها"[608].	3	8	Randall L. Schweller, David (1997), A Preiss Tale of Two Realisms: Expanding the Institutions Debate	.2
" تعني الفوضى أن الأمم يجب أن تخشى باستمرار العبودية أو الانقراض. لأن عواقب الخطأ يمكن أن تكون كارثية، يجب على الدول أن تكون حذرة في تقييم نوايا كل من الأعداء والحلفاء، لأن صديق اليوم قد يكون عدو الغد"[609].	4	19	Randall L. Schweller (1997), Neorealism's status-quo bias: What security dilemma?	.3
أشار لتعريف الواقعية الهجومية عن الفوضى بأنها: " غياب حكومة عالمية أو سيادة عالمية"[610].	1	26	Jeffrey W. Taliaferro (2001), Security Seeking under Anarchy	.4
" عدم وجود وكيل مركزي"[611].	8	13	Jeffrey W. Taliaferro (2000), Power test: Evaluating realism in response to the end of the cold war	.5
" تعني الفوضى أن الدول في الأساس متشابهة في المهام التي تواجهها؛ إنهم "يتميزون في المقام الأول بقدراتهم الأكبر أو الأصغر لأداء مهام مماثلة." ووفقًا لذلك، فإن أهم سمة للدولة هي قوتها النسبية، والتي تتكون من قدرات مادية وغير مادية"[612].	4	7	Randall L. Schweller (2006), Unanswered Threats: Political Constraints on the Balance of Power.	.6

المصدر: من إعداد الطالبة

[607] Rose, "Review: Neoclassical Realism and Theories", p.152.

[608] Randall L. Schweller and David Priess, "A Tale of Two Realisms: Expanding the Institutions Debate", ***Mershon International Studies Review***, Vol. 41, no. 1 (May 1997):11.

[609] Schweller, "Neorealism's status-quo bias", p.101

[610] Taliaferro, "Security Seeking under Anarchy", p.128.

[611] Jeffrey W. Taliaferro, "State Building for Future Wars: Neoclassical Realism and the Resource-Extractive State", ***Security Studies***, Vol. 15 (Sep.2006): 478.

[612] Randall L. Schweller, **Unanswered Threats: Political Constraints on the Balance of Power**, (Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 2006), p.103.

5.2 استمرارية مفهوم الفوضى وارتباطه بالتوازنات الجديدة

إحدى الأطروحات التي برزت داخل النظرية الواقعية هي لوولفورث، وخرج عن السياق الواقعي في كتابه "استقرار عالم القطب الواحد" المنشور عام 2001. اعترف بأن النظام الحالي هو أحادي القطبية لتمتع الولايات المتحدة بهامش متفوق في كل ركائز القوة عن بقية الدول الأخرى. وتتبلور رؤيته الرئيسة بإدراكه سلوك الدول الكبرى في عالم القطب الواحد، فمن المرجح اختلافه تماماً عن سلوكها الذي كان سائداً في الأنظمة ثنائية ومتعددة الأقطاب، في عالم ما قبل الحرب الباردة. مستنتجاً، بأن نظام أحادي القطبية يثني المنافسين المحتملين عن السعي نحو تحقيق جهود متضافرة ضد الولايات المتحدة. طالما أن الأخيرة تمتع بفجوة من القوة العسكرية والاقتصادية مقارنة بالآخرين، وعليه لن تجرؤ أي دولة أو مجموعة من الدول على تحقيق التوازن ضدها، وتحدي أميركا[613].

واستنبط بأن أحادية القطب من المرجح أن تدوم طويلاً، وسيتمتع النظام بالاستقرار؛ معللاً ذلك بالتكاليف الباهظة التي ستتكبدها الدول الأخرى في معمعة مواجهتها للهيمنة الأمريكية، مستنداً على مبدأ المصلحة القومية للدول، ما يؤدي بها إلى اتباع سياسة مهادنة للولايات المتحدة، لحماية مصالحها. ويستطرد وولفورث حول إمكانية استمرار النظام أحادي القطبية بقيادة الولايات المتحدة، مشيراً إلى العوامل الجيوسياسية والاستراتيجية التي ستمكنها من استدامة هيمنتها في النظام الدولي، بالإضافة إلى شبكة التحالفات التي تنسجها الولايات المتحدة، لصالح الحفاظ على النظام القائم، تحت قيادتها[614].

خط وولفورث ليس تياراً سائداً في النظرية الواقعية، بل سادت تيارات أخرى دافعت باستماته عن أهمية وجود التوزان. ومحاولة الإجابة عن التساؤل الرئيس؛ لماذا لم تعمل الدول _وخاصة الكبرى منها_ على تحقيق التوزان مع الولايات المتحدة؟ هذا السؤال المحوري نال اهتماماً واسعاً منذ عام 1991، وخاصة داخل المنظور الواقعي، فقدم العديد من العلماء والمنظرين عدة تفسيرات لغيابه. ومقدمين أطروحتهم حيال استمرار الهيمنة الأمريكية على العالم.

الانتقادات التي وجهت للواقعية، لم تقتصر على الدفاع عن النظرية عموماً، إنما جعلت الواقعيين يدفعون عن الأسس والمفاهيم التي تقوم عليها النظرية، ومن أهمها التوازنات والفوضى، فأبقى المنظرون الواقعيون على

---

[613] وولفورث، استقرار عالم القطب الواحد، ص8-11.
[614] الجرباوي وحبش، "النظرية الواقعية"، ص35-36.

أهمية الفوضى، وعدم تجاوزها، أو انتهائها؛ بتربع الولايات المتحدة على عرش الأحادية القطبية، ومن هذا المنطلق عمل الواقعيون على نحت أنواعٍ جديدة من التوازنات، لتلائم الوضع الدولي الجديد، مؤكدين أن التوازن سيعود للتشكل أو أنه موجود حالياً بشكله المخفف.

5.2.1 توازن التهديد

قام ستيفن والت Stephen Walt (1955) بإعادة صياغة نموذج والتز لتوزان القوى، في نظرية أسماها "توازن التهديد" (Balance of Threat)، وتعد من أولى أنواع التوازنات التي طُرقت، معتبرها نظرية استكمالية، وليست تبديلية لنظرية التوازن التقليدية. مشيراً إلى أن المقدرات التي تشكل تهديداً؛ تدفع بالدول نحو تنظيم تحالفات لمواجهة هذه التهديدات، بغض النظر عن كون هذا التهديد حقيقي، مما ينتج عنه تشكيل أحلاف دولية مضادة. ويخلص والت أنّ هيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي، واستمرار نظام أحادي القطبية من عدمه، محكوم بسلوكها، فإذا تصرفت بعدائية؛ هذا يدفع الدول الأخرى إلى التكتل لمواجهة التهديدات المترتبة على ذلك[615].

يعرف والت الموازنة على أنها تحالف مع الآخرين ضد التهديد، وهذا تعديل لمنطق "توازن القوى" لوالتز والذي يحافظ على توازن ضد القوة الأقوى. تتشكل التحالفات والموازنة في نظرية والتز بناءً على توزيع القدرات بين الدول فقط، وهو العامل المتغير الوحيد والمهم. ينهار التوازن عند حدوث اختلال في توازن القوى، بامتلاك أقوى دولة، أو تحالف معين داخل النظام قوة أكبر بكثير من الأخرين. ويصبح المفهوم الرئيس الذي تنطلق منه نظرية توازن القوى؛ هو توزيع القدرات، وتشمل عدة مكونات مثل القدرات العسكرية، الاقتصادية، والتماسك السياسي[616].

---

[615] المرجع السابق، ص37-39.

[616] Stephen Walt, "Testing Theories of Alliance Formation: The Case of Southwest Asia", ***International Organization,*** Vol. 42, no.2 (Spring 1988), p.281.

يوضح الشكل رقم (5) تأثير حدوث اختلال في القوة على سلوك الدول

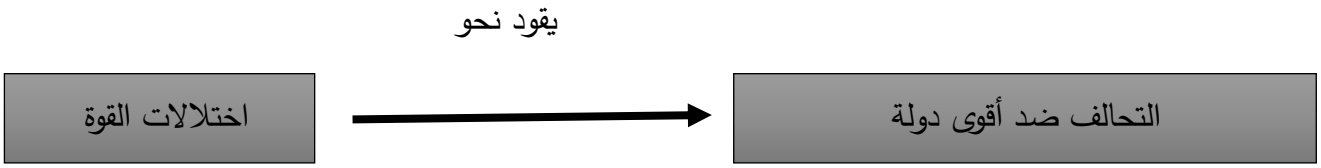

Source: Walt, "Testing Theories", p.281

هناك مفهوم مركزي وسيط في نظرية توازن التهديد لوالت وهو "توزيع التهديدات"، ورغم أن هذه النظرية تتضمن فكرة القوة وأهمية دورها، في السياسية الدولية، إلا أن والت قدم تفسيراً أكثر إقناعاً لخيارات التحالف، من خلال إضافة عوامل إضافية، عوضاً عن التركيز على عامل توزيع القدرات حسب[617].

يوضح الشكل رقم (6) تأثير حدوث اختلال في التهديد على سلوك الدول

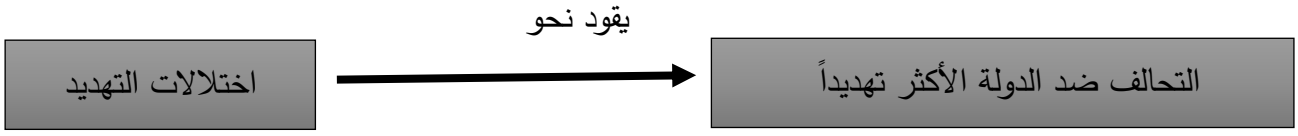

Source: Walt, "Testing Theories", p.281

يفترض توازن التهديد أن الدول تتوازن ضد أكبر تهديد مباشر لبقائها في النظام الدولي. فتقوم أطروحة والت بأن الدول لا تتجه نحو التوازن، إلا في حال أظهرت القوة المهيمنة نوايا هجومية، وعليه تتشكل التحالفات لتحقيق التوازن ضد التهديدات. وهذه التهديدات تقترن بعدة عوامل، تتمثل بمقدار القوة التي تحظى به الدولة، والقرب الجغرافي، والقدرات الهجومية، والنوايا العدوانية. هذه العوامل تشكل خطراً على الدول الأقرب أكثر من تلك البعيدة جغرافياً. والدولة التي لديها قدرات هجومية تشكل تهديداً أكبر، مقارنة بغيرها، والتي تمتلك قوة بهدف الدفاع عن ذاتها. كذلك الأمر بالنسبة للنوايا، فالدولة التي تمتلك طموحات عدوانية بهدف التوسع؛ تضع الدول الأخرى في هاجس أمني، أكثر من تلك التي تسعى فقط للحفاظ على الوضع الراهن. باختصار، الموازنة تتحقق عندما يطرأ أي زيادة على إحدى تلك العوامل، الأمر الذي سيشجع الدول الأخرى للتحالف ضد الدول الأكثر تهديداً[618].

[617] Ibid, p.281-282.
[618] Ibid.

وانطلق والت من فكرة سمعة واشنطن ونواياها الحميدة، لتفسير سبب غياب أي شكل من أشكال التوازن. لأن الأخير يتحقق عند المزج بين القوة والنوايا العدوانية، وهذا ما سيشكل التهديد. في رأيه، قد يكون للدول نوايا جيدة أو سيئة، والتي تحمل نوايا عدوانية تستفز الأخرين للتوازن ضدها. بناء على هذه الأطروحة، طالما الولايات المتحدة تتبع سياسية خارجية معتدلة، ولا تظهر أي نيّة عدوانية، فلن تشكل تهديداً للدول الكبرى. ما بين عامي 1990_2000 لم تحدث حالات مهمة للموازنة ضد الولايات المتحدة. ولكن كان هناك استياء من "غطرسة" الهيمنة الأمريكية في تسعينيات القرن الماضي، تحديداً من قبل القوى الكبرى، والدعوة لتشكيل "ثقل موازن"، لكن ذلك لم يتحقق، واقتصر على الخطاب[619].

نظرية توزان التهديد تساعد في تفسير سبب عدم تحالف معظم القوى الكبرى الأخرى ضد الولايات المتحدة حتى اليوم، ويتلاشى الشذوذ في فشل الدول في موازنة القوة الامريكية إلى حد كبير، إذا لم تركز على القوة، وإنما على التهديدات. أما حول دور الفوضى كعامل مركزي في عالم ما بعد الحرب الباردة، يستنتج بأن الفوضى لا تعمل مباشرة على تشكيل المعضلة الأمنية، وزيادة احتمالية الحرب، بل هناك متغير وسيط مرتبط بوجود تهديد فعلي، أو ناتج عن تقديرات الدول الكبرى، حتى لو كانت غير صحيحة. أبقى والت على مركزية الفوضى من خلال تفسير سلوك الدول، مع إدخال تعديلات على اشتغال تأثيرات الفوضى على سلوكيات الدول الكبرى في النظام الدولي، فغدت المعادلة؛ الفوضى مع التهديد يؤدي إلى تشكيل توازن التهديد.

يوضح الشكل رقم (7) العلاقة بين الفوضى والتهديد

المصدر: من إعداد الطالبة

[619] Robert A. Pape, "Soft Balancing against the United States", ***International Security,*** Vol. 30, no.1 (summer, 2005): 19-21.

5.2.2 التوازن الناعم

لحقت نظرية "التوازن الناعم"(Soft Balance) لتفسر سبب عدم قيام أي دولة كبرى بمحاولة إعادة تشكيل التوازن التقليدي مع الولايات المتحدة. واعتبرت التفاوت في القوة والقدرات بين الدول الكبرى ودولة القطب الواحد، يحول من قدرة الدول الأخرى في تشكيل توازنٍ ضد القوى الأمريكية المهيمنة. نتيجة ذلك، ستبرز دول ترفض التبعية والالتحاق للقوة الأمريكية، وفي ذات الوقت لا تمتلك جرأة لتشكيل تحالف ضدها، كما أنها ستخسر نتيجة ارتباط مصالحها مع القوة المهيمنة. دفع ذلك بعض المنظرين إلى الادعاء بأن الدول ستتجه في ظل ذلك نحو للتوازن الناعم[620].

هذا التوازن ارتبط بمحاولة إيجاد تفسير لعدم ظهور التوازن بشكله الصلب، الذي تحدث عنه والتز ولاين. فدفع ذلك كل من روبرت بايب Robert Pape (1960) وت. ڤي. بول T.V. Paul (1956)، للبحث عن تفسير لأسباب غياب التوازن. هذا الغياب برروه بوجود نوع من التوزان، لم يكن متعارف عليه سابقاً، فهو مختلف في الشكل والمضمون عن التوازن الصلب. وأطلق عليه تعبير التوازن الناعم. فهم لم ينفوا وجود توازن، ولكن تربع الولايات المتحدة على قمة هرم النظام السياسي؛ أدى لوجود تخوفات وحسابات مختلفة لدى الدول الكبرى، دفعها إلى اتباع سياسات وسلوكيات تمظهرت في محاولة إعاقة هيمنة الولايات المتحدة، وليس مواجهتها.

التوازن الناعم، هو المفهوم الآخر المشتق من مبدأ توازن القوة التقليدي، في سياق الجهود التعديلية للواقعيين. وقد عرف أستاذا العلوم السياسية كير ليبير Keir Lieber (1970) وجيرارد ألكسندر Gerard Alexander هذا التوازن بأنه: "بدلاً من قيامها بتحدّي القوة الأمريكية التي قد يراها البعض مكلفة أو غير جذّابة، بشكل علني، فإن الدول تعتقد أنها قادرة على اتخاذ مجموعة كبيرة من الأفعال الصغيرة لإعاقة وتقويض هذه القوة"[621].

بداية التوازن الناعم ألحقه منظرو هذا التوجه بالسياسات العدوانية الأحادية كالحروب الوقائية والاستباقية، واستراتيجية الأمن القومي التي اتخذتها الحزب الجمهوري في عهد الرئيس جورج بوش، في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، وما خلفته من استياء لدى الدول الكبرى التي قبلت الهيمنة الامريكية لعقد من

---

[620] احمد أبو زيد، "الواقعيون الجدد ومستقبل القوة الأمريكية: مراجعة للأدبيات"، ***المجلة العربية للعلوم السياسية***، العدد 43-44 (خريف 2014)، ص24.

[621] المرجع السابق، ص24-25.

الزمن، وما رافقه تعرض سمعة الولايات المتحدة للخطر التي تمتعت بها منذ فترة طويلة بسبب النوايا الحميدة، وأن العالم أصبح أقل آمناً واستقراراً. فأكدوا على ضرورة قيام أمريكا بإعادة ترسيخ التزامها بحل المشاكل الدولية المهمة بمشاركة الأطراف المتعددة، مثل التزامها تجاه الأمم المتحدة. وهذا بدوره سيعيد لها سمعتها بأنها تحمل أي نوايا عدوانية، وستقل حوافز الموازنة تلقائياً[622].

وفي هذا السياق، أشار پابي للقيود التي فرضتها الدول على تصرفات الولايات المتحدة، في محاولة منها للحد من نفوذها وهيمنتها بطرق غير مباشرة. وحدد الوسائل التي جرى اتباعها، وجميعها تتعلق باستخدام وسائل دبلوماسية واقتصادية، ما نتج عنه تأسيس تكتلات اقتصادية، وفتح مجالات تعاون سياسي ودبلوماسي بين الدولة المتفقة على مواجهة الهيمنة الأمريكية، ما يؤدي إلى تعزيز الثقة المتبادلة بينها من جهة، وتنسيق مصالحها المشتركة على حساب الهيمنة الأمريكية[623]. يمكن الحد من هيمنة القوى العظمى، من خلال عرقلة المصالح الأمريكية، داخل المؤسسات الدولية.

استخدام أدوات مختلفة من قبل الدول، لإعاقة الولايات المتحدة؛ يدلل على عدم قبول الدول بنظام أحادي القطبية، فهذا النظام بحسب بابي وبول سيدفع الدول الى رفض الهيمنة، حتى لو بطريقة مخففة، على أمل أن يكون هذا تحضيراً مستقبلياً للعمل الجماعي بين الدول، لإيقاف الولايات المتحدة.

هذا الطرح يقود للاستنتاج بأن وجود نظام أحادي القطبية لا يمكن أن يدفع الدول للتغاضي عن تأثيرات الفوضى. ولكن، عدم وجود إمكانيات حالية وتخوفها من مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة يدفعها إلى عدم الاستسلام، وإنما انتهاج سلوكيات مختلفة، يمكن وضعها في صورة إطار مخفف من التوزان. فيمسي التوازن الناعم إعدادا مستقبلياً، لإعادة تفعيل التوازن الصلب. فسمة النظام الفوضوي تدفع الدول باستمرار إلى الخوف، ويدخلها في معضلة أمنية، ولكن وضعية الولايات المتحدة؛ دفعها إلى انتهاج توازن مخفف تحضيراً للتوازن الصلب في حالة استمرت الولايات المتحدة بسلوكها العدواني.

[622] Pape, “Soft Balancing against the United States”, p.10.

[623] الجرباوي وحبش، "النظرية الواقعية"، ص39-40.

يوضح الشكل رقم (8) العلاقة بين الفوضى وعدم وجود إمكانيات والتخوف من الدولة المهيمنة

المصدر: من إعداد الطالبة

5.2.3 توازن المصالح

المفهوم التعديلي الآخر الذي اعتمده منظرو الواقعية، فيتمثل بـ توازن المصالح، والتي جاءت رداً على نظرية توازن التهديد، وكان شويلر الذي نادى بتوازن المصالح، كمدخل تفسيري لسلوك الدول الرافضة لأحادي القطبية. جادل بأن توزان المصالح يدفع الدول طواعيةً نحو تفضيل مهادنة القطب السائد على مواجهته، لما لها في ذلك من مصالح مرتبطة باستمرار الوضع القائم في النظام الدولي.

ومردّ ذلك حسب شويلر يعود إلى صعوبة وتعقيد إحداث تغيير بنيوي في ظل النظام أحادي القطبية، لأن ذلك يعني تغييراً جذرياً للنظام الدولي ككل، وليس سلسلة من الإجراءات والتغييرات الضمنية في النظام الدولي، بما يحيل إلى مواجهة شاملة تستهدف الولايات المتحدة ابتداءً من نزع شرعيته كالقطب المهيمن والوحيد في النظام الدولي، مروراً بتقويض مصادر قوتها، وصولاً إلى انهاء النظام أحادي القطبية واستبداله بنظام آخر يقوم على التعددية المستندة لتوازن القوة[624].

ميز شويللر بين نوعين من الدول داخل النظام الدولي، دول راضية عن الوضع الراهن، وأخرى غير راضية، والتي يقسمها لقسمين؛ ما بين دول عدوانية، وغير عدوانية. وأكد بأن الدول الغير راضية العدوانية هي التي تندفع نحو تشكيل تحالفٍ موازٍ للولايات المتحدة. أما الدول الراضية تنتهج خيار "التقاطر" (Bandwagoning) بمعنى الوقوف مع القوى العظمى، عوضاً عن مواجهتها باستعادة التوازن، فهذه السياسة اعتبرها عدوانية تعديلية،

[624] الجرباوي وحبش، "النظرية الواقعية"، ص41-42.

وفي هذه الحالة يتشكل التوازن بناءً على المصلحة، فالدولة الضعيفة والأقل قوة تتحالف مع القوة المهيمنة بهدف تحقيق مصالحها، والدول تتجه نحو هذا الخيار لقلة تكلفته وخطورته[625].

حافظ شويلر على مفهوم الفوضى، ولكن ربطه بمتغير المصلحة. ففي عالم الفوضى تسعى الدول لتحقيق مصالحها معتمدة على ذاتها. وهنا تختار الدول الضعيفة أن تتقاطر حفاظاً على مصلحتها، وأهمها الحفاظ على بقائها، بينما الدول التعديلية ترى من مصلحتها مجابهة الولايات المتحدة، لأن النظام الفوضوي يدفعها إلى تحدي القطبية الأحادية، وضرورة العودة للتوازن.

يوضح الشكل رقم (9) العلاقة بين الفوضى والمصالح

المصدر: من إعداد الطالبة

5.2.4 التوازن خارج المجال

"التوازن خارج المجال" (Off–Shore Balance)؛ صيغ على يد لاين وهو أحد التوجهات التعديلية على التوازن التقليدي. يتمثل بأهمية إنهاء توسع نفوذ الولايات المتحدة وتدخلها في بقاع العالم، فهذا التوسع قد يعود بنتائج عكسية، على الهيمنة الأمريكية، ويزيد من اعتماد الحلفاء عليها. ويدفع لاين بأن على الولايات المتحدة أنّ تحول تركيزها نحو الاهتمام بالشؤون الداخلية، وترك المسائل والقضايا التي من الممكن أن تقوم بها دول أخرى، ولا يعنى هذا انعزال الولايات المتحدة، بل المقصود؛ تحميلُ غيرها من الدول مسؤولية الأعباء الدولية، التي تأخذها الولايات المتحدة على عاتقها.

الموازنة الخارجية بحسب لاين؛ تبدأ بوجود اعترافٍ من القوى الأخرى، بأنها القوة العظمى في النظام. تهدف الولايات المتحدة لاستدامها كقوة مهيمنة ووحيدة في نصف الكرة الغربي، وهذا بدوره سيطمئن شعبها بعدم

---

[625] محمد عبد السلام، **الجغرافيا السياسية دراسة نظرية وتطبيقات عالمية**، (عمان، مكتبة نور، 2020)، ص864.

تعرضهم لأي هجوم أو تهديد من قبل المنافسين المحتملين. يعتمد التوزان خارج المجال على ثلاثة مناطق رئيسة يجب الدفاع عنها؛ وهي؛ أوروبا، وشرق أسيا، والخليج العربي، ففي المنطقتين الأُوَل؛ هناك تخوف من ظهور قوة إقليمية قد تسيطر على المنطقة، على غرار الولايات المتحدة، في الجزء الغربي من العالم[626].

وهذا ما دفع لاين للتأكيد على أنّ أوروبا وشرق آسيا؛ هما المنطقتان الأهم بالنسبة للمصالح الأمريكية، داعياً إلى التخلص من الوجود العسكري في هاتين المنطقتين، والبدء بنسج تحالفات مؤقتة، تضمن تلك المصالح، عوضاً عن التواجد العسكري، إلا في حالات الضرورة. ويخلص هذا المفهوم إلى فكرة مفادها، توقف واشنطن عن مد نفوذها، وتدعيم هيمنتها على النظام الدولي، وأن تدع حيزاً للدول الكبرى، بأن تتولى مسؤولية الأقاليم التي تنشط بها دون المساس بالمصالح الأمريكية، وبالشكل الذي يزيل عنها المسؤولية، من حيث أعبائها، أي تحويل الأعباء وليس تقاسمها، وهذا ما يضمن فترة أطول من سيطرة الولايات المتحدة على النظام الدولي[627].

بالنسبة لمنطقة الخليج العربي الغني بالنفط، فالولايات المتحدة لديها اعتبارات، تنبع من الأهمية الاقتصادية، وتتمحور في ضمان عدم سيطرة دولة أخرى على النفط والغاز، وعدم إلحاق تأثير كارثي على الاقتصاد العالمي، وتهديد ازدهارها. لهذا السبب، سعت للحفاظ على توازن القوى في الشرق الأوسط، والتأكد من عدم سيطرة قوة إقليمية أو دولية على موارد الطاقة في المنطقة[628].

يقوم منطق استراتيجية التوزان خارج المجال؛ في حال عدم وجود قوة مهيمنة محتملة في تلك المناطق الثلاث، لا يوجد أي مبرر لقيام الولايات المتحدة لنشر قوتها البرية أو الجوية هنالك. أما عند وجود قوة مهيمنة محتملة، فعلى الولايات المتحدة الاعتماد على الجهات الفاعلة الإقليمية، كخط دفاع أول، لأن لديهم المصلحة الكبرى في منع أي دولة من الهيمنة عليهم. باختصار، على واشنطن "نقل المسؤولية" إليهم. إذا لم تستطع القوى المحلية احتواء القوة المهيمنة المحتملة بمفردها، فعلى الولايات المتحدة فعل المزيد، ونشر ما يكفي من القوة النارية، لتحويل التوازن لصالحها[629].

التوازن خارج المجال طُوّر على يدي ميرشايمر ووالت، معتبرين التوازن يحدث خارج مجال الولايات المتحدة. فجادلا بأن أمريكا اتبعت استراتيجية "التوازن الخارجي" في القرن العشرين، من خلال منع الدول الكبرى من

---

[626] Walt, “US grand strategy after the Cold War”, p.13-14.

[627] المرجع السابق، ص43.

[628] Walt, “US grand strategy after the Cold”, p.13-14.

[629] Ibid, p.14.

السيطرة على مناطق مهمة في العالم، بدلاً من أن تهيمن عليها، وهذا ما دفع واشنطن للدفاع عن حلفائها الأوروبيين، خلال الحربين العالمتين الأولى الثانية، وعن كوريا الجنوبية وفيتنام إبان الحرب الباردة، وعن الكويت عام 1991[630].

فالتوازن إذ يحدث بين الأقاليم. فحسب ميرشايمر لا يوجد إمكانية لقيام هيمنة عالمية، وانما إقليمية، وذلك عكس لاين، الذي اعتبر أن الهيمنة عالمية ممكنة. فالتهديدات للهيمنة الامريكية من قِبل أقاليم مختلفة. على الولايات المتحدة، أن تمنع أي هيمنة، على أي إقليم في العالم، منعاً لتحول الدول المهيمنة إلى منافس مستقبلي لها، فواجبها خلق تحالفات في الأقاليم المختلفة، بغية إحباط هيمنة إقليمية.

يوضح الشكل رقم (10) العلاقة بين الفوضى والتخوف من صعود قوة مهيمنة

المصدر: من إعداد الطالبة

يستدل من هذا الطرح الإبقاء على مفهوم الفوضى، ولكن الصراع انتقل من التنافس على السيطرة العالمية، إلى السيطرة على الإقليم. فالفوضى تدفع الدول الكبرى لمحاولة الهيمنة على إقليمها. فالفوضى تدفع الدول الكبرى والعظمى إلى الهيمنة الإقليمية، وهذا ما يقود نحو حتمية الصراع بينهم.

بيّن هذا الفصل أن مفهوم الفوضى ظل مركزياً، فظهرت عدة توجهات فسرت الوضع الدولي الحالي، مؤكدة على بقاء الفوضى كصفة ثابتة ينبغي التعامل معها. مركزة على عدد من المنطلقات يمكن إجمالها بالآتي: الأول، التوازن الصلب سيعود لا محالة، ومقدار القوة الأمريكية يحول من إمكانية قيام الدول الأخرى من تحقيق التوازن ضد هيمنتها، وبالتالي تتخذ الدول سياسات تحضيرية. قد تقودها مستقبلا للتحول إلى التوزان الصلب. ثانياً: بعض الدول لديها حوافز قوية للانضمام إلى القوة الأمريكية، لأنها ستكسب مزايا أمنية واقتصادية من

[630] Pape, “Soft Balancing against the United States”, p. 20.

هذه الهيمنة. ثالثاً: سلوك الولايات المتحدة، هو العامل الحاسم؛ فإذا دأبت تمتطي التهديد، فمآل هذا التوازن ضدها. رابعاً: الموازنة يجب أن تكون خارج المجال، وليس منتشرة في كل العالم، وانما في المناطق الحيوية.

6. الاستنتاجات: الفوضى في النظرية الواقعية: من مورغنثاو إلى وولفورث

6.1 انتقال الفوضى من عامل ثانوي إلى مركزي

بداية استخدام مفهوم الفوضى داخل النظرية الواقعية كانت مع والتز في كتابه نظرية السياسة الدولية، أي منذ عام 1979 أضحت الفوضى المدخل الرئيس لتفسير السياسة الدولية. لا ادعاء بأن والتز هو أول من اتِّخَذَ هذا المفهوم؛ لسببين: تعود جذور الفوضى، بمقصود غياب سلطة مركزية، ودراسة تداعياتها، إلى كتابات ثيوسيديدس وديكنسون، فتناولها ضمناً، دون تسميتها المعاصرة، مبيناً تأثيرها في اندلاع الحرب ومجرياتها بين دولتين مدينتين؛ أثينا وإسبارطة.

تبين عند معالجة مفهوم الفوضى عند كل من مكيافللي وهوبز؛ بأن هذا المفهوم لم يتبلور بالشكل الذي استخدمه والتز لاحقاً؛ بمعنى غياب سلطة مركزية، فالفوضى عند مكيافللي كانت أقرب لحالة الشواش الاجتماعي، أما هوبز فعنده لم تكن مقتصرة فقط على معنى غياب سلطة مركزية، وإنما ارتبطت أيضاً بحالة انتفاء النظام، كما لا يجب تجاهل فكرة أن مفهوم الفوضى كان تطبيقه مقتصراً في داخل نطاق الدولة، ولم يكن يقصد بها فوضى النظام الدولي.

الخلط بين مفهوم الفوضى والشواش وانتفاء النظام، حسمت بشكل كامل مع والتز، وأصبح التفريق بين هذه المفاهيم الثلاثة لا مجال للبس فيهم وبينهم، فالفوضى غدت تعني في حقل العلاقات الدولية؛ غياب سلطة مركزية أعلى من سلطة الدول.

6.2 الاتفاق بين منظري الواقعية حول الفوضى

اتفق منظرو الواقعية بأن الفوضى أصبحت مركزية مع نظرية والتز، واستمرت هكذا، حتى مع تطور النظرية الواقعية، وبروز عدة مدارس جديدة بداخلها؛ كالواقعية الهجومية الدفاعية، والواقعية الكلاسيكية الجديدة؛ التي ظهرت في عالم ما بعد الحرب الباردة، والقطبية الأحادية. لم يرفضوا مفهوم والتز حول الفوضى، لذا سلموا بأطروحته حول الفوضى، ولم يدخلوا تعديلات تطويرية أو جديدة على المفهوم، فبقيت الفوضى تعني من والتز حتى وولفورث؛ غياب سلطة مركزية داخل النظم الدولية. جميع الواقعيين اتفقوا بأن الفوضى هي سمة ثابتة

في النظام، واشتركوا بعدم إمكانية تجاوزها، أو الخلاص منها، بل قدموا أطروحات للتعامل معها، والتخفيف من حدّتها، بطرق مختلفة.

6.3 الاختلاف بين الواقعيين حول مفهوم الفوضى وتفاعلاتها

لا يوجد خلاف بين منظري الواقعية على تعريف الفوضى منذ والتز حتى وولفورث. مع ذلك، هناك افتراقات جوهرية بينهم، برزت عند تحليل كتاباتهم. لا موارية باتفاقهم على وجود ارتباط وثيق بين الفوضى والمفاهيم الأخرى التي أشير إليها سابقاً، إلا أنهم سطّروا أطروحات متباينة حول تفسير العلاقة بين الفوضى والقوة والحرب والمعضلة الأمنية.

أولى هذه الاختلافات مرتبط بسبب رغبة الدول بالقوة والمقدار الذي يجب أن تسعى إليه الدول، في ظل نظام فوضوي. ففي الواقعية الكلاسيكية تدفع الطبيعة البشرية النهمة الأفراد نحو مراكمة قوتهم، في حين أن فوضى والتز ولاين على نهجه؛ هي من تدفع الدول لمراكمة القوة، بهدف البقاء، في ظل غياب سلطة يُركن إليها. أما فيما يتعلق بمقدار القوة، طفت توجهات عدة، فأكدت الواقعية الدفاعية بأن المقدار المناسب من القوة يحصنها من الفوضى، بينما الواقعية الهجومية ما يقي الدول الكبرى من الفوضى؛ هو السعي للقوة اللامتناهية.

تقاطعت الواقعية الهجومية الدفاعية مع أطروحة واقعية والتز؛ بالحصول على المقدار المناسب من القوة، أما في الواقعية الكلاسيكية الجديدة؛ فمقدار القوة مرتبط بالعوامل الداخلية التي تحدد تأثير الفوضى، وبالتالي مقدار القوة. وبالرغم من أن الواقعية الكلاسيكية لم تعتبر الفوضى عاملاً مركزياً، إلا أنها تحث الدول لتعظيم قوتها، وهذا السبب متجذر في الطبيعة البشرية.

فيما يتعلق بسلوك الدول داخل النظام الدولي الفوضوي؛ تراوحت الآراء ما بين التوسع والحفاظ على الوضع الراهن. مالت كل من الواقعية الدفاعية والواقعية الدفاعية الهجومية؛ نحو استراتيجيات الحفاظ على الوضع الراهن. بينما تبنت الواقعية الكلاسيكية، والواقعية الهجومية سياسة التوسع والإمبريالية. في حين ترك الأمر في الواقعية الكلاسيكية الجديدة في تحديد الاستراتيجية والسياسة الخارجية للدول؛ بمحصلة التفاعل بين العوامل الداخلية والفوضى، مما ينتج استراتيجية قد تكون مناسبة، أو مبالغ فيها، أو أقل من المفترض.

هناك تواثق بين الفوضى والمعضلة الأمنية؛ يتفق الواقعيون بأن الدول في ظل غياب سلطة مركزية في النظام وتوزيع القوة؛ تعيش في حالة من الشك، وعدم اليقين من نوايا الدول الأخرى. تفترض الواقعية الكلاسيكية بأن سبب الطبيعة البشرية الساعية باستمرار لمراكمة القوة؛ يؤدي ذلك لدخول الدول في معضلة أمنية.

كما تتشاطر الواقعية الجديدة؛ بشقيها الدفاعي والهجومي؛ بأن المعضلة الأمنية هي سمة ثابتة في النظام بفعل الفوضى، فزيادة أمن دول ما يهدد أمن دولة أخرى بحسب الدفاعيين. بالمحصلة؛ المعضلة الأمنية هي مأساة الفوضى في نظرهم، كذلك تعيش القوى العظمى بحسب الهجوميين في حالة الشك، وعدم القدرة على التنبؤ بنوايا الآخرين، وهذا ما أسماه ميرشايمر بمأساة القوى العظمى. بينما تنقد المعضلة الأمنية _بحسب الواقعيين الهجوميين الدفاعيين_ عند حدوث اختلال في التوازن بين الدفاع والهجوم لصالح الأخيرة، وفي ضوء عدم معرفة دوافع ونوايا الآخرين، في ظلال الفوضى.

تُرى علاقة عضوية بين الحرب والفوضى، ولكن هذه العلاقة تُحلل بطرائق مختلفة. فحتى تحدث الحرب عند الواقعين الكلاسيكيين، يجري ربط أسبابها بالطبيعة البشرية، وهنا تلعب الفوضى عاملاً ثانوياً، فهي تؤدي إلى تأجيجها. أما وقوع الحرب بحسب الواقعية الدفاعية ملتصق بوجود دولة تهدد أمن الآخرين، أي؛ عندما لا تكتفي الدول الكبرى بالمقدار المناسب من القوة، وهذا ما يؤدي إلى اختلال توازن القوى، ويجبر الدول المهددة للدخول في الحرب. بينما إذا اكتفت الدول الكبرى بالمقدار المناسب من القوة؛ لن تحدث حرب نتيجة عدم اختلال توازن القوة.

باختصار، الحرب تحدث حسب والتز عند وجود قوة تعديلية تسعى لتغير الوضع الراهن. أما الواقعية الهجومية فاعتبرت النظام الفوضوي يجر الدول نحو التوسع، وهذا ما يؤدي إلى زيادة احتمالية الحرب والصراع، فينشب الصراع والتوازن خارج المجال. أما الواقعية الدفاعية الهجومية يرتبط بحدوث اختلال في التوازن بين الهجوم والدفاع، فاذا اختل التوزان لصالح النزعة الهجومية، فالحرب مقبلة لا محالة.

6.4 الفوضى سمة ثابتة ما بعد الحرب الباردة

شهد النظام الدولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة تحول جذري نتيجة انتقاله من القطبية الثنائية للأحادية القطبية، وفي ظل الانتقادات اللاذعة التي وجهت للنظرية الواقعية، بعدم قدرتها على التنبؤ بانتهاء الحرب الباردة، وعدم اتساق افتراضها مع التغيرات الجديدة في النظام، إلا أن منظري هذا التوجه لم يتخلوا عن مركزية

الفوضى حتى مع تغيير شكل النظام، وبروز قوة مهيمنة تربعت على عرشه، وهذا ما دللوا عليه في كتاباتهم وتحليلاتهم لشؤون السياسة الدولية، وإصرارهم على ثبات سمتيّ الفوضى، والصراع في السياسة الدولية.

جاء الرد الواقعي من خلال إدخال توجهات تعديلية على نظرية توازن القوى التقليدية لوالتز، مع الحفاظ على افتراض مركزية الفوضى. فبرزت أنواع جديدة من التوازنات، إلى جانب التوازن التقليدي، الذي أصر عليه كل من والتز ولاين، بينما حاول المنظرون الآخرون إضافة تعديلات على التوازن في ظل الفوضى، رابطين ذلك باعتلاء الولايات المتحدة على قمة هرم النظام الدولي، والتهديدات والمصالح، والتخوفات. لذا، في نظرهم الفوضى لن تقود الى التوازن التقليدي، إلا إذا اقترنت سياسة التهديد بسلوكيات الولايات المتحدة حسب والت، أو بالمصالح ووجود القوى التعديلية حسب شويللر، أو بالتحضيرات المسبقة المتمثلة بالتوازن الناعم الذي، قد يتحول للصلب إذا استمرت واشنطن في سياساتها العدائية، التي ابتدأت مع بوش الابن.

يجمع الجدول رقم (10) أوجه التوافق والتباين بين المدارس الواقعية المختلفة، في تناولهم مفهوم الفوضى، وعلاقته بالمفاهيم الأساسية الأخرى.

	الواقعية الكلاسيكية	الواقعية الدفاعية	الواقعية الهجومية	الواقعية الدفاعية- الهجومية	الواقعية الكلاسيكية الجديدة
البقاء	تعظيم القوة	تعظيم الأمن الحفاظ على توازن القوى القائم	تعظيم القوة من خلال الهيمنة	ميل التوازن بين الهجوم والدفاع لصالح الأخيرة	التفاعل بين الفوضى والعوامل الداخلية
الأمن	التوسع	الحفاظ على الوضع القائم/ استراتيجيات دفاعية	الهيمنة/ استراتيجيات هجومية	التوازن بين الهجوم والدفاع	التفاعل بين الفوضى والعوامل الداخلية
مقدار القوة	قوة مطلقة	المقدار المناسب من القوة	قوة مطلقة	المقدار المناسب من القوة	التفاعل بين الفوضى والعوامل الداخلية
متى تتوسع الدول	بناءً على ما يحقق مصلحتها	يفترض أن الدول الكبرى لا تتوسع، ولكن بعض هذه الدول قد تتبع سلوك غير عقلاني في التوسع	الدول الكبرى تتبع استراتيجية التوسع عندما تقترن بفائدة أكبر من بقاء الوضع الراهن	عندما تتفوق النزعة الهجومية على حساب الدفاعية	التفاعل بين الفوضى والعوامل الداخلية

الحروب	الطبيعة البشرية	الفوضى مع وجود دولة تهدد الوضع الراهن بتوسعها، ما يدفع الدول الأخرى للدفاع عن بقائها في الدخول بحرب لمجابهتها	الفوضى وما يرافقها من حالة الشك وعدم معرفة نوايا الدول الأخرى فأفضل وسيلة هي الهجوم من خلال الحرب	تفوق النزعة الهجومية في ظل الفوضى	التفاعل بين الفوضى والعوامل الداخلية
ضبط الفوضى الدولية	توزان القوى	توزان القوى	الهيمنة الإقليمية	توازن الهجوم الدفاع	التفاعل بين الفوضى والعوامل الداخلية، من امثلتها توازن المصالح
مركزية الفوضى قبل وبعد الحرب الباردة	ثانوي	مركزي	مركزي	مركزي	مركزي

المصدر: من إعداد الطالبة

6.5 مفهوم الفوضى وتفسير السياسة الدولية في القرن 21

دراسة مفهوم الفوضى تقود إلى التفكير؛ هل تعنَّتَ الواقعيون في الإبقاء على مفهوم الفوضى؟ وهل نستطيع القول إننا ما زلنا نعيش في حالة الفوضى؟ وهل يصلح مفهوم الفوضى للتطبيق على النظام الدولي بتعقيداته الحالية؟ قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، لابد من القول إن ما قام به منظرو الواقعية من إدخال تعديلات على مفهوم التوازن، قد أنقذ النظرية الواقعية من خطر الانتكاسة النظرية التي تحدث عنها لاكاوتس، وبذلك نجحوا _وإن جزئياً_ في دفع النظرية الواقعية نحو التقدم، وأنقذوا المشروع البحثي الواقعي بدفاعهم عن نواته الصلبة. ولكن تبقى الإشكالية في التعديلات التي قاموا بها، لأنها ارتبطت ببقاء حالة الهيمنة الأمريكية. ويبقى السؤال مفتوحاً: هل سيبقى مفهوم الفوضى سائداً في حالة وجود هيمنة غير الهيمنة الأمريكية في المستقبل؟

هل الإبقاء على الفوضى كعامل رئيس في تفسير العلاقات الدولية هو خيار صائب، وخاصة في ظل ظهور ما يسمى بالنقاش الخامس في النظريات، الذي أدخل على الحقل ما يسمى بنظرية التعقد، التي قدمت العالم على أنه شواشي، أكثر من أنه فوضوي. الإجابة على هذا السؤال مرهونة بتطور نظرية التعقد ذاتها، من ناحية، وبتطور وبروز مفاهيم جديدة، يمكن أن تحل مكان مفهوم الفوضى، أو على الأقل تستطيع أن تقدم تفسيراً مختلفاً لما يجري في العالم. نظرية التعقد لا تزال في بداية اختراقها للحقل، وتواجه مصاعب عملية في التطبيق،

ولاسيمّا أنها مرتبطة بالعلوم الطبيعية، وليس كل المنظرين يميلون حتى الآن إلى استخدام العلوم الطبيعية في تحليلات السياسة الدولية.

في ظل ما سبق، يبقى مفهوم الفوضى، مع جميع ما يحدوه مما ذكر من إشكاليات، حاضراً بقوة في تفسير الأحداث الدولية، خاصةً في ظل غياب مفهوم أو تفسير نظري بديل للمجريات الدولية. ربما يحتاج مفهوم الفوضى إلى تعديلات إضافية غير تلك التي أضافها منظرو الواقعية، وهذا ما يحتاج إلى أبحاث في المستقبل لدراسة هذا الموضوع بتعمق أكثر. من القضايا التي بحاجة إلى نقاشٍ مستقبلي مسألة مركزية الدولة في ظل التغيرات الدولية، وبروز دور أكبر للفواعل من غير الدول.

هذا ما أشار إليه ريتشارد هاس Richard Haass (1951) في كتابه عالمٌ في حيص بيص السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم. فقد أشار إلى أنه في ظل المتغيرات الدولية المستجدة، أصبح النظام الدولي الحالي لا يتلاءم مع الأوضاع الراهنة. فظاهرة العولمة، وما رافقها من قضايا (كالإرهاب والهجرة، والأمراض)، أصبح يصعب السيطرة عليها من قبل الدولة العظمى المهيمنة على هذا النظام. وقد أدى بروز دور الفواعل من غير الدول، وزيادة تأثيرهم على الساحة الدولية، لانعكاس مباشر على مفهوم السيادة التقليدي[631]. بذلك يأتي هاس من خلال كتابه ليقدم رؤية استشرافية حول شكل النظام العالمي المستقبلي، والذي أعطاه اسم النظام العالمي الإصدار الثاني 2.0. هذا الطرح يتفق معه حمشي وعادل زقاغ Adel Zeggagh في مقالتهم الأخيرة المعنونة " عن السياسة ما بعد الدولية :تعايش بين نظامين أم عصر وسيط جديد؟"، ناقشوا فيها تراجع مركزية الدولة، والمؤسسات الدولية، لصالح الفواعل من غير الدول[632].

تتوقع الباحثة أن البرنامج البحثي الواقعي لا يزال قادراً على استيعاب المتغيرات، وإجراء تعديلات على الحزام الواقي، مثلما فعل الواقعيون الكلاسيكيون الجدد، بإضافة المتغيرات المحلية كعامل وسيط. وعلى هذا الأساس فإن النظرية الواقعية المستندة على مفهوم الفوضى، مع اختلاف مستوياته، ستبقى نظريةً أساسيةً في مجال تفسير السياسة والعلاقات الدولية.

---

631 ريتشارد هاس، **عالمٌ في حيص بيص السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم، سماعيل سليمان**، معرب، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2018).

632 محمد حمشي وعادل زقاغ، "عن السياسة ما بعد الدولية: تعايش بين نظامين أم عصر وسيط جديد؟"، ***مجلة السياسات عربية***، العدد 54 المجلد 10 (كانون الثاني/ يناير 2020).

7. قائمة المصادر والمراجع

7.1 مصادر اللغة العربية:

الكتب:

- أبو خزام، إبراهيم. 1999. الحروب وتوزان القوى دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقاتها الجدلية بالحرب والسلام. عمان: الأهلية.
- إسماعيل، سمير. 2018. أساطين الفكر السياسي من مكيافيللي إلى جون لوك. ط 1. بيروت: بيرسان.
- أليسون، غراهام. 2018. حتمية الحرب بين القوة الصاعدة والقوة المهيمنة: هل تنجح الصين وأمريكا في الإفلات من فخ ثيوسيديدس؟. تعريب إسماعيل سليمان. بيروت: دار الكتاب العربي.
- باوتشر، دايفد. 2013. النظريات السياسية في العلاقات الدولية من ثيوسيديدس حتى الوقت الحاضر. ترجمة رائد القانون. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- بول، هيدلي. 2006. المجتمع الفوضوي دراسة النظام في السياسة العالمية. ط 3. دبي: مركز الخليج للأبحاث.
- جندلي، عبد الناصر. 2011. أثر الحرب الباردة على الاتجاهات الكبرى والنظام الدولي. القاهرة: مكتبة مدبولي.
- حداد، ريمون. 2006. العلاقات الدولية: نظرية العلاقات الدولية، أشخاص العلاقات الدولية، نظام أم فوضى في ظل العولمة. بيروت: دار الحقيقة.
- حسين، أحمد قاسم.2021. الاتحاد الأوروبي والمنطقة العربية قضايا الإشكالية من منظور واقعي. الظعاين: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- حمشي، محمد. 2021. مدخل إلى نظرية التعقد في العلاقات الدولية. الظعاين: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- دان، تيم وآخرون. 2016. نظريات العلاقات الدولية التخصص والتنوع. ترجمة ديما الخضرا. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- راسل، برتراند. 1977. تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث الفلسفة الحديث. ترجمة محمد الشنيطى. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الرنتيسي، محمود. 2022. العلاقات التركية القطرية في توازنات القوة الإقليمية. إسطنبول، مركز الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية "سيتا".
- سباين، جورج. 2010. تطور الفكر السياسي الجزء الثالث. ترجمة راشد البراوي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شتراوس، ليو وجوزيف كروبسى. 2005. تاريخ الفلسفة السياسية الجزء الأول من ثيوكيديديس حتى إسبينوزا. ترجمة محمود سيد احمد. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- شيهان، مايكل. 2015. توازن القوى التاريخ والنظرية. ط 1. ترجمة أحمد مصطفى. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- الظاهر، أحمد. 1996. دراسات في الفلسفة السياسية. اربد: دار الكندي للنشر والتوزيع.
- عبد السلام، محمد. 2020. الجغرافيا السياسية دراسة نظرية وتطبيقات عالمية، عمان، مكتبة نور.
- غريفيش، مارتن وتيري أوكالاهان. 2008. المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية. دبي: مركز الخليج للأبحاث.
- فرج، أنور. 2007. نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة. السليمانية: مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية.
- قوجيلي، سيد أحمد. 2018. الصراع على تفسير الحرب والسلم دراسات في منطق التحقيق العلمي في العلاقات الدولية. الظعاين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- مطر، أميرة. 1995. الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس. القاهرة: دار المعارف.
- مقلد، اسماعيل. 1991. العلاقات السياسية الدولية في الأصول والنظريات. القاهرة: المكتبة الأكاديمية.

- مكيافلي، نيقولا. 2009. الأمير. ترجمة خيري حماد. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- مورجنتاو، هانز. 1964. السياسة بين الأمم الصراع من أجل السلطان والسلام. ترجمة خير حماد. القاهرة: دار القومية للطباعة والنشر.
- ميرشايمر، جون. 2012. مأساة سياسة القوى العظمى. ترجمة مصطفى محمد القاسم. الرياض: جامعة الملك سعود.
- ناي، جوزيف. 1997. المنازعات الدولية مقدمة للنظرية والتاريخ. ترجمة أحمد الجمل ومجدي كامل. القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.
- هاس، ريتشارد. 2018. عالمٌ حيص بيص السياسة الخارجية الأمريكية وأزمة النظام القديم. تعريب إسماعيل سليمان. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الهرموني، سيف. 2016. مقتربات القوة الذكية الأمريكية كآلية من آليات التغيير الدولي الولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً. الظعاين: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- هوبز، توماس. 2011. اللفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة. ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة.
- والتز، كينيث. 2013. الإنسان والدولة والحرب تحليل نظري. ترجمة عمر سليم التل. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.
- وولفورث، وليم. 2001. استقرار عالم القطب الواحد، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

الدوريات

- أبو زيد، أحمد محمد. 2010. كينيث والتز: خمسون عاماً من العلاقات الدولية 1949–2009: دراسة استكشافية. المجلة العربية للعلوم السياسية. العدد 27: 93–109.
- أبو زيد، أحمد. 2014. الواقعيون الجدد ومستقبل القوة الأمريكية: مراجعة للأدبيات. المجلة العربية للعلوم السياسية. العدد 43–44: 9–37.

- الجرباوي، علي ولورد حبش. النظرية الواقعية في مواجهة أحادية القطبية الدولية. مجلة سياسات عربية. العدد 38: 28–49.
- جندلي، عبد الناصر. 2010. النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغير في ظل تحولات عالم ما بعد الحرب الباردة. مجلة المفكر، العدد 5: 118–143.
- حسين، أحمد قاسم. 2016. نظريات العلاقات الدولية: التخصص والتنوع. سياسات عربية. العدد 20: 123–134.
- حمشي، محمد وعادل زقاغ. 2022. عن السياسة ما بعد الدولية: تعايش بين نظامين أم عصر وسيط جديد؟ المجلد 10، العدد 54: 7–24.
- القحطاني، علي بن حسين. 2011. النظرية الواقعية وتطورها في العلاقات الدولية: دراسة تحليلية نقدية للتجربة التنظيرية. مجلة كلية التجارة للبحوث العلمية، المجلد 48، العدد 2: 308–360.
- مشاط، حياة. 2020. الظاهرة العلمية في فلسفة ايمري لاكاتوس. مجلة قطاع الدراسات الإنسانية. العدد 1: 231–276.
- ميرشايمر، جون. 2017. إدوارد هاليت كار في مواجهة المثالية: وتحتدم المعركة. المجلة الجزائرية للأمن والتنمية. ترجمة، جلال الخشيب. العدد 10: 597–609.

اطروحة دكتوراه:

- عديلة، محمد. 2015/2014. تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والأسس. باتنة: جامعة الحاج لخضر.

اطروحة ماجستير:

- أبو طيور، وسام. 2018. مفهوم القوة عند هانز مورغنثاو: إعادة نظر. بيرزيت: جامعة بيرزيت.

مصادر الكترونية:

- حمزة بن عبد الرحمن، مترجم، "تبسيط النظريات الأساسية في العلاقات الدولية، أولاً: الواقعية"، سياسة، 2013/12/5.
- وهبان، أحمد. 2016. النظرية الواقعية وتحليل السياسة الدولية من مورجنثاو إلى ميرشايمر "دراسة تقويمية". الاسكندرية: جامعة الإسكندرية.

7.2 المراجع الأجنبية:

Books

- Bull, Hedley. 2002. The Anarchical Society: A Study of Orders in World Politics, Third Edition. London, New York: palgrave
- C. Schmidt, Brian. 1998. The Political Discourse of Anarchy A Disciplinary History of International Relations. New York: State University of New York Press, Albany.
- Dickinson, G. Lowes. 1916. The European Anarchy. New York: The Macmillan Company.
- ……..….... 1926. The International Anarchy 1904-1914. New York, London: Century Co.
- Donnelly, Jack. 2004. Realism and International Relations. United Kingdom's: the press syndicate of the University of Cambridge.
- Dunne, Tim and others. 2013. Structural Realism. In: International Relations Theories Discipline and Diversity. Third Edition. Oxford: Oxford University Press.
- Eckstein, Arthur. 2017. Thucydides, International Law, and International Anarchy. In: The Oxford Handbook of Thucydides. Edited by: Ryan K. Balot, Sara Forsdyke, and Edith Foster. New York: Oxford University Press.
- Elman, Colin and Michael A. Jensen. 2014. Realism Reader. New York: Routledge.

- Elman, Colin. 2007. Realism. In: International Relations Theory for the Twenty-First Century An introduction. Edited by: Martin Griffiths. London and New York: Routlege
- Heydarian Pashakhanlou, Arash. 2018. The Past, Present and Future of Realism". In: Realism in Practice. Edited by: Davide Orsi, J.R. Avgustin& Max Nurnus. Bristil: E-International Relations Publishing.
- Hsiung, James. 1997. Anarchy & Order the Interplay of Politics and Law in International Relations. Boulder, Colorad: Lynne Rieneer Publishers.
- J. Mearsheimer, John. 2002. Realism, The Real World, and The Academy. In Realism and Institutionalism in International Studies. Ann Arbor: The University of Michigan Press.
- Jackson, Robert and George Sorensen. 2013. Introduction to International Relations Theories and Approaches. Fifth Edition. New York: Oxford University Press.
- Jervis, Robert. 1997. System Effects Complexity in Political and Social Life. Princeton, New Jersey: Princeton University Press.
- Kauppi, Mark and Paul R. Viotti. 2020. International Relations Theory. Sixth edition. Lanham: Rowman & Littlefield.
- Kazmi, Zaheer. 2012. Polite Anarchy in International Relations Theory. New York: Palgrave Macmillan.
- L. Glaser, Charles. 2010. Rational Theory of International Politics the Logic of Competition and Cooperation. Princeton, New Jersey: Princeton University Press.
- L. Schweller, Randall. 2006 Unanswered Threats: Political Constraints on the Balance of Power. Princeton, New Jersey: Princeton University Press.
- Layne, Christopher. 1995. Kant or Cant: The Myth of the Democratic Peace. In: Perils of Anarchy: Contemporary Realism and international security. Cambridge: MIT Press.
- Lebow, Richard. 2013. Classical Reaslim. In: International Realtions Theories Discipline and Diversity. England: Oxford University.
- Lobell, Steven. 2009. Threat assessment, the state, and foreign policy: a neoclassical realist model. In: *Neoclassical Realism*, The State, and Foreign Policy. New York: Cambridge University.

- Lynn-Jones, Sean & Steven E. Miller. 1995. Preface. In: Perils of Anarchy: Contemporary Realism and international security. Cambridge: MIT Press.
- Lynn-Jones, Sean. 2008. Offense-Defense Theory and Its Critics. Center for Science and International Affairs: Harvard University.
- Mearsheimer, John. 2001. The Tragedy of Great Power Politics. New York: W.W. Norton & Company.
- …….. 2013. Structural Realism. In: International Relations Theories Discipline and Diversity. Third Edition. Tim Dunne, MiljaKurki& Steve Smith. United Kingdom: Oxford University press
- Morgenthau, Hans. 1978. Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace. Fifth Edition Revised. New York: Alfred A. Knopf.
- Oye, Kenneth. 1986. Cooperation under Anarchy. New Jersey: Princeton University Press.
- Ripsman, Norrin. 2009. Neoclassical realism and domestic interest groups. In: Neoclassical Realism, The State, and Foreign Policy. New York: Cambridge University Press.
- Taliaferro, Jeffrey and others. 2009. Introduction: Neoclassical realism, the state, and foreign policy. In: Neoclassical Realism, The State, and Foreign Policy. New York: Cambridge University Press.
- Taliaferro, Jeffrey. 2009. Neoclassical realism and resource extraction: State building for future war. In: Neoclassical Realism, the State, and Foreign Policy. New York: Cambridge University Press.
- Vasquez, John. 2009. The Power of Power Politics from Classical Realism to Neotraditionalism. New York: Cambridge University Press.
- Waltz, Kenneth. 1959. Political Philosophy and the Study of International Relations. In: Theoretical Aspects of International Relations. Edited by: William T. R. Fox. Notre Dame, Indiana: University of Notre Dame Press.
- Waltz, Kenneth. 1979.Theory of International Politics. California: Addison-wesley Publishing Company.
- Weber, Cynthia. 2005. International Relations Theory A critical introduction. Second edition. New York: Routledge.

- Williams, Michael. 2006. The Hobbesian theory of international relations: three traditions. In: Classical Theory in International Relations. Edited by: Beate Jahn. Cambridge: Cambridge University Press.

Articles

- A. Pape, Robert. Soft Balancing against the United States. International Security, Vol. 30, no.1, pp: 7-45.
- A. R. Algosaibi, Ghazi. 1965. The Theory of International Relations: Hans J. Morgenthau and His Critics. Background, Vol. 8, no.4, pp: 221-256.
- Agnew, John. 1994. The Territorial Trap: The Geographical Assumptions of International Relations Theory. Review of International Political Economy, Vol. 1, no. 1, pp: 53-80.
- Ashworth, Lucian. 2017. David Mitrany in the international anarchy. A lost work of classical realism?". Journal of International Political Theory, Vol.13, no.3, pp: 311-324.
- Bain, William. 2015. Thomas Hobbes as a Theorist of Anarchy: A Theological Interpretation. History of European Ideas, Vol. 41, no.1, pp: 13-28.
- Bull, Hedley. 1981. Hobbes and the International Anarchy. Social Research, Vol. 48, No.4, pp: 717-738.
- Buzan, Barry. 1984. Peace, Power, and Security: Contending Concepts in the study of International Relations. Journal of Peace Research, Vol. 21, no.2, pp: 109-125.
- Charles, Glaser. 1997. The Security Dilemma Revisited. World Politics, Vol. 50, no.1, pp: 171-201.
- ……. 2019. A Flawed Framework: Why the Liberal International Order Concept Id Misguided. International Security, Vol. 43, pp: 51-87.
- Cudworth Erika and Stephen Hobden. 2010. Anarchy and Anarchism towards a Theory of Complex International System. Millennium: Journal of International Studies, Vol. 39, no. 2, pp: 399-416.
- Dehghani Firoozabadi, Jalal and Mojtabazare Ashkezari. 2016. Neo-classical Realism in International Relations. Asian Social Science, Vol. 12, No. 6, pp: 95-99.

- Deudeny, Daniel and G.John Ikenberry. 1999. The Nature and sources of liberal international order. Review of International Studies, Vol. 25, no.2, pp: 179-196.
- Donnelly, Jack. 2015. The discourse of anarchy in IR. International Theory. Vol. 7, pp, 393-425.
- Forde, Steven. 1992. Varieties of Realism: Thucydides and Machiavelli. The Journal of Politics, Vol.54, no. 2, pp: 372-393.
- Forde, Steven. 1995.International Realism and the Science of Politics: Thucydides, Machiavelli, and Neorealism. International Studies Quarterly, Vol. 39, no. 2, pp: 141-160
- Gallarotti, Giulio. 2008. More Revisions in Realism: Hobbesian Anarchy, the Tale of the Fool and International Relations Theory. International Relations, Vol.45, no.3, pp: 167-192.
- Glaser, Charles and Chaim Kaufmann. 1998. What is the offense- Defense Balance and can we Measure it? International Security, Vol. 22, no.4, pp: 44-82.
- Gortzak, Yoav and others. 2005. Offense-Defense Theory an Empirical Assessment. Journal of Conflict Resolution, Vol.49, no. 1, pp: 67-89.
- Grieco, Joseph. 1988. Anarchy and the limits if cooperation: A Realist Critique of the newest liberal institutionalism. International Organization, Vol.42, no.3, pp: 485-507.
- Havercroft, Jonathan and Alex Prichard. 2017. Anarchy and International Relation theory: A Reconsideration. Vol.13, no. 3, pp: 252-265.
- Herz, John. 1950. Idealist Internationalism and the Security Dilemma. World Politics, Vol. 2, no.2, pp: 157-180.
- …….. 1981. Political Realism Revisited. International Studies Quarterly, Vol. 25, no. 2, pp: 182-197.
- Ilodigwe, Damian. Machiavelli and the Limits of Realism in International Relations. 2019. Journal of International Relations and Foreign Policy. Vol.7, no.1, pp:20-38.
- Jervis, Robert. 1978. Cooperation under the Security Dilemma. World Politics, Vol. 30, no. 2, pp: 167-214.
- Jervis, Robert. 1999. Realism, Neoliberalism, and Cooperation: Understanding the Debate. International Security. Vol. 24, no. 1, PP: 42-63.

- Johnson, Dominic and Bradley Thayer. 2016. The evolution of offensive realism Survival under anarchy from Pleistocene to the present. Politics and the life sciences, Vol.35, no.1, pp: 1-26.
- Kissane, Dylan. 2007. A chaotic Theory of International Relations? The Possibility for Theoretical Revolution in International Politics. Pro Polis, no. 2, pp: 85-103.
- …….. 2010. Mapping International Chaos. *Contemporary issues,* Vol. 3, no.1, pp: 17-27.
- Korab-Karpowicz, W. Julian. 2006. How International Relations Theorists Can Benefit by Reading Thucydides. The Monist. Vol. 89. no. 2, pp: 232-244.
- Kuate Fodouop, Carl and Ronald Hatto. 2016. Anarchy is the fundamental fact on international relations. International Organization. Vol, 46, pp: 1-8.
- Labs, Eric. 1997. Beyond Victory: Offensive realism and the expansion of war aims. Security Studies, Vol. 6, no.4, pp: 1-49.
- Lakatos, Imre. 1968-1969. Criticism and the Methodology of Scientific Research Programmes. Proceedings of the Aristotelian Society, New Series, Vol. 69, pp:149-186.
- Layne, Christopher. 1993. The Unipolar Illusion: Why New Great Powers Will Rise. International Security, Vol. 17, no. 4, pp: 5-51.
- Layne, Christopher. 2012. This Time It's Real: The End of Unipolarity and the Pax Americna. International Studies Quarterly, Vol.56, pp: 203-213.
- Leung, J. (2012). Machiavelli and International Relations Theory. Glendon Journal of International Studies. Vol, pp: 3-13.
- Mastanduno, Michael. 1997. Preserving the Unipolar Moment: Realist Theories and U.S. Grand Strategy after the Cold War. International Security, Vol. 21, no. 4, pp: 49-88.
- Mearsheimer, John. 1990. Back to the Future: Instability in Europe after the Cold War. International Security, Vol. 15, no.1, pp:5-56.
- …….. 1990. Why we will soon Miss the Cold War. The Atlantic Monthly, Vol. 266, no. 2, pp: 35-50.
- ……. 1994-1995. The False Promise of International Institutions. International Security, Vol.19, no.3, pp: 5-49.

- ……. 2006. Conversations in International Relations: Interview with John J. Mearsheimer (Part II). International Relation, Vol 20, no.2, pp: 231-243.
- …….. 2009. Reckless States and Realism. *International Relation*, Vol. 23. no.2, pp: 241-256.
- Milner, Helen. 1991. The assumption of anarchy in international relations theory: a critique. Review of International Studies. Vol. 17. no.1, pp: 67-85.
- Montgomery, Evan Braden. 2006. Breaking Out of the Security Dilemma: Realism, Reassurance, and the Problem of Uncertainty. International Security, Vol. 31, no. 2, pp: 151-185.
- Osiander, Andreas. 1998. Rereading Early Twentieth-Century IR Theory: Idealism Revisited. International Studies Quarterly, Vol. 42, no. 3, pp: 409-432.
- Pashakhanlou, Arash Heydarian. 2014. Waltz, Mearsheimer and the post-Cold War world: The rise of America and the fall of structural realism. International Politics. Vol.51, pp: 295-315.
- Powell, Robert. 1993. Guns, Butter, and Anarchy. The American Political Science Review. American Political Science Review, Vol.87, no.1, pp: 115-132.
- Powell, Robert. 1994. Anarchy in international relations-neoliberal debate. International Organization, Vol. 48, no.2, pp: 313-344.
- Prichard, Alex. 2007. Justice, Order and Anarchy: The International Political Theory of Pierre-Joseph Proudhon (1809-1865). Millennium Journal of International Studies, Vol. 35, no.3, pp: 623-645.
- ……. 2018. Anarchy, Anarchism, and International Relations. International Relation, Vol. 32, pp: 100-112.
- Rose, Gideon. 1998. Review: Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy. World Politics, Vol. 51, no. 1, pp: 144-172.
- Ruth Adams, Karen. 2003-2004. Attack and Conquer? International Anarchy and the Offense-Defense-Deterrence Balance. International Security, Vol. 28, no. 3, pp: 45-83.
- Schweller, Randall. 1996. Neorealism's status-quo bias: What security dilemma? Security Studies, Vol. 5, no.3, pp: 90-121.

- Snyder, Glenn. 2002. Mearsheimer's World-Offensive Realism and the Struggle for Security: A Review Essay. International Security, Vol. 27, no. 1, pp: 149-173.
- Stivachtis, Yannis. 2000. The international system and the use of weapons of mass destruction. Journal of Strategic Studies, Vol. 23, no.1, pp: 101-131.
- Taliaferro, Jeffrey. 2001. Security Seeking under Anarchy: Defensive Realism Revisited. International Security, Vol. 25, no. 3, pp: 128-161.
- Toft, Peter. 2005. John Mearsheimer: an offensive realist between geopolitics and power. Journal of International Relations and Development, Vol. 8, no. 4, pp: 381-408.
- Van Evera, Stephen. 1998. International Relations: One World, Many Theories. Foreign Policy, no. 110, pp: 29-46.
- …….. 1988. Testing Theories of Alliance Formation: The Case of Southwest Asia. International Organization, Vol. 42, no.2, pp: 275-316.
- …….. 1993. The Emerging Structure of International Politics. International Security, Vol. 18, no.2, pp: 44-79.
- …….. 1994. Hypotheses on Nationalism and War. International Security. Vol.18, no.4, pp: 5-39.
- …….. 1998. Offense, Defense and the Causes of war. International Security, Vol. 22, no. 4, pp: 5-43.
- ……. 2018. US grand strategy after the Cold War: Can realism explain it? Should realism guide it? International Relations, Vol. 32, no.1, pp: 3-22.
- Walt, Stephen. 1997. The Progressive Power of Realism. The American Political Science Review, Vol.91, no.4, pp: 931-935.
- Waltz, Kenneth. 1988. The Origins of War in Neorealist Theory. The Journal of Interdisciplinary History, Vol. 18, no. 4, pp: 615-628.
- Wolfers, Arnold. 1951. The pole of power and the pole of indifference. World Politics, Vol. 4, no.1, pp: 39-63.
- Yurdusev, Ahmet Nuri. 2007. Thomas Hobbes and International Relations: An assessment. METU Studies in Development, Vol. 34, no. 2, pp: 413-432.

Papers

- Kantemnidis, Dimitrios.2016. Chaos theory and international relations. pp: 18-27.
- Walt, Stephen. 2002. Keeping the World off Balance: Self Restraint and U.S Foreign Policy. In America Unrivaled: The Future of the Balance of Power. pp: 121-154.

Master's Thesis

- Huseynov, Vasif. 2018. The Nexus of Neoclasical Realism and soft power the case of the west – Russia Geopolitical Rivalries in the "Common Neighbourhood". PhD Dissertation: at Georg-August University of Göttingen.

Electronic resources

- Barnett, Michael and Kathryn Sikkink. 2011. From International Relations to Global Society. The Oxford Handbook of Political Science. Accessed on 25-8-2020, https://bit.ly/3PpYlBT.
- Christodoulou, Panos. 2017. Thucydides Philosophistoricus: The Way of Life of the Historian. University of Cyprus (Chipre). https://bit.ly/2NYePme.
- Dornan, Miriam. 2011. Realist and Constructivist Approaches to Anarchy. E-International Relations. August 29. https://bit.ly/3JvpNeB.
- Fodouop, Carl and Ronald Hatto. 2016. Anarchy is the fundamental fact on international relations. International Organization. March 13. https://bit.ly/2CAloJG.
- Keaney, Brian. 2006. The Realism of Hans Morgenthau. Graduate theses and Dissertations, Scholar Commons: University of South Florida. May 1. https://bit.ly/3uqMfOh.
- Korab-Karpowicz, W. Julian. 2018. Political Realism in International Relations. The Stanford Encyclopedia of Philosoph. Edited by: Edward N. Zalta. Summer 2018. https://stanford.io/2AnBZz2.
- Layne, Christopher. 2004. China's Role in American Grand Strategy: Partner, Regional power, or Great Power Rival?. https://bit.ly/3PyjHNr.

- Leung, Janice. 2012. Machiavelli and International Relations Theory. April 30. https://bit.ly/384fT5J.
- Lewis, George. 1832. Remarks on the use and abuse on some of Political Terms. London: B. Fellowes, Ludgate street. https://bit.ly/3avNaU3.
- Lishingman, Vanessa. 2000. Henry Kissinger's Contribution to the Conception of International Relations Legitimacy, Consensus and Order: the Foreign Policy of Moderation. Semantic Scholar. https://bit.ly/3NJMblN.
- Lobell, Steven. 2017. Structural Realism/Offensive and Defensive Realism. International Studies. December. https://bit.ly/2USrG02.
- Mearsheimer, John, 2011. Kissing Cousins: Nationalism and Realism. University of Chicago. May 05. https://bit.ly/3lvjzRa.
- N. Barnett Michael and Kathryn Sikkink. 2011. From International Relations to Global Society. July 2011. https://bit.ly/3PpYlBT.
- Oldemeinen, Mareike. 2010. The Political Realism of Thucydides and Thomas Hobbes. E-International Relations. February 15. https://bit.ly/36vdEFh.
- Ovadekm, Michal. 2015. Classical Realism and Human Nature: An Alternative Reading. E-International Relations. August 09. https://bit.ly/2VzWiA1.
- Pashakhanlou, Arash. 2009. Comparing and Contrasting Classical Realism and Neorealism. E-International Relations. July 23. https://bit.ly/32xkI4p.
- Sanjeewani, Niruka. 2016. Introduction to classical and neo realist, Idealist and Constructivists views on Anarchy. October 13. https://bit.ly/3E90Mlu.
- Steinsson, Sverrir. 2014. John Mearsheimer's Theory of Offensive Realism and the Rise of China. E-International Relations. March 06. https://bit.ly/3p9LlVy.
- Więcławski, Jacek. 2017. Neoclassical Realism and the crisis of the realist paradigm in contemporary international relations. Myśl Ekonomiczna i Polityczna, No.2 (57), Lazarski University in Warsaw. https://bit.ly/3vAAbx8.
- Williams, Michael. 2005. The Realist Tradition and the Limits of International Relations. Cambridge University Press. https://bit.ly/38L3x2u.